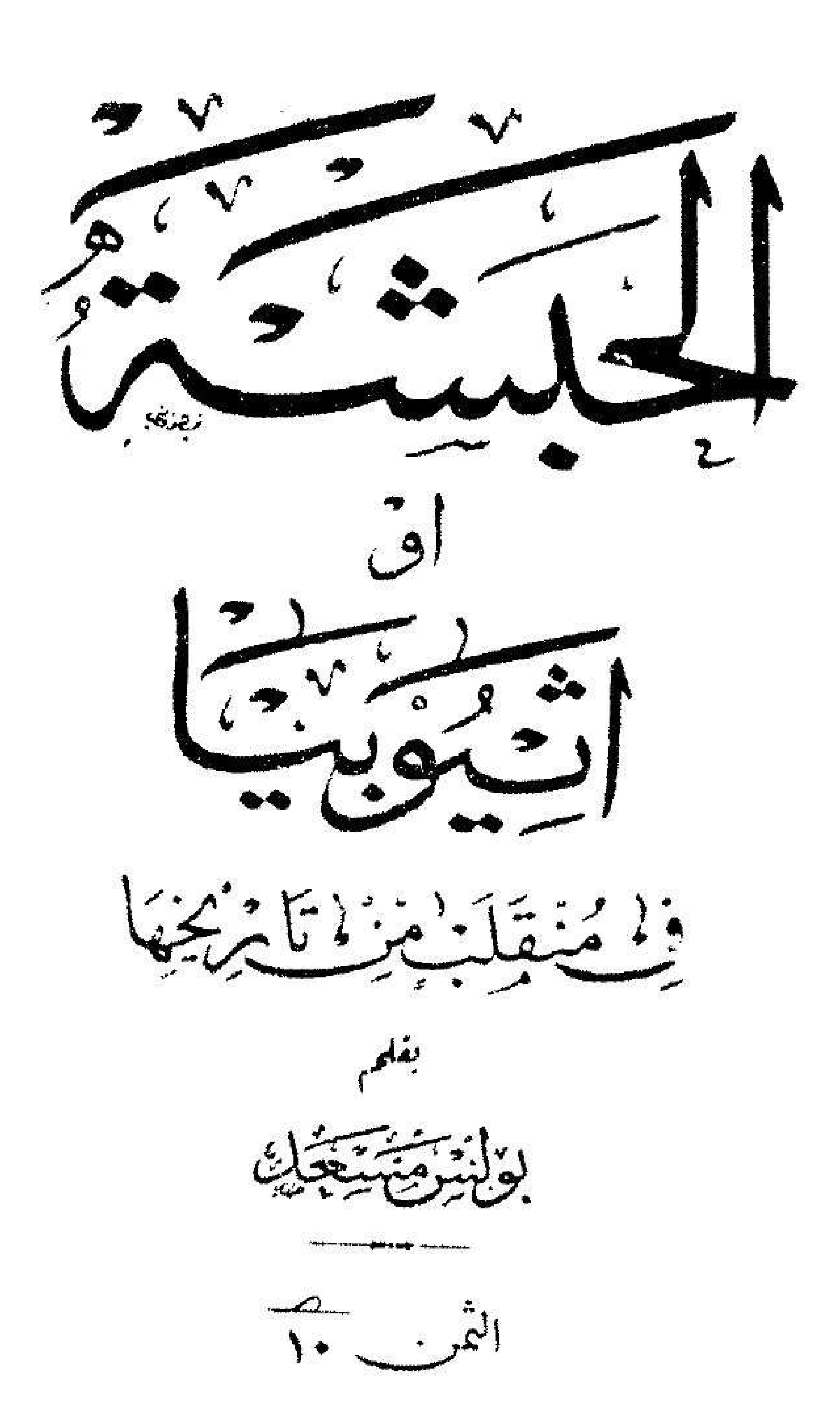


الحبشة

أو

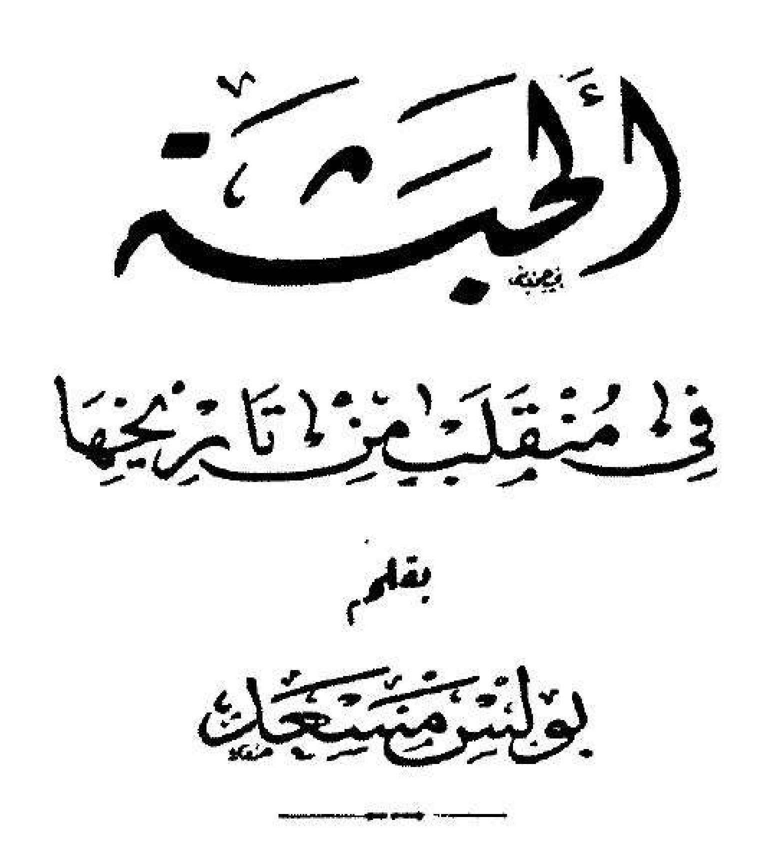
اثيوبيا

في منقلب من تاريخها

بقلم

بولس مسعد

الثمن ١٠ ص



في جغرافيتها وما ينطوي عليه هذا الباب من المباحث المتعلقة بجوها وطبيعة أرضها ومعادنها وجبالها وسهولها وأنهرها وبحيراتها وما يتعلق بزراعتها ومحصولاتها وطرق مواصلاتها وتجارتها وصناعاتها واحوالها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ونظام حكومتها وسكانها وطوائفها وعاداتها ولغاتها وأديانها وتاريخها وصلتها القديمة بمصر وعلاقتها بالدول الاوربية ولا سيما انجلترا وفرنسا وايطاليا وما اسفر عنه تنافس هذه الدول فيها من النتائج الى غير ذلك مما يحسن الوقوف عليه من شئونها



تمهيد

اكتب هذه الكلمة وامامي مرآة صادقة تنعكس عليها صورة جلية لمجموعة كبيرة من حوادث الربع الاول من القرن العشرين، يلوح لي من خلالها مشهد رائع لما تمخض به الربع الاخير من القرن التاسع عشر من الحوادث الهامة الناشئة عما انطوت عليه غزوة الحضارة الغربية من الحسنات والسيئات التي حملها رسل التمدن الحديث الى مختلف أقطار الشرق الدانية والقاصية احتذاء لمثال الفينيقيين الذين كانوا رسل الحضارة القديمة الى العالمين الشرقي والغربي

وائن عرضت في كتابي هذا لتاريخ الحبشة فلأنه حافل بالعبر البالغة التي تصلح لأن يتعظ بها أبناء هذا الجيل والأجيال المقبلة، والعظة هي الغرض المنشود من التاريخ، وهو الغرض الذي توخيته في كل ما أنشأته الى اليوم من المؤلفات التاريخية التي استغرقت الجانب الأكبر من جهادي في اثناء السنين الطوال التي سلختها في هذه البلاد السعيدة[1]

---

(١) من مؤلفاتي: تاريخ الاناضول. لبنان والدستور العثماني. مصر وسورية. تاريخ النهضة الوطنية في مصر. تاريخ الازهر. دليل لبنان وسورية، وهو عدة أجزاء. تاريخ لبنان وسورية. تاريخ آل المشروق. فارس الشدياق. نظرة عمومية في حالة لبنان الاقتصادية. سورية ولبنان في اعتبار جريدة الطان. لبنان وارث فينيقية. الدولة العثمانية في لبنان وسورية. لبنان وسورية قبل الانتداب وبعده. الحبشة أو اثيوبيا. جناية ايزورد. جان غراي. غانية الفلوريد

ولكى يكون القارىء على بصيرة مما يقف عليه فى كتابى هذا من البيانات حسبه أن يرجع الى المصادر التى استندت اليها فى انشائه وهذه هى :

المصادر الفرنسوية والانجليزية:

اسم الكتاب	اسم المؤلف
اثيوبيا ومطامع الالمان	بيير اليب معتمد البلدان المشمولة بالانتداب الفرنسوى
ثروة اثيوبيا	الدكتور عبد الحليم نصير الكاتب الاقتصادى الكبير
اثيوبيا بعد الحرب العظمى	الدكتور جورج حجار
تاريخ مصر	الاستاذ نسيب وهيبه
محاضرة عن الحبشة سنة ١٨٩٦	غبطة السيد كيرلس مقار بطريرك القبط الكاثوليك
رحلة الى زيلع وبربره وتيغرى	هاجس ماخر
الحبشة آخر معاقل الرق	ج . برافيلى
أسواق الرق	جوزيف كسيل
الرق فى الحبشة	الكبتن كوشران حاكم مويال
« «	اللورد لوجارد مندوب جامعة الأمم
« «	اللادى سيمون
الكتاب الأبيض عن الرق سنة ١٩٢٥	الحكومة الانجليزية

المصادر العربية

اسم الكتاب	اسم المؤلف
رحلة الحبشة	صادق باشا المؤيد العظم ، فريق فى الجيش العثمانى سابقا
بدائع الزهور	ابن أياس
التبر المسبوك فى ذيل السلوك	السخاوى
الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان	الشيخ احمد الحسنى القنائى
الاسلام فى الحبشة	الأستاذ يوسف احمد
الدر المنظوم	البطريرك بولس مسعد
جبر الكسر فى الخلاص من الأسر	محمد رفعت بك

الصحف والمجلات

مجلة الهلال — كل شئ — المصور — اللطائف المصورة — المقطم . الاهرام — بعض صحف اوربية

ولعلى وفقت الى تأليف المتفرقات مما يهم قراء العربية الاطلاع عليه فى هذا الاوان من شئون الحبشة وهى أمة شرقية جديرة بأن نتدبر أمرها ونعتبر بما تفيدنا سيرها وننظر الى ما تهيىء لها الأقدار فى هذا المنقلب الخطير من تاريخها الذى نرجو أن يكون فاتحة عصر جديد حافل بمجالى الخير والاقبال ؟

بولس مسعد



بولس مسعد

منشىء هذا الكتاب

لمحة فى جغرافيتها

أثيوبيا — ويسميها استرابون وهيرودوتس « بلاد كوش » وهو الاسم الذي يطلقه عليها العهد القديم — تعرف فى اللغة العربية باسم « الحبشة » أى « المختلطة » أو « الضائعة الأصل »

وقديمًا كان اسم أثيوبيا يتناول بلاد النوبة أو بلاد كوش والسودان وابيسينيا كلها . أما الآن فهذا الاسم يطلق على البلاد الجبلية الواقعة فى الشمال الشرقى من القارة الافريقية . وهى مجموعة كبيرة من صخور ضخمة قائمة فى صفوف غير منتظمة تتخللها أودية عميقة بعيدة الغور ، منها ما هو مستطيل بعيد المدى ومنها ما هو قصير تقف الصخور دون امتداده فلا يجاوز فرسخًا أو بضعة فراسخ . وهذه الأودية التى تفصل بين أجزاء الحبشة هى بمثابة حواجز طبيعية تحول دون اكمال وحدتها الجغرافية وهذا ما كان له شأنه فى جعلها مناطق وأقاليم لكل منها مميزات خاصة ذات تأثير خاص فى تطوراتها الاجتماعية والسياسية .

ويحيط بهذه المجموعة من الجبال الصخرية والأودية العميقة سلسلة من السهول منها ما هو صحراوى مجدب ومنها ما هو حافل

بالمستنقعات وهى مواطن الدناقل والصوماليين . وهذه العزلة الخارجية والتجزئة الداخليــة مما يجعل للحبشة التى يسميها بعضهم سويسرا الافريقية مركزاً جغرافياً خاصاً يميزها عما يجاورها من البلدان

موقعها وحدودها

تقع الحبشة بين البحر الأحمر و بوغاز باب المنــدب فى الشرق وجبال القمر فى الجنوب والسودان فى الغرب و بلاد النو بة فى الشمال وتقع غربي اليمن و يفصل بينهما البحر الاحمر

يحدها شمالا السودان وفى الشمال الغربى سنار و بلاد النو بة ، وفى الشمال الشرقى مستعمرة الأريترة الايطاليــة ، وفى الجنوب مستعمرة كينيا الانجليزية ، وفى الجنوب الشرقى البحر الأحمر و بلاد الصومال بأقسامها الثلاثة الايطالية والفرنسوية والانجليزية . و بالاجمال أن المستعمرات الانجليزية والفرنسوية والايطالية فى الشمال الشرقى من أفريقية تحيط بالحبشة إحاطة السوار بالمعصم

مساحتها

وتبلغ مساحتها نحو ١٫١٢٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع أو ١٫١٢٠٫٥٥٠ كيلومتراً مربعاً على قول بعضهم . على أن هناك من علماء الجغرافيا من اقتصر على البــلاد الأصلية فذهب الى أن مساحتها لا تجاوز ٥٦٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ومنهم من قال أنهــا ١٠٠ الف ميل مربع

تقسيمها

وتقسم الى قسمين كبيرين : فى الشمال بلاد الحبشة الأصلية ، وفى الجنوب الأقاليم التى ضمت اليها فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهى غالا وتيغرى والصومال وسكانها ليسوا من الأحباش ولا يمتون اليهم بصلة متينة يصح أن يعد الفريقان معها شعباً واحداً وهم من الغالا والعبيد والصوماليين

أما من الوجهة الادارية فالحبشة تقسم الى ثلاث ممالك :

١ — تيغرى وعاصمتها ما كالة وقد حات محل عدوه عاصمتها القديمة .

٢ — أمحرة وعاصمتها غوندار

٣ — شوا وعاصمتها أديس أبابا وهى عاصمة الحبشة أيضاً

وهذه الممالك تنقسم الى عدة أقاليم اليك اهمها :

شوا – امحرا – تيغرى – هرار – غوجام – جمابا جفر – اغفاره – مهمن – وهه – لاستا – دمبيه آ – داموت – كافا – غوراغه – همازن – اوجماسين – اغامه او عقامه – ساروری – شيرى – عدوه (أوادوى)– اكسوم – سوكوتا – فيكتي – غالا الغربية – سيلالي – لاجا – سيدامو – أرومى – بورانا – جوجام – غوندار – جما

المدن الكبيرة

ليس فى الحبشة من المدن ما يخاق بالذكر سوى المدن الآتية :

أديس أبابا – هى عاصمة الامبراطورية الحبشية ، ويقدر عدد سكانها بنحو ٩٠ الفاً بينهم نحو ٣ آلاف من الأوربيين . ومعناها الزهرة الجديدة ، وتقع فى سهل فينفنيني المترامى الاطراف بين غابة من شجر الاوكاليبتوس . وكانت عاصمة البلاد حتى عهد منليك الثانى مدينة «أنتوتو» الواقعة على هضبة مشرفة عليها. ويقال أن الأمبراطورة «تايتو» هى التى حملت منليك على هجر عاصمته القديمة فراراً من الصواعق التى كانت مستهدفة لها وانشاء عاصمته الجديدة وكان ذلك على أثر زيارة الامبراطورة لتلك البقعة وراعها ما تجلى لها من مناظرها المبهجة فتمنت على زوجها الامبراطور أن يجعل العاصمة فيها

ظلت أديس أبابا حتى آخر عهد منليك مدينة صغيرة لا أهمية لها ، أما فى عهد هيلاسلاسى الامبراطور الحالى فقد ارتقت الى منزلة المدن الاوربية العامرة بما أنشىء فيها من الابنية العصرية الحديثة الطراز نظير محطة سكة الحديد والوزارات ودوائر الحكومة ودور الأغنياء والأعيان والشوارع الرحبة المفروشة بالاسفلت والأشجار القائمة على جوانبها وغير ذلك مما جملها وجعل لها رونقاً خاصاً يحبب الاقامة فيها .

شوا – هى العاصمة الثانية لمملكة شوا . يبلغ عدد سكانها نحو ٥٠ الفاً بينهم نحو ١٥٠٠ من الأوربيين . ولا تخلو من الأبنية الجميلة غير أنها دون أديس أبابا عمراناً وتنظيما

هرار – هى قاعدة الاقليم المعروف بهذا الاسم وهذا الاقليم يمتد من قرية جيلديسا الواقعة على حدود الحبشة و يبلغ عدد سكانها ١٠ آلاف نفس معظمهم صوماليون و ينتهى عند نهر أواش على حدود إقليم شوا وهو أغنى أقاليم الحبشـــة بزراعته وغزارة مياهه وثروته المعدنية ، وله عند الاحباش المنزلة العليا ولو أنه أرض جبليـــة وعرة صعبة المسالك كثيره الادغال . و يحتوى عدة قرى كبيرة عامرة نظير كولوبى وايرنا وكونى . أما مدينة هرار نفسها فلا يقل عدد سكانها عن نحو ٥٠ الفاً منهم زهاء ٤٠٠ من الأوربيين . وكان سكانها فيما مضى من الغالا ، و بعد ان دانت الحبشـــة كلها لسلطان منليك أمها قوم من الاحباش الاصليين جاءوا اليها من مختلف الأقاليم الحبشية

ومما يذكر عن هرار أن المصريين احتلوها (١٨٨٥ – ١٨٧٥) وحصنوها ولا تزال الحصون والمساجد التى أنشأوها فيهـــا قائمة الى اليوم . والقصر الذى يقيم فيـه الرأس هو قصر الحكام المصريين ، ولما استقر فيه الرأس مكونين والد الامبراطور هيلاسلاسي نقش على جدار السور الخارجي أسدين ،والاسد عند الأحباش رمز سلطانهم. ومعظم أبنية المدينة من الحجر

ديره داوا – يبلغ عدد سكانها نحو ٣٠ الفاً بينهم نحو ٣٠٠ من الاوربيين وهى من محطات سكة الحديد الرئيسية وهـــذا ما كان له شأنه فى تقدمها وعمرانها

الجبال

في الحبشة سلسلة من الجبال الشامخـة هى أعلى جبال افريقيا جمعاء يبلغ متوسط ارتفاعها نحو ٢٤٠٠ متر .وهناك مناطق جبلية نظير منطقة شوه يختلف ارتفاعها بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ متر و بينها غير قنة من قنها يزيد ارتفاعها على أربعة آلاف متر وأعلاها القنن الوسطى منها جبل سيمون فى الشمال وجبل كستا فى الشرق وجبل بجميدير فى الوسط وجبل خورجام فى الجنوب الغربى ، وهذه الجبال يتراوح ارتفاعها بين ٤٠٠٠و٤٦٠٠ متر وأعلاها رأس داجان و يبلغ ارتفاعه ٤٦٢٠ متراً وهى تشرف على ما يجاورها من الأقاليم .

والأرض فى هـذه الجبال صخرية ترتكز على صخور قديمـة تعلوها طبقة من الحجر الجيرى والبلاط أو الأحجار البركانية وهذه الطبقة تكثر فى الجنوب الشرقى فى منحدر مستطيل ممتد من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى تتخلله بحيرات لامنفذ لها الى البحر . وهذا المنحدر الذى ينفصل بلاد الحبشـة عن بلاد غالا يتصل بسلسلة من الوديان تمتد من بحـيرة نياسا الى البحر الأحمر بين جبال افريقية الشرقية وهناك بحيرات ملحة تتخلل هذه الوديان .

و بين جبال الحبشة نفسها أودية ضيقة وعميقة تجرى فيها الانهر وقد بلغ من شدة تأثير المياه فى جوانب هذه الجبال ومنحدراتها أن بعضها أصبح مماثلا لأعمـدة ضخمة لا سبيـل الى تسلقها ومع أن الوصول الى قنها يكاد يكون متعذراً فانك ترى هذه القنن متوجة

بأديار وحصون منتصبة فوقها كصف من الجبابرة يقيمون على حراسة البلاد لدفع الغارات عنها

الانهر

اما انهر الحبشة فمعظمها روافد من النيل نظير نهر سوباط المؤلف من نهري بارو وارجوبا ونهر أباى وعطبره واهم هذه الانهر نهر أباى او النيل الازرق وهو يخرج من بحيرة تانا التى تعلو عن سطح البحر ١٧٥٥ متراً و يبلغ محيطها ٣٠٠٠ كيلو متر مربع . والنيل هناك يحدق بجبل غدجام المجاور لاقليم شوا حيث تقوم اديس ابابا ثم ينحدر في مجرى وعر متنقلا من شلال الى آخر حتى يصل الى سنار حيث يجري في سهل منبسط بعد ان ينضم اليه نهر ديديسا .

وفي شمال نهر عطبره نهر تاكازى الذى يصب فيه وهما يتلقيان معظم المياه التى تنبع فى اقليم تيغرى و يحيطان في الغرب باقليمى بدجمدر وامحره و يفصلانهما فى الشمال عن اقليم تيغرى المحاذى لمستعمرة اريتره الايطالية .

وهناك نهر اواش الذى يناوح خط سكة الحديد الحبشية الممتد بين اديس ابابا وجيبوتى و يجرى على حدود اقليم هرار . اما نهر سو باط فيجرى فى الجنوب الغربي .

واما فى الشرق والجنوب فليس هنالك سوى بعض انهر صغيرة تجتاز مناطق قاحلة وتضيع فيها ماعدا نهر جو با فان له من مياه الروافد

التى يتلقاها فى طريقه مايساعده على الاستمرار فى سيره الى ان يصب فى المحيط الهندي بعد ان يجتاز بعض مناطق قاحلة من بلاد الصومال اما نهر اوابى شيبلى فانه يضيع فى منطقة بحيرة اسال على مسافة ٦٠ كيلو متراً من خليج تاجورا .

وهناك بحيرة رودلف المالحة وتستمد مياهها من نهر الاومس الذى ينبع فى جبال كافا وخمس بحيرات اخرى فى الشمال ذات مياه حلوة تستمدهامن بعض الانهر الصغيرة واهمها بحيرة اباى وزوناى وتام .

وفى الحبشة كثير من المياه المعدنية اهمها نبع اواش وتبلغ حرارته ٤١ درجة وهى ذات فائدة كبيرة . وبقرب اديس ابابا ثلاثة ينابيع معدنية تبلغ حرارة المياه فيها ١٠٠ درجة . وفى جهة جود جيب عدة ينابيع معدنية اخرى اذا استثمرت اتت بفوائد كبيرة .

مناخها

فى الحبشة ثلاث مناطق مختلفـة : الكولا او المنطقة الحارة او الواطئة والفوينا ديجـا وهى المنطقة الوسطى او المعتدلة والديجا وهى المنطقة العليا او الباردة

١ — **الكولا** — يفهم بها السهول المحيطة بالجبال والاودية المتفرعة عليها الى علو ١٠٠٠ أو ١٨٠٠ متر . وهى منطقة حارة تتراوح الحرارة فيها بين ٢٠ و ٤٥ درجـة . والاودية فيها عبارة عن دهاليز حافلة بالغابات الكثيفة . وهواء هذه المنطقة حار جداً . وفى الاراضى

المرتفعة منها ينبت شجر الصمغ ويزرعون فيها البن وقصب السكر . ومن حيواناتها الاسد والنمر وتكثر فيها الثعابين والعقارب وغيرها من الحشرات السامة

٢ — **القوينا دجا** — هي المنطقة الوسطى وتعلو عن سطح البحر ١٨٠٠ الى ٢٨٠٠ متر ومناخها مماثل لمناخ الاقاليم الجنوبية من ايطاليا وهو اصح من مناخ الكولا ودرجة الحرارة فيه تتراوح بين ١٣ و ١٥ ميزان سنتيغراد . على ان صيفها يعد حاراً وشتاؤها بارداً . وهذه المنطقة اصلح المناطق للزراعة . ففي الجهة السفلى منها يزرعون القطن والبن وفي الجهة العليا يزرعون الحبوب وكروم العنب وهي تشتمل على كثير من المراعي والغابات

٣ — **الدجا** — هي المنطقة الباردة يتراوح علوها بين ٢٨٠٠ و ٤٦٢٠ متراً . اما درجة الحرارة فيها فتختلف من ٥ الى ١٥ وتهبط في الجبال العلية الى تحت الصفر . وفي هذه المنطقة كثير من المراعي الخصبة الوفيرة الكلأ . ويزرعون فيها الشعير والبطاطا والعدس . غير ان اهم موارد الرزق فيها تربية المواشي

الزراعة

الزراعة في بلاد الحبشة لاتزال على حالتها الطبيعية المألوفة هناك منذ ابعد الازمنة تتبع فيها الطرق القديمة التي لاتروي غليلاً . فالفلاح الحبشي يجهل تماماً الآلات الزراعية الحديثة ويقتصر في عمله على

المحراث القديم والنير والفأس ومنجل الحصاد وغير ذلك من الادوات التى ورثها عن اجداده .

والاراضى الزراعية قليلة بالنسبة الى اتساع مساحة البلاد ولذلك فان الحالة الاقتصادية فيها على وفرة مواردها الطبيعية وغنى تربتها لاتبعث على الارتياح وهــذا يرجع الى ماترسف فيه من قيود الحكم الاقطاعى واغلاله الذى من اخص معايبه التحكم في رقاب الناس وغل ايديهم وتسخيرهم لقضاء اغراض الحكام واشــباع شهواتهم وصرف قواهم كلها الى تعزيز سلطانهم بالكفاح والقتــال والمنازعات الحزبية والسياسية والقومية والدينية وهو مايشغلهم عن استثمار الارض واستخراج كنوزها لخير البلاد و يسرها .

ان الفلاح الحبشى والحالة هذه يقتصر فى زراعته على ما لا غنى له عنه سداً لحاجته لانه يخشى اذا هو توسع فيها ان تصادر ويحرم ثمرة تعبه

ان الرؤس او حكام الاقاليم والذين يأتمرون بامرهم من الرؤساء وموظفى الحكومة لا يتقاضون من الحكومة المركزية مرتبات تكفل لهم معيشتهم بصورة منتظمة فهم لذلك يسخرون الفلاح لخدمتهم وتوفير اسباب الرزق لهم . وعلى الفلاح وحده يقع عبء الضرائب المفروضة على البلاد علاوة على انـــ السخرة التى هى من ملازمات الحكم الاقطاعى يكاد ضررها ينحصر فيه

ومعظم الفلاحين من الغالا ، فالبــلاد تعتمد عليهم فى الشئون

الزراعية ولو ان الرؤوس والحكام يعتمدون على عبيدهم فى زرع اراضيهم وانماء مواردهم الزراعية . والغالا ذوو عصبية قومية معروفة ولا يقل عددهم عن ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ نفس اى ما يزيد على ثلث سكان الحبشة . وهم زراعون ويعنون بتربية المواشى فى حين ان نساءهم يشتغلن فى الغزل . والايدى العاملة عندهم متوافرة كثيراً ولكن روح الابتكار مفقود تماماً كما هى الحال فى الحبشة كلها وهذا ما يجعل الانتفاع بالايدى العاملة المنظمة تنظيماً مشتركاً فى حكم العدم وهو ما يحول دون تحقيق مشروعات زراعية واسعة النطاق فى هاتيك البلاد

الملكية الزراعية

ومما يزيد في حرج الموقف ان مسألة الملكية الزراعية من المسائل المعقدة التي لم توفق البلاد حتي الآن الى حلها حلاً يتفق مع مصلحة الاهلين . وهى على انواع تختلف باختلاف معدن الارض ولها اثرها في طرق الاستغلال وانواع الزراعة . ومن انواعها الملكية المشتركة وهى شائعة خصوصاً عند الدناكيل والصوماليين والكاريوس وبعض قبائل الغالا التي تقيم في المناطق الصحراوية

والنجاشي باعتباره سلطان البلاد وسيدها يعدّ المالك الاصلى للارض اسوة بسلطان تركيا قبل الحرب العالمية . وبهذا الاعتبار كان حق الحبشي في ملكية الأرض حقاً نسبياً غير مطلق فهو من الوجهة

العملية فى حكم المستأجر او المستعمر لها ولو انه يعد فى عرف القانون مالكاً لها

والحكومة تعد المالكة الحقيقية لجميع الاراضى غير المملوكة ولهـا بقاع واسعة بعيدة الاطراف تؤجرهـا لحكام الاقاليم صفقات كبيرة وهو عين ما كان يجرى قـديماً فى الاقطار التى كانت خاضعة للحكم الاقطاعى كلبنان مثلاً حيث كان يعرف هذا التأجير بالتلزيم وكان يشمل الارض والاموال الاميرية

وللكنيسه الحبشية املاك واسعة ايضاً تقدر بنحو ثلث الاراضى الزراعية وهى تستغلها على يد المستأجرين او الشركاء على ان تتقاضى عشر الغلة منهم كما كانت الحال فى الولايات العثمانية قبل الحرب

والحبشى يملك الأرض بطـريق الارث أو بطريق الشراء ويؤدى المال عنها نقداً أو عيناً . أما الأجانب فتملك الأرض محظور عليهم ولكن فى إمكانهم أن يحرزوها بصـورة امتيازات تعطى لهم بمقتضى اتفاقات خاصـة كثيراً ما تكون مثاراً للاشكال لاضطراب عبارتها وغموض نصوصها . وأخص ما يجدر بالذكر من هذا القبيل امتياز ببقاع واسـعة فى جوار أديس أبابا أحرزته شركة انجليزية وخصته بزراعة شجر الايكاليبتوس وامتياز آخر بأرض واقعـة فى جنوب بحيرة زواي تربى فيها النعام . وهنالك امتياز آخر أعطى لشركة فرنسوية بأرض فى سفح جبـل شيرشر باقليم أروسى تبلغ مساحتها أربعة آلاف هكتار وقد خصصتها الشركة لتربية المواشى ، علاوة

على ما لهذه الشركة من الأراضي المخصصة لتربية دودة الحرير في جوار هبرون وعدا عما هنالك من الأراضي المعطاة بمقتضى امتيازات لشركات وأفراد من الفرنسويين والايطاليين واليونان في هرار وسواها .

الحاصلات

ان أرض الحبشة تعد من أخصب الأراضي وتعطي محصولين في السنة أحدهما في شهر مايو والآخر في شهر نوفمبر حتى أن الكرمة نفسها تأتي بمحصولين. وهناك بقاع واسعة من الأراضي الزراعية تزرع فيها الحبوب وتنمو الاشجار المثمرة على أنواعها لان هناك مناطق مختلفة تعيش فيها نباتات المناطق الحارة والمعتدلة والباردة . غير أن محصولات البلاد لاتزال محدودة للاعتبارات التي أوردناها في ما تقدم ولا تعد مورداً هاماً من موارد الثروة والرخاء . وتكاد هذه الحاصلات تنحصر في الدخنة والذرة والشعير والارز وقصب السكر والحمص وهي تستهلك في البلاد نفسها . أما الحاصلات التي تصدر الى الخارج فأهمها القمح والبن والقطن والزيتون والتبغ والمواشي وجلود الحيوانات والخشب الثمين والجلود المدبوغة والعسل والعاج أو سن الفيل والصمغ والشمع وتبر الذهب والملح والمسك وريش النعام والأعشاب الطبية والمطاط « الكاوتشوك »

الغابات

أما الغابات فالبلاد حافلة بها تشغل مساحات شاسعة منها

ولكنها لم تستغل بعد استغلالا علمياً يعود على البلاد بفائدة تتفق مع أهميتها . وتكثر على الخصوص فى أوالاجا وكافا وسواهما من المناطق الشمالية وأكثر الاشجار انتشاراً وأهمية « زغبا » أو الصنوبر الحبشى و « غاتيرا » أو « تاى » وخشبه أحمر اللون وهو ثمين و « تيسر يفيا » وخشبه أسود اللون ومتين جداً و « شولا » وهو من معبودات الغالا و « كوسو » و يستخرجون من ثمره مادة طبيـة و « الزيتون البرى » و « العرعر » و « أونزا » وهى شجرة ذات ثمار يقبـل عليها النحل إقبالا عظيما و يجنى منها مادة يصنع منها الشمع الأبيض و « كول كول » و « الصنط » و « الاوكاليبتوس » وقد جلب الى الحبشة منذ نحو خمسين سنة و « الكاوتشوك » وهو كثير فى منطقتى كافا وأوالاجا

تربية المواشى

المواشى من أهم موارد الحبشة وهم يربونها فى الجبال العالية ولا يقل عددها عن نحواحدى عشرمليون رأس منها البقر والغنم والماعز والخيـل والبغال والحمير والجمال والزباد أوقط المسك (وهو حيوان يشبه الهر يتكون المسك فى غدة بين أفخاذه)

وهناك النحـــل ، وله شأن كبير فى حياة الحبشة الاقتصادية ، والأحباش يعنون بتربيته عناية خاصة و يستخرجون من عسله شراباً سائغاً يعرف باسم « تيدج » وهو شراب الاغنياء ومن هذا الشراب يستقطرون العرق الحبشى اللذيذ الطعم . أما الشمع الذى يستخرج

من العسل فيشغل المرتبـة الاولى بين صادرات الحبشة ولو استثمر على الطريقة الحديثة لأتى بأضعاف أرباحه الحاضرة

والمراعى فى الحبشة تشغل مساحة شاسعة من الارض تزيد على مساحة الاراضى الزراعية . وتقسم الى ثلاثة أقسام :

١ — المراعى الصحراوية والكلأ فيها قاس في المناطق الجافة وأخضر طرىء على مجاري المياه

٢ — المراعى الواقعة فى جوار الشواطىء البحرية والكلأ فيها متوافر وأكثر جودة

٣ — المراعى الشاسعة الواقعـة فى أعالى الجبال وسفوحها وهى أفضل مراعى الحبشة مع أن الكلأ فى هـذه المراعى لا يحتفظ باخضراره طويلا فيضطر الرعاة الى تخزين العلف لأيام الجفاف .

التجارة

أما التجارة فى الحبشة فعلى شىء من الرواج وهذا الرواج يعود الى خصب أرضها ووفرة المواد الخام التى فى وسعها أن تصدرها الى الخارج ومع أن ثروتهـا الزراعية محدودة بالنسبة الى اتساع نطـاق الأراضى الصالحة للزراعة فانها تصـدر الى أوربا مقداراً عظيما من الحبوب والحاصـلات الاخرى كالجلود المدبوغة وغير المدبوغـة والحيوانات والأخشاب الثمينـة والملح والعاج والمسك وريش النعام والاعشاب العطرية والطبية وغير ذلك مما ذكرناه فيما تقدم . ومن

أهم صادراتها البن والجلود والشمع والعاج والمسك وربما أصبح القطن في الأيام المقبلة في جملة هذه الصادرات وقد لا ينقضي عقد أو عقدان من السنين حتى يصبح لصادراتها شأن عظيم ولا سيما اذا زاد اقبال الاجانب على الاتجار فيها لما هو معروف عن نشاطهم وحذقهم للأساليب التجارية فالبن مثلا يزرع فيها بكثرة ، وللبن الهراري شهرة كبيرة . والمناطق الشمالية حافلة بحقول البن ولكن معظمه يستهلك في البلاد ولا يصدر منه سوى جانب قليل ، فلو وجدت أسواق له في الخارج لأصبح من أهم موارد الثروة للحبشة .

وهناك الجلود فانها مهما كثرت لا تفي بحاجة الأسواق الخارجية ولو عنى الأحباش بمراعي بلادهم عناية تكفل لمواشيهم الكلأ والعلف على مدار السنة لاستطاعوا مضاعفة عددها وأصبحت تجارة الجلود فيها من أهم موارد ثروتها . وهكذا الكاوتشوك فهو كثير في غابات كافا وأولاجا ويعد من أجود أنواع الكاوتشوك وتستغله احدى الشركات الاوربية ، ولكن مجال الفائدة منه لا يزال متسعاً لكل طالب

وهناك تبر الذهب ، وفي منطقة أولاجا مقادير كبيرة منه في مجاري الأنهر . وهكذا الفحم الحجري وهو أنواع ، وزيت النفط ولا يعد الآن في جملة موارد الحبشة ، غير أن ما اكتشف من منابعه في واحة أوسا بين سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٥ سيجعله قريباً من أهم مصادر الثروة في هاتيك البلاد وقد اكتشف هذه المنابع ثلاثة من كبار

الخبراء أحدهم المستر نسبت والثانى السنيور فرانكتى والثالث الكونت دى برورواك .

ولكن ما هنالك من الرسوم والمكوس والقيود المفروضة على مختلف الحاصلات من جهة وصعوبة المواصلات واضطراب حبل الامن من جهة أخرى من العوامل الجوهرية فى بطء الحركة التجارية وغل أيدى التجار .

فى استطاعة الحبشي أن يحذق التجارة ويكون له براعة التاجر الأجنبى ولكنه مغلول اليد لا حيلة له فى معالجة الصعوبات التى تقف فى سبيله ، ولذلك قلما تجد تاجراً حبشياً استطاع أن يكوّن رأس مال لنفسه أو أن يكون له علاقة تجارية فى الخارج فان التجارة الخارجية محتكرة للتجار الأجانب من الأوربيين والأميركان والسوريين والعرب والارمن والهنود

والبلاط الامبراطورى يعتمد على التجار الأوربيين فى ابتياع حاجته من الاثاث والملابس والادوات المنزلية وغير ذلك مما يفتقر اليه من الحاجيات العصرية وهذا ما يحمل هؤلاء التجار على الاقامة فى أديس أبابا وخصوصاً أن الامن فى الاقاليم يكاد يكون مفقوداً ، فلا يأمنون على أرواحهم واموالهم ان هم اقاموا فيها . وهب انهم امنوا على ارواحهم فمتاجرهم تظل مستهدفة للخطر ، لأن هناك من الزعماء من يتقاضون منهم الزكاة أو العشر عيناً ، فان أبوا سمح هؤلاء الزعماء لأعوانهم بنهبهم . وعلى ذلك فان معظم التجار الاجانب

يقيمون فى المدن الكبيرة نظير أديس أبابا وجوندار وانكوبر وهرار

وأديس أبابا ملتقى الطرق التجارية للحبشة الوسطى وفيها تنتهى سكة الحديد التى تصلها بجيبوتى بطريق دير داوا وهرار بعد أن تجتاز وادى هواش

وبين الحبشة والمستعمرات الانجليزية والايطالية المحدقة بها طرق تجارية تسير فيها القوافل والسيارات الضخمة بالسلع والحاصلات

طرق المواصلات

ليس فى الحبشة ولا فى المناطق التى ضمت اليها فى أواخر القرن الماضى طريق واحد يصلح أن يكون طريقاً للمواصلات. واذا استثنينا أديس أبابا وهى عصمة البلاد لا تجد مدينة من مدنها تحتوى على طريق معبد تعبيداً حسناً أو مفروش بالاسفلت . أما المواصلات بين الأقاليم فعلى جانب عظيم من الصعوبة ، ولا سيما فى فصل الأمطار حيث يتعذر السير فيها حتى على الحيوانات

وأما المواصلات الخارجية فلها أربعة طرق رئيسية وهذه هى :

١ — طريق السودان ، وهو طريق القوافل التى تحمل البضائع الى الخرطوم وبور سودان بطريق غمبالا وغرب الحبشة . وهو أهم طريق للنقل التجارى بين الحبشة والسودان ومصر . وغمبالا بلدة حبشية مؤجرة للحكومة السودانية لقاء جعل معين وتعد أهم مركز لتجارة « الترنزيت» على هذا الطريق ، ويمتد منها طريق الى بلدة

غورى أهم مركز تجارى فى غرب الحبشة المشهور بوفرة حاصلاته من البن والكاوتشوك والشمع وسواها . والمواصلات بين غمبالا والخرطوم تجرى من شهر مايو الى شهر اكتوبر بالسفن البخارية والمسافة بينهما سبعة أيام ، أما بين الخرطوم و بورسودان فالنقل يجرى بسكة الحديد. والمسافة بين الخرطوم وسنار عشر ساعات ، و بين سنار والقلابات الواقعة على حدود الحبشة ثلاثة عشر يوماً

وهذا الطريق التجارى له شأن كبير فى المواصلات التجارية بين الحبشة والسودان ومصر ، وهو يزداد أهمية عاماً بعد عام . وأهم الحاصلات الحبشية التى تنقل عليه البن والشمع والجلود والكاوتشوك والعاج والحيوانات . ومما يزيد فى أهميته أن الحكومة السودانية اتخذت التدابير اللازمة لتعزيز الحركة التجارية بطريق غمبالا ، فأنشأت الطرق الجديدة والجسور المتينة تسهيلا للنقل بين السهول والجبال ، وعمقت مجرى نهر بارو لتتمكن السفن التجارية من السير فيه على مدار السنة ، وأقامت مخافر توطيداً للامن بحيث أصبح التجار فى مأمن من كل اعتداء فى الطريق ، و بذلك ازدادت الحركة التجارية بين الحبشة والسودان فى الأعوام الأخيرة زيادة كبيرة

٢ — والطريق الثانى يخترق بلاد الصومال الى موغاديشو و براوه وهما ميناءان على شاطىء الاوقيانس الهندى ولكنه أقل أهمية من الطريق الأول

٣ — والطريق الثالث يمتد بين أديس أبابا وجيبوتى ماراً

بدير داوه وهرار ويحاذيه خط سكة الحديد الفرنسوية التي تربط هذا الميناء الفرنسوى بعاصمة الحبشة . وبهذه السكة تشحن أكثر البضائع المصدرة من الحبشـــة والتي كانت قوافل العرب تنقلها فيما مضى الى ساحل البحر .

ولهذه السكة تاريخ طويل ملخصه أن عقبات عظيمة اعترضت إنشاءها ، فان الخط يجتاز صحراء قاحلة تليها جبال سرمنجاب وسواها من الجبال الشامخة ، وقد استغرق مده فيها خمس سنوات . وفي أول يناير سنة ١٩٠٣ افتتح القسم الأول منه الممتد بين جيبوتى وديرداوه وطوله ٣٠٩ كيلومترات . ثم حالت صعوبات جديدة دون استئناف العمل فيـــه وطال أمرها الى ان كانت سنة ١٩٠٦ فعقد بين انجلترا وفرنسا وايطاليا اتفاق يقضي بمد الخط من دير داوه الى أديس أبابا بعد أن يتفرع عليه خط الى هرار على أن يعامل رعايا الدول الثلاث على قدم المساواة سواء فيما يتعلق بنقل البضائع على هـــذا الخط أو بالرسوم المفروضة عليها فى ميناء جيبوتى

ثم قامت عقبات أخرى انتهت بتصفية الشركة القائمة بالعمل . وفى شهر مارس ١٩٠٩ أعطت الحكومة الحبشية امتيازاً جديداً الى شركة فرنسوية أخرى بالحلول محل الشركة القديمة . وفى شهر مايو سنة ١٩١٥ أتمت الشركة عملها بإيصال الخط إلى منتهاه في أديس أبابا وشرع فى استثماره . وقد بلغ طول هذه السكة من جيبوتى إلى أديس أبابا ٧٨٩ كيلو متراً

وكان من نتائج إنشاء هـذه السكة الخطيرة الشأن أن جيبوتى بعد ان كانت مستودعاً صغيراً للفحم ومحطة بحرية قايلة الأهمية للأسطول الفرنسوى فى الأوقيانس الهندى أصبحت قاعدة بحرية عظيمة الشأن فى الصومال الفرنسوى وحلت محل مدينة أو بوك عاصمته القديمة . و بفضل هذه السكة ازداد عدد سكانها حتى وصل إلى نحو عشرين ألفاً . و بلغ من أهميتها التجارية أنهـا باتت تشغل المرتبة الرابعة بين المستعمرات الفرنسوية

٤ — والطريق الرابع يمتد الى الاريترة الايطالية بين مصوع وأسمرا ومنه تنقل الحاصلات بين مملكتى تيغرى وأمحرا فى شمال الحبشة إلى مصوع . وأخص الحاصلات التى تصدر منهما بهـذا الطريق المواشى والحبوب والصمغ والجلود غير المدبوغة .

ومما يسهل النقل التجارى فى الاريترة الايطاليـة أنها تشتمل على ثلاثة خطوط حديدية : الأول يمتد بين أسمرا ومصوع و يبلغ طوله ١٢٠ كيلومتراً . والثانى يمتد بين أسمرا وشيرين وطوله ١٠٤ كيلو مترات . والثالث يمتد بين شيرين وأجردات وطوله ٨٥ كيلو متراً

وهنالك خطوط تلغرافية يبلغ طولها ٦٦٥ كيلو متراً تربط أهم مدن الاريتره ومراكزها ولها ١٤ مكتباً تلغرافياً علاوة على أربع محطات للتلغراف اللاسلكي فى مصوع وعساب وأسمرا ومرسى فاطمه .

وهنالك طريقان آخران أقل أهمية من الطرق الأربع الآنفة الذكر احدهما يمتد الى ميناء قسمايو ماراً بجوبا على الحدود الفاصلة

بين المستعمرات الانجليزية والايطالية ، والثانى طريق كينيا الانجليزية و يصل بين إقليمى سيدامو و بورونا و بين كثير من البلدان والمراكز التجارية

ومما يحسن ذكره فى هذا المقام أن الانجليز بذلوا جهوداً كبيرة فى إنشاء حركة تبادل تجاري بين كينيا وأوغنـدا من جهة وجنوب الحبشة من جهة أخرى ولا سيما سيدامو و بورونا حيث يعنى الأهلون كثيراً بزراعة البن وتربية المواشى

وفى أوغندا خط حديدى يبلغ طوله ٩٩٤ كيلو متراً كان له شأن كبير فى إنماء الحركة التجارية فى غرب الحبشة . وهذا الخط يبدأ فى مومباسا (كيلندينى) و يتفرع عليه خطان أحدهما ينتهى فى كيسومو على بحيرة فيكتوريا نيانزا والآخر فى بلدة الدوريت على جبل أوازين جيزهو . ومن هذه المحطة يمتد خط آخر الى توربو بطريق جينجا

ولم تقتصر انجلترا على هـذه التدابير توثيقاً لعرى الصلات مع الحبشة ، بل أنها عرضت عليهـا لقاء الامتياز المتعلق ببحيرة تسانا أن تتخلى لها عن ميناء زيلع وهنترلند لتتخذه منفذاً بحرياً لها وأن تقدم اليهـا عدداً من رجالها الاداريين والفنيين لتـدبير شئون الحكومة والاشراف على تنفيذ المشروعات الاقتصادية الهامة و إنشاء سكك الحديد وغير ذلك من الأعمال العمرانية . وقد فاز الانجليز بتحقيق كثير من أمانيهم فى هاتيك البلاد حتى أن مستعمراتهم فيها تفوقت

على سائر المستعمرات الأجنبية واحتلوا المكانة الاولى ليس فى الاعمال التجارية فقط بل فى الاعمال المالية أيضاً .

والخلاصة أن مستقبل التجارة فى الحبشة يتوقف على ثلاثة أمور جوهرية وهى : تحسين طرق المواصلات ، واستثمار الثروة المدفونة فى الأرض ، واقامة النظام الجمركي على أساس صحيح راسخ واف بالمرام .

الصناعة

أما الصناعة فى الحبشة فتكاد تكون فى حكم العدم فهى مقتصرة على صناعات أهلية نظير الادوات البيتية القديمة الطراز والأسلحة والحلى والمصاغات والانسجة القطنية والجلد وآنية الفخار والمشروبات الروحية وصب المعادن والسراجة وتقطير الحبوب والعسل المخمر وصناعة الصابون – وتكاد لا تذكر – والتروس ويصنعونها من جلد الفيل وفرس البحر وصناعة الفؤوس والمحاريث والمناجل وصهر الذهب والفضة ويصنعون منهما الحلى ولكنهم لا يتقنون صنعها فلا أثر للفن فيها

وفى عهد الامبراطور هيلاسلاسى اهتمت الحكومة فى أمر الصناعة فأنشأت لها مدرسة خاصة علاوة على الدروس الصناعية التى أنشئت فى المدارس الفرنسوية هناك

المعادن

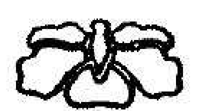
في الحبشة كثير من الأراضي المعدنية ولكنها لم تستثمر استثماراً فنياً . وقد كان النجاشي منليك عهد في سنة ١٩١٠ الى المهندس كامبول الفرنسوي في البحث عن مناجم الذهب في منطقة ندجو فأسفر بحثه عن اكتشاف غير منجم من مناجم الذهب والنحاس والحديد والبوتاس وغيرها . وهناك منطقة أوا لاجا الواقعة بين النيل الأبيض والنيل الازرق تحتوي كثيراً من مناجم الذهب، والأهلون هناك يجدون تبر الذهب في مجاري الأنهر بين الأوحال فيبتاعه منهم التجار بأثمان تافهة ويصدرونه الى الخارج . وقد أجمع الخبراء الذين فحصوا التربة في هذه المنطقة على انها غنية بثروتها المعدنية الى حد أنها تضارع الترنسفال

وفي جوار دوفان وانكوبير منجم من الكبريت يشغل مساحة كبيرة من الأرض . وفي جهة بيلين وبولوك بين دير داوه وأديس أبابا ينابيع كبريتية حارة لا تقل درجة حرارتها عن ٦٠ . وفي منطقة جبل فنتالة البركاني الذي لا يزال مشتعلا بقاع واسعة حافلة بمناجم النحاس والحديد . وبالقرب من أنكوبير منجم فحم خشبي . وفي إقليم أفار على حدود الاريتره الايطالية كثير من المناجم لأن الارض هناك بركانية .

ومناطق الجنوب مشهورة بثروتها المعدنية وأخصها هرار وشيرشر وأوجادن حيث تكثر الصخور البركانية والمناجم . وقد كتب علماء

طبقات الأرض عن هـذه المنطقة فقال انها بركانية تحتوى صخوراً ترجع الى ثلاث ثورات بركانيـة متعاقبة . وقد استثمرت احـدى الشركات الاميركية منجماً فى هرار استخرجت منه حجراً لامعاً يعرف باسم « ميكا » ، وتلتها شركة انجليزية فأحرزت سنة ١٩٢٢ امتيازاً باستخراج زيت النفط من تلك المنطقة . وفى واحة أوسا منابع غنية للزيت اكتشفها ثلاثة من كبار المهندسين بين سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٥ وقد أشرنا اليها فى غير هذا المكان

وفى تيغرى وشوا وأولغا كثيرمن مناجم الحديد تفوق فى وفرتها وجودة معدنها كل ما تحتوى الحبشة من أمثالها ، وفى شوا كثير من مناجم الفحم الحجرى . أما الذهب فهو كثير فى منطقـة أولاجا ولا سيما فى مجارى الأنهر . وفى الجبـال مناجم نحاس وفضة وكبريت وفحم وحديد وملح جبلى . وفى سهول عساب كثير من البوتاس وهم يصدرونه الى الخارج . و يستخرجون الملح من عدة بحيرات فى الشمال الشرقى من الحبشة



تقسيمها السياسى الحديث
ونظام حكومتها

النظام الادارى

تنقسم الحبشة بحسب نظام الحكم الاقطاعى الخاضعة له الى عدة أقاليم يتولى كلاً منها حاكم عام يطلق عليه اسم رأس وهو مطلق التصرف يستأثر بالحكم على ما يشــاء ولا يرجع الى الامبراطور إلا فى ما يتعلق بالتجنيد و بعض الرسوم المفروضة وليس للحكومة المركزية سلطان عليه فهو يربط و يحل بسلطانه المطلق كما هو حال الملوك المستقلين وله شأنه فى مصير خلافة العرش وتعيين الامبراطور

وكل اقليم ينقسم الى مراكز يدير شئونهـــا حكام من رجال الادارة والجندية و يناط بهم القضـــاء بين الناس وجباية الضرائب واطلاع الرأس على كل ما يهمه الالمام به من الأمور والحوادث المتعلقة بمقاطعته. وهناك حكام آخرون متسلطون بحكم الإرث وليس للملك أو للرأس من السيطرة عليهم إلا بمقدار ما له من الهيبة والسلطان . و بهذا النظام المألوف فى الحبشة تتدرج السلطة فى الهبوط من سيــد الى سيد حتى تنتهى الى القرى والدساكر حيث يعيش الفلاح المسكين قانعاً بالكفاف رازحاً تحت عبء الضرائب الباهظ الملقى على عاتقه بحكم النظام الاقطاعى وفى الصعود من هؤلاء السادة واحداً بعد واحد حتى تنتهى الى الامبراطور سيد البلاد الأعلى

والامبراطور هو الحاكم المطلق لا يقيد سلطانه دستور ولا يتولى قياده قانون ، له ملء السلطان على البلاد والعباد يحكم بأمره ويدير شئون الامبراطورية على ما يهوى ويشاء ، فهو القائد الأعلى للجيش والقابض على ميزان القضاء والمدير لكل شأن من شئون البلاد سياسياً كان أم اداريا أم اجتماعياً أم أدبياً أم غير ذلك . فهو يمثل قوة هائلة واسعة النطاق . ولكن على رغم هذا السلطان المطلق الذى يتمتع به ليس له ما للملوك فى الممالك الدستورية من السيطرة على حكام الأقاليم والرؤساء لأن هؤلاء الحكام حريصون على ما يستمتعون به من سعة السلطان فلا يدينون للامبراطور بالطاعة ما لم يروا من شدة بأسه وبطشه ما يضطرون معه الى الاعتراف بسلطانه ولذلك تراهم ينتقضون عليه لأول بادرة ضعف تبدو لهم منه إما للاستزادة من السلطة فى ديارهم أو طمعاً فى العرش ونحو ذلك من الاغراض التى يرمون اليها تحقيقاً لمصالح خاصة لا صلة لها بالمصلحة العامة .

وفى دوائر الحكم مستشارون من الأوربيين تؤيدهم حكوماتهم وكل منهم يعمل لمصلحة بلاده . وكان لفرنسا فى ما مضى من النفوذ فى البلاط الامبراطورى ما لم يكن لسواها على ان انجلترا وايطاليا كانتا أعظم منها نفوذاً فى الأقاليم الحبشية المتاخمة لمستعمراتهما. أما اليوم فكفة الانجليز هى الكفة الراجحة سواء فى الأقاليم أم فى العاصمة حيث لهم الكلمة العليا في البلاط الامبراطورى لأسباب سنبسطها فى ما يلى .

أما مصر فلها فى مختلف انحاء الامبراطورية الحبشية مكانة سامية ونفوذ أدبى عظيم يرجع الى وحدة المذهب الدينى الذى يجمع بين الأحباش والقبط وله أثره البعيد الغور فى حيـاة الحبشة السياسية والقومية كما سنبين ذلك فى ما بعد

القضـاء

كان ملوك الحبشة فيما مضى حتى عهـد تيودورس ويوحانس يجلسون للقضاء ويفصلون فى الدعاوى بأنفسهم وظل الأمر كذلك الى أيام منليك الثانى حيث اختص نفسه بالفصل فى القضايا المهمـة تاركاً الحكم فى سواها الى موظف كبير يعرف باسم « افانفوس » أى كليم الملك أو لسانه ويصدر الأحكام باسم الامبراطور بعد أن يأخذ رأيه فى ما هو خطير من الدعاوى . وكان تيودورس يقضى بين الناس فى ساحة مكشوفة ذلك انه كان يجلس على عرش محاطاً بأربعة وعشرين من الشيوخ بينهم رئيس الكهنة وكاهن يحمـل القـانون الحبشى المسمى « فتانفوس » وفرقة من الحرس ويتقدم المتقاضون الى منصـة الامبراطور وينادى المدعى بصوت جهورى مستغيثاً سبع مرات قائلاً : « جانهوه جانهوه » أى يا حضرة الامبراطور فيتقدم « افانفوس » نحو المتداعين ويسمع أقوال المدعى والمدعى عليه والشهود ثم يكرر أقوالهم على مسمع الامبراطور . وبعد أخذ آراء الحاضرين يتلو الكاهن نص الفقرة المنطبقة على الدعوى ثم يصدر الحكم وينفذ حال صدوره . وافانوس كان الى عهد منليك يقوم مقام

الامبراطور فى رؤية الدعاوى فى العاصمة أما فى المدن الأخرى والقرى فهذه المهمة موكولة الى الرؤوس أو داز جاج أو الشوم (العمدة) و بالاجمال ان القاضى هناك هو اكبر رجل فى البلد

وقانون « فتانفوس » المعمول به فى الحبشة ينسب الى الاسعد ابن عسال من أقباط مصر وقد وضعه فى أواسط القرن الثالث عشر وهو على قسمين قسم يتعلق بأحكام الدين والكنيسة وهو مقتبس من مبادىء وتعاليم المذهبين القبطى والاسرائيلى والقسم الآخر يتعلق بالاحكام والمعاملات وقد استند فيه الى المذهب الشافعى ولا سيما الى كتاب التنبيه لأبى اسحق الشيرازى . ولما كان النجاشى هو الذى أمر بالعمل بهذا القانون سمى « فتانفوس » من « فتا » المخففة من فتاوى وهى جمع فتوى و « نفوس » الحبشية ومعناها النجاشى أى « فتاوى النجاشى »

أما الجرائم عندهم فلهم فى كشفها أساليب غريبة فهم يلجأون فى تعقب اللصوص والتحرى عن السرقات مثلاً الى المندل أو التنويم المغنطيسى ذلك ان الشوم — وهو العمدة — يأتى بمسحوق نبات معين يلقى به فى الحليب و يؤتى بغلام دون سن البلوغ يجرعونه الحليب فيعروه دوار وتشنج فى الاعصاب ثم يقدمون اليه شيشة (نارنجيله) فلا يكاد يبدأ بالتدخين حتى يغيب عن الصواب و ينتصب على قدميه ثم يسير سيراً بطيئاً و يأخذ بوصف السرقة والسارق بالرموز والاشارات وهذا الغلام يعرف عندهم باسم «له باشاه»

ثم يمسك الشوم بيده حزام الغلام و يسير وراءه وكل من التقى به فى الطريق يسجد له . ولهذا الغلام النائم أن يدخل المنزل الذى يريده حتى اذا كان بابه موصداً يكسرونه ليدخل الغلام . والخلاصة ان الطرق كلها يجب أن تكون مفتوحة أمامه . وربما تعذر عليه الإرشاد الى السرقة والسارق بالرموز والاشارات فينتظرون حتى يضطجع فى موضع و يتقيأ فيحكمون حينئذ أن المال المسروق موجود فى هذا الموضع .

وأما العقوبات فأخفها الجلد و يعاقبون به الذين يرتكبون المخالفات والمتبع فى ذلك أن يعرّى المحكوم عليه وتربط يداه وقدماه بسيور من الجلد أو بالحبال و يشد وثاقه شداً محكماً يتعاون عليه أربعة من الرجال الأشداء ثم يجلده الجلاد بسوط طويل حتى يسيل الدم من جسمه

وعقاب السارق قطع الأيدى والأرجل و بعد تنفيذ الحكم فيه يغمسون العضو المبتور فى الزيت المغلى أو يكوونه بحديد محمى فى النار لأنه لو ترك وشأنه ينزف دمه و يموت . وأهله فى الغالب هم الذين يتولون معالجته على هذا النحو . وكثيرون من الذين يعاقبون على هذه الصورة يقضون نحبهم

والقاتل يعاقب بالقتل ما لم يقبل أهل القتيل بالدية و يسلم إما إلى الجلاد أو الى أهل القتيل وهؤلاء يقتلونه بالطريقة التى اتخذها فى الفتك بقتيلهم . وكثيراً ما يمثلون به قبل قتله على صورة فظيعة واذا هم

سلموا بالدية وجب على القاتل أن يؤديها فى الحال وقد يستمهلهم فى دفعهـا الى أجل معين حتى اذا عجز قتلوه وهذا نادر لأن الناس يقبلون على مساعدته فى جمعها وكيفية ذلك انه يتزر برداء طويل و يطوف القرى ضاربًا على طنبور مستجديًا فيعرف من المئزر والطنبور انه يستعطى لأجل افتداء حياته فيقبل الجميع على مساعدته

وكانوا حتى أواخر القرن الماضى يمضون فى تعـذيب المجرمين الى ابعد مدى من ذلك أنهم كانوا يجمعونهم فى اكواخ و يحرقونهـا واذا غضب الحاكم على رجل يأمر به فيشد وثاقه بالحبال الرفيعة شداً محكمًا حتى يسيل الدم من اطرافه ولا يفك وثاقه حتى يدفع غرامة كبيرة . وكثيرون من الذين يقضى عليهم بهذا العقاب يلقون حتفهم وتلقى جثثهم الى الوحوش الكاسرة . أما الجواسيس والنمامون والذين يخدعون الحكام فيعاقبون بقطع السنتهم

قال « هاجن ماخر » فى رحلته « الى زيلع و بربرة وتيغرى » المطبوعة فى سنة ١٨٧٦ ص ١٨ ما ملخصه « وحاكم هرر و يعرف بالسلطان رجل بخيل قاس ظالم يقطع الأرجل والاذرع والقصاص الذى يختاره دون غيره هو خصي الادميين »

وجاء فى « رحلة الحبشة » ص ٢٧٩ و ٢٨٠ ما محصـله : « فى سنة ١٨٨٦ وصـل وفد ايطالى الى مصوع لانشاء جسر على نهر مارب وفى جملة اعضائه الكونت سـافوارد وهو ضابط برتبة ملازم فى الجيش الايطالى هناك وخرج الوفد للصيد فوصـل الى

معسكر رأس الولا فرحب هذا به واستبقاه فى ضيافته بضعة أيام ثم وضع السلاسل والاغلال فى اعناق رجاله وابلغهم انهم اسرى وهم الرأس بالفتك بهم ولكن بنته رثت لهم والتمست من والدها أن يبقى على حياتهم ثم اطلق سبيلهم بناء على طلب الحكومة الايطالية محتفظاً بالكونت سافوارد وكان هذا الاسير يؤخذ يوماً بعد يوم الى ساحة هناك ليقتل بالرصاص فيصوب الجنود البنادق عليه من غير أن يطلقوها ثم يعاد الى سجنه بحجة أن الرأس عفا عنه ولما طال عذابه قال للسجان : اذهب الى سيدك الرأس وقل له انى لست فى حاجة الى عفوه فليعجل باعدامى . فاجابه السجان : « ان الرأس لا يريد قتلك بل هو يريد ان يمتحنك ليرى اذا كنت شجاعاً أو جباناً فاذا كان لا بد له من معاقبتك يأمر بقطع يدك اليمنى ورجلك اليسرى فقط لان قائدنا رجل رحيم جداً » . وبعد ان قضى هذا الكونت فى الاسر تسعة اشهر اطلق سبيله بوساطة احد رهبان العازاريين الفرنسويين هناك بعد ان افتداه أهله بمئة الف فرنك .

وعلى اثر الحرب التى وقعت بين التليان والاحباش (١٨٩٦ — ١٨٩٥) عقد منليك مجلساً من الرؤوس لمعاقبة الاسرى الوطنيين الذين خدموا فى الجيش الايطالى واراد أن يكون عقابهم خفيفاً فعارضه الرؤوس والامبراطورة واستقر الرأى على معاقبتهم بقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى عملاً بقانون « فتا نفوس »

وفى كتاب « الجواهر الحسان » ان العقوبات فى الحبشة

مختلفة فى الشدة فاقلها الضرب بالسوط ثم جدع الانف ثم صلم الاذن ثم تشويه الوجه ثم بتر الاطراف هذا اذا كانت الجريمة بسيطة اما اذا كانت خطيرة كالقتل مثلا فيسلم القاتل الى اهل القتيل ليقتصوا منه بالقتل أو بأخذ الدية واما الجرائم الكبرى فعقابها السيف

ومن ذلك ما جاء فى كتاب « جبر الكسر فى الخلاص من الاسر » المرحوم محمد رفعت بك وقد اشار اليه «الصحافى العجوز» فى عدد ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ من الاهرام حيث قال : « فى تلغراف من اديس ابابا ان الجنود الاحباش اقدموا اثناء معركة عدوه على بتر اعضاء دقيقة من عدد من الجنود الايطاليين . فلما علم الرأس سيوم بذلك اذاع على جنوده ان النجاشى لن يغفر امثال هذه الافعال وقد حكم على كل من مرتكبي هذا العمل بالسجن خمس سنوات . . . وهذه العملية وهى عملية الخصى كانت مشهورة فى الحبشة . . . وكانت تجرى للقتلى والاحياء من اسرى الجيوش المعادية وكان المقصود من خصى الاحياء اذلالهم واستخدامهم خصيانًا فى دور الرؤوس والامراء وكبار قواد الجيوش وغيرهم . وهكذا كان الحال فى الحروب الايطالية الحبشية لخمسين سنة خلت ثم فى واقعة عدوه وغيرها من وقائع سنة ١٨٩٦ . . . »

نظام الجندية

للحبشة نظام عسكرى غريب غير مألوف فى الممالك الدستورية، فلكل رأس قوة عسكرية خاصة يتولى أمرها وهو وحده المسئول

عنها ينفق عليها من الأموال التى تفرض على الممتلكات العقارية ومن ضريبة عسكرية اجبارية تجبى من أفراد الشعب .

وفى زمن الحرب يتبع فى تأليف الجيش المحارب نظام مخصوص يقضى على كل رأس وكل شوم بجمع الرجال الذين يصلحون للقتال وهم فريقان : الجيش النظامى العامل والجيش الاحتياطى . ومع أن البلاد منقسمة على نفسها نظراً لما بين الرؤوس والزعماء ورؤساء القبائل من الضغائن والأحقاد الناشئة عن المصالح الشخصية والأغراض الخاصة فمجرد ظهور شبح الحرب يقضى على كل هذا الانقسام و بين عشية وضحاها يتألف من هذه القوات المبعثرة المضعضعة المتخاذلة وحدة عسكرية هائلة متلاصقة الأجزاء مستكملة العدة متأهبة للانقضاض على العدو لأول إشارة تصدر من الامبراطور الذى هو القائد الأعلى للجيش . وهذا التضامن الغريب كان ولا يزال عدة الحبشة فى حروبها الماضية اذا أضفناه الى ما يقوم فى وجه العدو الغازى من العقبات التى ترجع الى طبيعة البلاد ووعورة مسالكها ومناعة جبالها تجلى لنا سر الفوز الذى كان الأحباش يحرزونه فى معظم الحروب التى خاضوا غمارها الى اليوم .

لقد أجمع الرواة على أن الأحباش شعب حربى شديد المراس فالحبشى يألف الطعن والنزال منذ صباه وله صفات الرجل المجازف الشجاع الجرىء الذى لا يخشى بأس العدو كائناً من كان فينقض عليه بغير وجل ويهاجمه حتى وهو أعزل لأن الموت والحياة

عنده سيـــان متى كان فى موقف الدفاع عن شرفه وبلاده .

ان الجيش النظامى يبلغ نحو ١٠٠ الف جندى أما الاحتياطى فلا يقل عن نحو ٢٠٠ الف رجل . وفى زمن الحرب تستطيع الحبشـة أن تعبىء نحو مليونى مقاتل . وهنالك مصادر عسكرية تقدر الجيش العامل بنحو ١٥٠ الف جندى والاحتياطى بنحو ٣٠٠ الف رجل [1]

وقبل ان ارتقى هيلاسلاسى عرش الامبراطورية لم يكن الجيش الحبشى النظامى يعـد من الجيوش المنظمة المستكملة العدة فعنى هذا الامبراطور بأمره عناية خاصة . وفى سنة ١٩٢٩ استقـدم من بلجيكا بعثة عسكرية لتنظيم الجيش فعـدلت قانون التجنيد وادخلت على الجيش كثيراً من الاصلاحات الجوهرية كان لها شأنها فى رفع منزلته وتعزيز مكانته ودربته على الفنون العسكرية الحديثـة بحيث اصبح اداة صالحة للدفاع عن البلاد وحماية ذمارها . وانشأت فرقة الحرس الامبراطورى المؤلفة من ٢٥٠٠ رجل . ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام أن لدى هذه الفرقة دبابة « تنكس » أهداها دوق دى امبروزو ابن عم جلالة ملك ايطاليا الحالى الى جلالة الامبراطور هيلاسلاسى حينما زاره فى اديس ابابا فى شهر مايو سنة ١٩٢٧

---

(١) اما الرتب العسكرية فنها : « بالامباراس » اى ضابط بدرجة كابتن — «فيتورارى» اى بكباشى او ماجور — « كنجازماتش » اى قائمقام او قائد الجناح الايمن — « ديدجازماتش » اى كولونيل او قائد الجناح الايسر — « رأس » جنرال او القائد الاعلى . وأسمى الالقاب عندهم لقب « بيـلاتين جسيتا » اى الكلى الحكمة . وقد اتخذوه فى الغالب تيمنا باسم سليمان الحكيم الذى تنتسب اليه الاسرة السليمانية المالكة .

سكان الحبشة

ليس هناك احصاء رسمي يستطاع الاستناد اليه فى حصر عدد السكان فى هذه البلاد المترامية الاطراف. والمرجح فى اعتبار المصادر العليمة انه يتراوح بين ٩ و ١٠ ملايين نفس منهم نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون من الاحباش الاصليين فى اقاليم تيغرى وامحرا وجورجام وشوا. ومنطقة فوينا ديجا او الوسطى هى اكثر المناطق سكاناً

والاحباش مزيج من اجناس مختلفة. والاحباش الاصليون معظمهم من الساميين يجرى فى عروقهم الدم السامى الأصلى وهم فى الشمال. واما فى الجنوب فقد امتزجوا بالحاميين فنشأ عن هذا الامتزاج الجنس الخلاسى المختلط. والذين ينتمون منهم الى الطبقة الراقية أو طبقة الأعيان يمتازون ببياض البشرة شيئاً وتناسق تقاطيع الوجه على مثال العرب وهم قليلون بالنسبة الى أهل الطبقات الأخرى الذين يغلب فيهم سواد البشرة

ان الشعب الحبشي مؤلف من ثلاثة أجناس كبيرة عامة: الزنوج وهم البنتوس والحاميون والساميون

١ — الزنوج: الزنوج أو البنتوس يرجعون في أنسابهم إلى الأصل الذى ينحدر منه جميع سكان جنوب افريقية الاستوائية ما عدا قبائل البوسجسمان والهوتنتو. والبنتوس لا يمثلون فيما بينهم وحدة وثنية معينة خلافاً لما هي الحال عندهم من حيث اللغة فهم

يمثلون اسرة واحدة ولو ان الذين ينتمون الى هذه الأسرة ليسوا متحدرين من سلالة بشرية واحدة وليس من رابطة بينهم سوى رابطة اللسان فهم يتفاهمون بلغات متقاربة مما لا شك فيه انها مشتقة من أصل واحد

وهؤلاء الزنوج يقيمون فى المنطقة القبلية وخصوصاً على ضفاف نهر اومو وفى مقاطعة كفا أو كافا وجبال باديتو وسيدامو وفى سهول جوبا السفلى . ويحترفون الزراعة والقنص .

٢ — الحاميون : الحاميون وأصلهم من العرب يقسمون الى ثلاثة أقسام : الدناكيل والصوماليون والغالا ويعرفون جميعاً باسم « بالافار »

« ا » فالدناكيل والصوماليون يدينون بالإسلام . والأولون نحاف الأجسام وأقصر قامة من الصوماليين غليظو العضلات ذوو بشرة سوداء ضاربة الى الاحمرار وأنوف دقيقة وشفاه رقيقة شيئاً وشعر مجعد وكثيف . ومن سجاياهم الزهد وشظف العيش والصبر على المكاره . ويمتازون بالقوة البدنية وهم يكرهون العمل اليدوى ويميلون بفطرتهم الى القتال والغزو والنهب . وبينهم صيادون ماهرون ويحترفون رعاية المواشى من الجمال والغنم فينتجعون المراعى متنقلين من مكان الى آخر فى طلب الكلأ . وقد اختصوا أنفسهم بالمنطقة الواقعة فى جنوب خط سكة الحديد الممتد بين جيبوتى وديرداوه وما يليها حتى الصومال الايطالى . وهم قبائل رحل منقسمة

فيما بينها الى بطون وأفخاذ تخضع لرؤساء يتوارثون السلطة فيهـا أباً عن جد . على أن الدنا كيل أكثر اذعاناً من الصوماليين لسلطان الأحباش ولو انهم يعيشون نظيرهم عيشة بدوية تأبى عليهم التقيد بالقوانين المدنية

ومما يروى عن الصوماليين ان اول من نزل بلادهم « تيرد رملفل » وذريته من نسل حام وجاءهـا احفاد « ايبادر » من معاصرى نوح فاستوطنوا الجبال الغربية الى ان طردهم منها بنو « الفير » وانشأوا مملكة قوية ثم انضوا تحت لواء الفرس على اثر فتحهم لبلاد الصومال

ويزعم الصوماليون انهم عرب يتصل نسبهم باسمعيل بن ابراهيم وان جدهم هو داود بن اسمعيل بن عبد الرحمن بن اجيل بن طالب من اهل مكة هجر الحجاز لفتكه برجل هناك وجاء الى الصومال وهى فى حيازة الفرس . وجاءها بعده اسحق بن احمد من حضرموت والى هذين الرجلين ينتسب الصوماليون . ولمـا قويت شوكتهم طردوا بنى الفير من مواطنهم فأوغلوا فى داخل البلاد واستقروا هناك وآثارهم فى جوار هرار قائمة الى اليوم . واكبر الظن ان استعمار هؤلاء القوم للصومال يرجع الى ثمانية او عشرة قرون

ومع ان الصوماليين متعصبون للاسلام تعصباً شديداً فلا يتبعون الشريعة الاسلامية ولا يتقيدون بأحكام الدين . واشرافهم يترفعون عن الشغل و يعدون ذلك عاراً . وليس هناك من شريعة او قانون يخضعون له سوى قانون « هركى برى » وهـو قانون غير مكتوب

وضع فى عهد ملوك « فير » ويتناقله الصوماليون بالتقليد

والصوماليون طبقتان طبقة الاشراف ويعرفون باسم «جابيلى» وطبقة العامة أو الاوباش ويعرفون باسم « سب » وليس بين هاتين الطبقتين صلة نسب لأن الشريف يحتقر العامى ولا يخالطه . والعامة قبائل مختلفة منها « قومالود » او الطومال ويتعاطون الحدادة وقبيلة « ميدجان » وهم صيادون ورماة نشاب يستعملون السهام المسقاة بالسم . وقبيلة « بيبر » او جيبر وهم من الغجر يحترفون بيع الادوية والاعشاب الطبية ويحيكون الجلود

ونساء الصوماليين جميلات الصورة رشيقات القدود. وملابسهم على مثال الأكسية المستعملة فى سواحل البحر الأحمر وزينة الرجل أسلحته وهى مزراقان وخنجر طويل وترس صغير جميل الشكل وزينة المرأة حلق من الفضة فى اذنيها وأساور فى يديها

والصومال بلاد مترامية الاطراف واقعة على ساحل البحر من شمال خليج تاجورا بقرب باب المندب الى قرب حدود زنجبار .وهى ثلاثة اقسام الصومال الفرنسوى والصومال الانجليزى والصومال الايطالى . وعدد الصوماليين نحو مليون ونصف مليون نفس

واكثر القبائل الصومالية متعادية وكثيراً ما يغزو بعضها بعضاً وتجرى بينها وقائع دموية فظيعة . وقد اشتهرا كثرهم بسفك الدماء ومن مفاخرهم أن القاتل منهم يشك فى رأسه من الريش بقدر ما يقتل من النفوس وقد يستبدل الريش باسورة يجعلها فى معصمه

أو بقرط يعلقه فى اذنه للدلالة على انه من القتلة والسفاحين . ومن تقاليدهم أن الزوج يضرب زوجه ليلة زفافه بسوط غليظ ضرباً شديداً حتى يدميها زعماً منه أن هذه المعاملة القاسية تجعلها طائعة له . وقبل أن يتزوج عليه أن يقتل رجلاً ويبعث باحد اعضائه الى أهل البنت التى يريد الاقتران بها والا حظر عليه الزواج ولذلك لا يأمن المسافر على حياته اذا التقى فى الطريق ولا سيما ليلا بصومالى يطلب الزواج

والصومالى شديد الغرور معجب بنفسه ولما كان قد الف شظف العيش وارتضاه لنفسه فهو يترفع عمن الف عيشة الرخاء من سكان المدن وينظر اليه نظرة احتقار . وهو شجاع باسل يستعمل سلاحه بمهارة كبيرة وقلما يخطىء المرمى ويخرج منفرداً لاصطياد الأسد والنمر والفيل وليس معه من السلاح سوى رمحه . ويعلق فى عنقه سبحة ذات حبات كبيرة ويدهن رأسه بالزبدة ممزوجة بالتراب الناعم بدلاً من الروائح العطرية وبذلك يتخذ شعره شكل الشعر المستعار عند الاوربيين . وهذا الطلاء عندهم يتخذ لاكرام الضيف فاذا نزل ضيف على صديق له كان أول ما يفعله هذا الصديق أن يطلى رأسه بالسمن والزبدة واذا زاده منهما عد ذلك منه مبالغة فى اكرامه. والترضية عندهم تجرى على هذا المنوال ايضاً ، فاقدام المعتدى على طلاء رأس المعتدى عليه بهذا الدهان يعدّ فى نظرهم ترضية كافية

«ب» أما الغالا فيؤلفون ثلثى سكان الحبشة ويقيمون فى

جنوب الحبشة أى فى شوا وهرار وكافا واوجادين الغربيــة . وهم فريقان فمنهم من يحترفون الزراعة وهم الذين ينزلون الجبال ومنطقة شيرشر وهرار واروسى ومنهم من يعنون بتربية المواشى و يندر أن تجد بينهم من يشتغل فى الزراعة . والمواشى عندهم مقيــاس الثروة . و يعيشون فى اكواخ مستديرة مبنيــة بالحجر ومسقوفة بالجلود والنباتات الليفية

وللغالا سحنة الدناكيل وهم نحــاف الأجسام نظيرهم وأقصر قامة من الصوماليين و بشرتهم سمراء فاتحــة وأشد احمراراً من بشرة الأحباش. وجوههم سمحة وجباههم عريضة ولهم أخلاق الساميين و يعدون أرجح الأحباش عقولاً ولهم من النفوذ ما يغبطون عليه . أما النساء فأقصر قامة من الرجال ولــكنهن رشيقات القوام

ومما يجدر بالذكر عن الغالا انهم ظهروا فى القرن الخامس عشر فى الســاحل الجنوبى للبحر الاحمر بقرب عدن وفى ذلك الحين غزا الحبشة جيش من المسلمين بقيادة محمد جرانى فمشوا فى أثره واحتلوا الحبشة وعززوا مقامهم فيهاومعظمهم من الوثنيين وكبير آلهتهم يعرفه باسم « واق » ولــكن بينهم اليوم جماعة من المسلمين والمسيحيين . وهم أكثر قبائل الحبشة ميلاً الى الحرب وفرسان الجيش منهم وسلاحهم حربتان صغيرتان وأخرى كبيرة ودرع و يرتدون معطفاً من القماش الأبيض . وهم فلاحون ماهرون وعماد ثروتهم الماشية

ومن الغالا قوم يعرفون باسم « اليورانا » وهم رحل ووثنيون

يقدسون الحيوانات كالتمساح والثعبان والبومة و بلغ من توغلهم فى الوثنية انهم يعبدون بعض الاشجار كالتين البرى وشجرة اخرى تسمى « البوابات » وفى وقت معين من كل عام يذبحون على جذعها خروفاً اسود اللون تكريماً لها . ومن تقاليدهم المدرونة ان الرجل يتزوج امرأة واحدة والمهر عندهم يقتصر على المواشى . والارث محصور فى البكر من الذكور دون الاناث وللعفة عندهم شأن كبير

٣ – اما الساميون فهم الاحباش بالمعنى المفهوم من هذه التسمية ولو انهم ليسوا بسكان الحبشة الاصليين[1] وهم اهل حرب وقتال

(١) المعروف عند المؤرخين ان اول من استوطن الحبشة قوم من الزنوج جاءوا اليها من جزيرة العرب فى زمن عريق فى القدم قبل ان ينبثق فجر التاريخ ومنهم قبائل تنزل اليوم فى جنوب الحبشة وتعرف هناك باسم « واتا » وقبائل اخرى تقيم فى المنحدرات الشرقية والغربية من جبال الحبشة وتسمى هناك « شانجلا » ومعناه بالامحرية زنجى. ثم لحق بهؤلاء جماعات من سلالة حام هاجروا من بلاد العرب الى الحبشة فى ازمنة مختلفة قبل التاريخ المسيحى بقرون عديدة . وتبعهم قوم من ابناء سام انتشروا فى افريقية الشرقية وفى جملتها بلاد الحبشة . والجنسان الحامى والسامى من الجنس الابيض القوقاسى الذى تحدر منه سكان البحر المتوسط يؤيد ذلك مابينهما من المشابهة

فالاحباش والحالة هذه خليط من زنوج وحاميين وساميين ولكن يغلب فيهم دم حام . وابناء حام فى الاصل ينقسمون الى قسمين : شماليين وهم سكان شمال افريقية او اللوبيين وشرقيين ومنهم قدماء المصريين و « البنجاة » وهم مسلمون منذ القرن الخامس عشر للميلاد وبينهم العبابدة على ساحل البحر الاحمر والبشاريين فى داخل السودان والهدندوة فى طوكر وخور بركة ثم بنو عامر ويقطنون فى مايلى خور رحمة حتى الاريتره ومنهم فريق يقيم فى الحبشة . ومن الحاميين ايضا النوبيون او البرابرة والغالا والصوماليون والدناكيل

لاشأن عندهم لغير القوة والشجاعة وابناؤهم ينشأون نشأة حربية محضة حتى لا يكادون يقيمون وزناً لغير هـــذه الناحية من نواحي الحياة . و يعدون انفسهم سادة البلاد فيترفعون عن مواطنيهم ومجاوريهم من المسلمين والوثنيين وينظرون اليهم نظر السادة الى المسودين .

والساميون مسيحيون و يقيمون منذ اوائل النصرانية فى اعالى جبال الحبشة وهرر وما برحوا من ذلك العهـــد الى اليوم اصحاب السلطان فى المناطق الممتـــدة من اقليم تيغرى فى الشمال الى هرر فى الجنوب . وهم الأكثرية الساحقة فى الأقاليم الشمالية نظير تيغرى وجورجام وامحره ويعيشون من تربية المواشى والتجارة ومن الجزية التى يتقاضونها من أتباعهم . أما الزراعة فيعهدون بها الى عبيدهم

فلاشة

وفي الحبشة جماعة من اليهود يعرفون باسم « فلاشـــة » و ينتسبون إلى السلالات اليهودية الأولى التى ظهرت في هذه البلاد ويقيمون فى الشرق واكثرهم فى شمال تيغرى وفى لاستا ودمبيـــا وساميان وكوارا والافا وشوا وهرار . ويتراوح عددهم بين ٨٠ الفاً بحسب تقدير بعضهم و ١٤٠ الفاً بحسب تقدير البعض الآخر

وفلاشـــة من « فلاش » باللغة الأمحرية ومعناها أجنبي أو غريب وفي الواقع ما برح هؤلاء القوم منذ الأزمنـة القديمة يعدون غرباء عن البلاد و يعيشون فى معزل عن جميع سكان الحبشـــة فى قراهم الخاصة وكانوا حتى سنة ١٨٨٠ لا يعترفون إلا بسلطة أميرهم

ورؤسائهم ثم ألحقت أمارتهم بالامبراطورية الحبشية والغيت امتيازاتهم

والفلاشة يشتغلون فى الزراعة ونسج الاقمشة والعمارة وصناعات أخرى ، و بشرتهم ضاربة الى السواد . و يتصفون بالإباء وصدق المعاملة ولايتزوجون الا من أبناء جلدتهم و يمتازون بالتدين و يقدسون يوم السبت . ومن تقاليدهم الدينية أن المرأة المتهمة بالفسق مكرهة أن تمشى حافية على النار حتى اذا احترقت قدماها عدت مجرمة واستحقت العقاب

وهناك جماعة « الشنكالا » و يقيمون فى منحدرات النيل الشمالية ولم يكونوا حتى السنوات الأخيرة سوى قبائل مستعبدة

وفى الحبشة عدة قبائل أخرى مشتتة فى مختلف الاقاليم منها قبائل فى الشمال من جنس « البلين » و ينتسبون الى « البجاة » . وهناك قبائل أخرى عديدة نذكر منها على سبيل المثال : جارسو شرق هرر – وروهومو فى الجنوب الشرقى من هرر – بابيلى فى جنوب هرر وغرب وروهومو – ألو فى جنوب هرر وغربيها – نولا فى شمال هرر – أو بورو فى شمال ألو – ايتو فى غرب او بورو – أنيا فى جنوب ألو – اورمى فى جنوب جوراجى – رهن ون وهويا على ضفتى نهر يوب – جونجوندابا وديجودى فى اقليم اوجادن .

ولكل من هذه القبائل حاكم يعرف باسم « بود » ومدة حكمه خمس سنوات وهو حاكم مطلق . ولكل بود مستشاروه وأعضاء بمجلسه الخاص وهم حرسه وعددهم مئة رجل ويسمون « دوريس » ويلى الدوريس فرقة أخرى تعرف باسم « رابا » وهى مؤلفة من مئة

رجل أيضاً وبها يناط أمر الخراج الذى يجبى من الأهلين والقوافل على أساس العشر. وهناك جماعة يقال لهم « بوريا » وهم مائة رجل أيضاً معدون لأن يرقوا الى رتبة « رابا » ثم الى مقام ، الدوريس ، بعد خمس سنوات. وللقبيلة أن تختار نوابها لدى البودوالبود يعين وريثه من رجال الدوريس ويشترط فيه أن يكون من قسم آخر من القبيلة. والدعاوى يفصل البود فيها. ولكل قرية شيخ يتولى الحكم خمس سنوات.

اللغة الحبشيـــــة

أصلها

هى اللغة الاثيوبية أو الغيزية من اللغـــات السامية وعلى توالى الأيام اشتقت منها لغات فرعية وهى اللغات العامية الشائعة فى مختلف الأقاليم كما هى الحال فى اللغة العربيـــة وسواها. جاء فى مجلة الهلال ما ملخصه :

أشهر لغات الحبشة الامحرية أو امحرينا وهى اللغة الرسمية ولغة التكلم فى الحبشة كلها وقد خلفت اللغة الاثيوبية الأصليـــة فى القرن العاشر أو الثالث عشر. على أن الاثيوبيـــة لم تندثر تماماً بل انقلبت الى لغة دينية ظل الأحباش يكتبون بها الاسفار المقدسة الى الأزمنة المتأخرة على مثال اللغة السريانية عند السريان والكلدان والموارنة فى سورية ولبنان

واللغة الاثيوبية هى اليوم لغة التيغرة وما يجاورها من بلاد مصوع

وهي فرعان : التيغريـة والتيغرينا . وهي أكثر شبهاً بالعربية واخواتها من اللغة الامحرية الحديثة لأنها ظلت سليمة من الألفاظ والتراكيب التي خالطت الأمحرية من لغات القبائل غير الحبشية

الخط الحبشي

هو القلم الذي تكتب به اللغتان الاثيوبيـة القديمة والامحرية الحديثة ويذهب السنيور جويدى العالم الايطالي الشهير في كتابه عن هاتين اللغتين الى أن هذا القلم مشتق من القلم الحميرى الذي كانت تكتب به اللغة الحميرية في جنوب بلاد العرب وليس من القلم الفينيقي القديم الذي هو أصل الأقلام التي تكتب بها اللغات السامية ولغات الشعوب المتمدنة في العالم . واشتقاق القلم الحبشي من القلم الحميرى يرجع الى اختلاط الشعبين اليمني والحبشي قديماً اختلاطاً كانت صلة مملكة سبا الحبشية بمملكة سبا اليمنية من أظهر معالمه .

والاختلاف ما بين القلم الحبشي والأقلام الساميـة الأخرى يتجلى في الاتجاه فانه يكتب من اليسار الى اليمين وهي تكتب من اليمين الى اليسار وكذلك أقلام العالم المتمدن جمعاء فانه يختلف عنها بترتيب حروفه فهي تبتدىء غالباً بالألف فالباء فالجيم فالدال وهو يبتدىء بالهاء ثم اللام ثم الحاء ثم الميم ثم الصاد فضلاً عن ان أسماء حروفه مغايرة لاسماء حروفها ما عدا بعض حروف اتخذت أسماء عبرانيـة . والخط الحبشي غير هجائي أى ان الحرف الواحد مركب من حرف وحركة معاً ويتغير شكل الحرف بتغيير حركته. والحركات

فى اللغــة الامحرية سبع ومعنى ذلك انهم جعلوا لكل حرف من حروف الهجاء سبعة أشكال

والحروف الابجدية فى اللغة الاثيوبية ٢٦ حرفاً. أما اللغة الامحرية المشتقة منها فقد أدخلوا فيها سبعة أصوات جديدة استعاروا لها سبعة حروف سميت بأسماء عبرانيــة وبذلك أصبحت الابجدية الأمحرية ٣٣ حرفاً وهذه هى :

هَ - لَ - حَ - مَ - صَ - دَ - سَ - شَ - قَ - بَ - تَ - تشَ - خَ - نَ - نيَ - أَ - كَ - خَ - وَ - عَ - زَ - جَ - يَ - دَ - دْجَ - جَ - طَ - تشَ - بَ - تصَ - صَ - فَ - بَ -

وألحقوا بهذه الحروف أربعة أشكال أخرى أحدها مركب من القاف والواو والثــانى من الخاء والواو والثالث من الكاف والواو والرابع من الجيم المصرية والواو وكل من هذه الأشكال يقبل الحركات السبع الآنفة الذكر

وللحروف الامحرية قواعد للادغام والاعلال والقلب والابدال والنحت ومن هذا القبيل ما يحدث فى الاشتقاق أو التصريف ومنه ما حدث فى انتقال اللغة من الاثيوبية الى الامحرية كما أصاب العربية فى انتقالها الى اللهجة العامية ومن ذلك أن الحروف الحلقية فى الاثيوبية ضاعت فى اثناء ذلك الانتقال واستبدلت بفتحة طويلة وهكذا الكاف انقلبت هاء. وهذا الانقلاب لم تسلم منه حروف العلة والحركات والضمائر والأعداد

قواعد اللغة الأمحرية

يقسم الكلام فى اللغة الامحرية الى اسم وفعل وحرف

فالاسم مذكر ومؤنث والمؤنث يستدل عليه بألفاظ بعد أن كانت علامته فى اللغة الاثيوبية التاء

وفى الامحرية كثير من الاسماء المركبة التى تولدت بالنحت . والاسم أربعة أقسام : الفاعل والمفعول به والمجرور والمضاف اليه . فالفاعل لا علامة له وعلامة المفعول به نون ساكنة تلحق بآخر الاسم وعلامة المجرور حرف الجر يلحق فى أول الاسم كما فى العربية وعلامة المضاف اليه ياء تلحق فى أول الاسم

والفعل اهم اجزاء الكلام وله كثير من الصيغ والتصاريف والاشتقاقات وفيه المجرد والمزيد والمعتل والصحيح والاجوف والناقص. وصيغ المزيدات تزيد على ٢٣ صيغة نصفها مهمل. وتصاريف الفعل تشغل اكثر من ثلثى الصرف . ومما يلاحظ فى التصريف المركب مع افعال الكون ان هذه الافعال تأتى بعد الفعل فيقولون مثلاً « يعمل كان » بدلاً من « كان يعمل »

اما النحو فلا يشبه نحو العربية . ففى الامحرية يقال مثلاً : « ضيق البيت هو » بدلاً من « البيت ضيق » فى العربية . ويقال فى الامحرية : « الصياد عصفوراً صاد » بدلاً من « صاد الصياد عصفوراً » فى العربية. وهذا التركيب لا مثيل له فى العربية ولا فى اللغات الاخرى ماعدا الالمانية والهندية والفارسية مع انتفاء الصلة بينها

وبين اللغة الامحرية . وهذا التركيب لا وجود له فى اللغات السامية وهو فى جملة الامور التى تختلف بها اللغة الحبشية عن اخواتها هـذه ولو ان له فى السريانية اثراً لايستطاع التوسع فى مدلوله الى حد اتخاذه وسيلة للجزم بأن القاعدة التى بنى عليها هـذا التركيب فى اللغتين الامحرية والسريانية واحدة ترجع الى اصل واحد .

العادات والتقاليد

مما تقضى به التقاليد الحبشية ان يكون فى البلاط الامبراطورى رجلاً مشابهاً للنجاشى كل الشبه من سائر الوجوه بهيئته وبنيته وملابسه واوسمته وكل شكل من اشكاله بحيث لا يتميز عنه فى شىء وفى بعض الاحيان يؤتى باثنين على هذا الشكل ويعرف هـذا الرجل باسم « ليقا ماقواس » ومهمته ان يلازم الامبراطور فى الرحلات والحروب بحيث يكون الزم له من ظله . والغرض من ذلك ان يتعذر تمييز احدهما عن الآخر فيستطيع الامبراطور فى الحرب ان يدع شبيهه تحت مظلته او فى خيمته ويخرج هو لتفقد الصفوف والمعسكرات او للاعتزال فى مكان يكون بمأمن فيه من قنابل الاعداء فى حين يكون « ليقا ما قواس » مستهدفاً للخطر .

وفى « رحلة الحبشة » ما يؤخذ منه ان النجاشى يهدى الى الامراء ورجال البلاط خيولا وبغالاً وسيوفاً ورماحاً بدلا من الاوسمة وكثيراً ما ينفح الاجانب بمثل هذه الهدايا . وفى القصر الامبراطورى

مائة صائغ يشتغلون فى صنع البرادع والسيوف والرماح المعدة لهذا الغرض . ويستعاض من المرتبات بحقول زراعية ينعم بها الامبراطور على الخاصة والموظفين مكافأة لهم على المهام التى ينهضون بعبئها . وصغار الموظفين فى البلاط يعطون أعمدة من الملح بدلاً من المرتبات ولهم أن يستبدلوها بالنقود . وفى القصر كثير من الجوارى يشتغلن فى صنع الشمع العسلى .

وموظفو الحكومة يحاذرون الظهور بمظهر الثراء والنعمة ومنهم من يدفن أمواله فى الأرض فتظل مخفية بعد موته حتى عن ورثته .

ومن المأثور عند الاحبشيين أنهم يختنون أطفالهم ولا يأكلون لحم الخنزير ويكرهون الأجانب لأنهم يحرمونهم على زعمهم من الانتفاع بمعادن أرضهم واستغلال موارد الثروة وأخص من يكرهونه منهم المهندسون لأنهم السبب فى تسخير الأحباش لاقامة الجسور

والمسيحيون هناك يعلقون فى أعناقهم صليباً صغيراً من الفضة بشريطة زرقاء ويسمون هذا العقد « ماتب » أما المسلمون فيعلقون فى أعناقهم حجاباً من الجلد يحتوى آيات قرآنية

ويباح للكهنة التزوج مرة واحدة وهم معفون من الأموال الأميرية والضرائب وعلى الأمراء والأهلين أن يتفحوهم بالهدايا ولذلك ترى أن الإقبال على الانتظام فى سلك الاكليروس عظيم جداً لما لرجاله من المقام عند الشعب . وليس لأحد أن يتحدى

كاهنًا أو يهزأ به أو يتعدى عليه . وفى الحروب لرجال الاكليروس أن يتنقلوا بين المعسكرات على ما يشـاءون وأن ينشروا أفكارهم بين الجنود بلا معارضة . والراهبات فى الحبشة يترهبن فى بيوتهن وينقطعن الى العبادة فيها .

وأهم كنيسة فى الحبشة قائمة فى اكسوم ، وفى هذه الكنيسة تحفظ السجلات والتواريخ المذهبية والتحف الأثرية . واكسوم مدينة مقدسـة كرومية عند الكاثوليك فاذا لجأ اليها جان نجا من العقاب . وفى الحروب الداخلية يلجأ المحايدون اليها بالمتاع الثمين فلا يمسون بأذى . وحدث مرة أن الرأس « ادبيه » رأى أن أعداءه يحشدون قواتهم فى اكسوم لمهاجمته فانقض عليهم وكبلهم بالحـديد فاحتج الكهنة على عمله هذا وهددوه بالحرم فلم يسعه إلا أن يهددهم بالشنق ان هم حرموه فتركوه وشأنه .

ومن عادات الأحباش أن يلفوا الميت بالأقمشة لفًا على مثال قدماء المصريين واذا كان من وجهاء قومه تسير النساء المأجورات فى جنازته وراء النعش نادبات والرجال فى أثرهن . وبعد الدفن يقضى أقاربه ساعة على ضريحه فى العويل والبكاء . والمناحة قد تستغرق أسبوعًا أو أكثر وينفقون عليهـا بغير حساب على تناول الأطعمة والمشروبات اللذيذة . وبعد انقضاء أربعين يومًا تقام مناحة أخرى . والنساء من ذوى قرباه يحلقن رؤوسهن ويكوين جباههن وخدودهن بالحـديد المحمى . والزوجان يرث أحدهما الآخر ومن بعدهما ينتقل

الإرث إلى الأولاد ونصيب الأنثى كنصيب الذكر . وعلى أهـل الميت أن يعملوا بوصيتـه ولو لم تكن مكتوبة وقد يكون كاشف بها الكاهن وهو يعترف له قبل موته فيفضى بها هذا الى ذويه

ومن عادات كبارهم انهم إذا ذهب أحدهم إلى العاصمة ارتدى أقدم ملابسه وأبسطها ايهاماً للرؤساء انه فقير والاَّ طمعوا بماله أما فى بلدانهم فيرتدون أفخر الملابس وأثمنها .

والنســاء الحبشيات يعنين بتدبير أمور المنزل عناية خاصة حتى زوجات الكبراء فهن لا يترفعن عن طهى الطعام بأيديهن . ويذكر عن الامبراطورة زاوديتو بنت الامبراطور منليك انها إذ كانت تزوره فى قصره وهى لا تزال أميرة تدخل المطبخ وتطهى له الطعام بيدها .

والزواج عندهم انواع منها النوع الطبيعى ويسمونه « روموز » ذلك ان الرجل يتفق مع امرأة على الزواج وهذا الاتفاق يكفى لتصبح زوجة له من غير أن يعقد له عليها . والرجل ينفق على زوجته وهى تقوم على تدبير بيته وتصحبه أينما ذهب . ولهما أن يلغيا زواجهما على أن تحتفظ الأم بالأولاد اذا كانوا دون الثالثـة ومتى بلغوها يصبحون من حق الأب .

والنوع الثـانى هو الزواج المدنى ويتم بتراضى الرجل والمرأة وشهادة الشهود امام عمدة البـلد الذي يسجل ممتلكات كل منهما حتى اذا انفصلا بالطلاق تقسم أموالها مناصفة واذا تم الطلاق برغبة

أحدهما دون الآخر فليس له أن يأخذ شيئًا من الاموال المشـتركة وللزوجة حينئذ أن تتزوج من غير عدة . والفتيات فى الحبشة يتزوجن وهن دون الثالثة عشرة .

والنوع الثالث هو الزواج الدينى ويعقـد على يد كاهن فى الكنيسة وهو زواج ثابت لا سبيل لفسخه . واذا توفى أحد الزوجين عقب عقد الزواج يحظر الزواج على الآخر فلذلك كان الاقبال على هذا الزواج قليلاً جداً . ومنهم من يستبدلون الزواج المدنى بالدينى متى طال أجل زواجهم ولم يعـد لهم أمل بالزواج ثانية . والوالدات يرضعن أولادهن نحو أربع سنوات . واذا مرضت النفساء تعالجهـا القابلات فالـكهنة بقراءة الانجيـل واعطاء مسحوق بعض الجذور والنباتات والأهلون شديدو الايمان بقدرة الـكهنة على شفاء المريض

والأحباش كثيراً ما يصابون بالدودة الوحيدة لاكثارهم من أكل اللحم النيىء ويعالجونها بشرب عصير ورق شجر يسمى « قوسو » ويشربون القهوة بعده ولـكن الإكثار من هـذا العصير يفضى الى الموت .

ويعالجون الرمد والصداع والحمى الراجعة وسوء الهضم بالفصد فى الجبين ويعالجون الزكام وأوجاع المفاصل بالكى بالحديد المحمى . وأما الأمراض الأخرى فتداوى بالحشائش والنباتات المغلية

ومن تقاليد المسيحيين والمسلمين أنهم لا يتناولون الطعام على

مائدة واحدة ولا يأكلون من ذبائح واحدة ولا آنيـة واحدة وقد يكونون أخذوا ذلك عن الاسرائيليين

ومن الأطعمة المألوفة عند الكبراء « الزيتى » وهو لحم يقلى بالسمن والفلفل الاحمر ، و « تسمى » ويشبه اللحم المشوى ثم اللحم النيء مع الفلفل الاحمر ويسمى « برندو » ، ثم « سيرو » طعـام الاحباش جميعاً وهو عبارة عن عجين يطبخ بالماء والفلفل الاحمر ودقيق العدس أو الحمص أو الفول وهوطعامهم الوطنى . وهناك أطعمة أخرى نظير « امباشا » ويصنع من دقيق القمح ويطبخ فيالفرن و « دابّو » ويعمل من دقيق الحنطة و « غوتنفو » وهو عبارة عن عجين يحشى باللحم ويقلى بالسمن و « كالكال » وهو اللحم المسلوق . وهم يشربون مرقة الفلفل حتى كبارهم ورجال البلاط ويغمسون فيها الخبز المسمى « انجره » . وهناك نوع من العصيدة يعمل من دقيق الذرة والفاصوليا والشعير والحنطة والفلفل ، ونوع من الفطير يسمى « برانجيرا » يشبه البغاشة ، و « دانفلو » وهو عجين يجعلونه قطعاً كروية يحمصونها على الصاج مع الفلفل ، و « باصديرمه » وهو نوع من اللحم يأكلونه فى أسفارهم . والفلفل عندهم يحل محل الملح فيدخل فى جميع أطعمتهم ويكثرون من أكله مع أنه كاوٍ جداً له فعل الخردل .

ومن مشروباتهم « تج » و « برز » وهما من المشروبات اللذيذة الطعم النافعة ويستقطرونها من العسل بعد أن يضيفوا اليـه

مسحوق نبات يسمى «كجو» ويشبه الدفل وشيئًا من جذور شجر معروف عندهم من خصائصه ترويق المشروب وجعل لونه مماثلا للون الشمبانيا . والتج مشروب المسيحيين وأما البرز فيشربه المسلمون ولذلك لا يضعون فيه نبات كجو ولا يخمرونه كثيراً ويحل عندهم محل الماء . وهنالك شراب آخر يسمونه « طاللا » وهو بيرة الأحباش الوطنية كما أن نبيذهم الوطني هو « تج » ويشربونه خصوصاً في الأفراح والاحتفالات . وكانت الآنية التي يشربونه بها القرن ثم أخذوا يشربونه بالاقداح البلورية والجامات والقرون الحديدية .

وللقوم عادات جاهلية غريبة منها أنهم يأتون بالعجل السمين ويفصدونه ويمتصون دمه ثم يسمنونه ويفصدونه ثانية للغاية نفسها . وما يفعلونه بالعجل يفعله الرعاة بمواشيهم ولاسيما « الاداليون » فان شرب دماء المواشي مألوف عندهم وهم على جانب عظيم من الشجاعة فالادالي يهاجم وحده ثلاثة اسد ويصرعها على ما يزعمون ولا سلاح بيده سوى الرمح والترس .

والحبشي شديد التمسك بقوميته حريص على حريته الشخصية وهذا ما يجعله قليل الثقة بالاجانب وعلى الأخص الأوربيين لاعتقاده بأنهم يسلبونه هذه الحرية ويقيدونه بقوانين وأنظمة هي في نظره شراً من الاستعباد ، وهذا ينطبق خصوصاً على أهل الريف . أما أهل المدن فأكثر استعداداً لقبول الحضارة العصرية وهم أقل تمسكا من الفلاحين بالتقاليد القومية .

وأكثر الاحباش يعززون كلامهم بالقسم ويشفعونه بمختلف الاشارات اليدوية تأييداً له . فيقسمون مثلا بالقديسين والأولياء والزعماء والأشياء المقدسة عندهم

أما الملابس فمؤلفة من لباس (بنطلون) ضيق يستر الفخذين وقميص طويل حتى الركبتين ورداء فضفاض يرتدون به فى الشتاء . والحبشى يمشى حافياً إلا اذا كان من الرؤوس أو كبار الزعماء فيلبس حذاء بسيطاً . ولباس الرأس عندهم القبعة حتى فى الأقاليم وهى شائعة فى المدن بين الجنسين . ولباس المرأة جلابية تشد على الجسم ، وأكثر النساء يسترن وجوههن بنقاب بحيث لايظهر من الوجه سوى العينين.

وتقصير الشعر عادة مألوفة عندهم وهى شائعة بين الرجال والنساء . أما الأولاد فتحلق رؤوسهم ، وكثيراً ما تترك لهم خصلة من الشعر فى قمة الرأس

وأهل الطبقة الوضيعة متصفون بانحطاط الأخلاق ولا سيما فى المدن وهذا يرجع إلى تفشى الجهل فيهم . قال الدكتور جورج حجار فى كتابه «اثيوبيا بعد الحرب العظمى» المطبوع فى سنة ١٩٣٠ ما تعريبه: «... أما المرأة فيتعين عليها أن تستسلم والتى تأبى الاستلام الى الرجل الذى يطلبها عدّ ذلك عاراً عليها . وعلى الرجل أن ينفق عليها وإلا يكون قد اخلّ بالواجب المفروض عليه وحينئذ تقاضيه إلى المحاكم فتحكم عليه بدفع النفقة وأحياناً بالسجن اذا هو عجز عن أدائها وكثيراً ما يكون

الحكم صارماً » وهذا ما يصح أن يوصف بالزواج العرفي ص ٥٤ [1]

على أن حالة المرأة فى هذه السنين الأخيرة تحسنت كثيراً ، وكثيرون من الاحباش أخذوا يعنون بتعليم البنات وتثقيفهن عنايتهم بتعليم الذكور وتثقيفهم

والركائب عندهم هى البغال للرجال والنساء . على أن ركوب الخيل محتكر للرجال دون سواهم . وركوب النساء لا يختلف عن ركوب الرجال وهى عادة مألوفة فى أكثر انحاء الشرق

والتحية عندهم علامتها الانحناء حتى الأرض ، ولها عندهم كلمات وتعبيرات مختلفة تماثل فى جوهرها ما هو متبع عند المصريين والسوريين وسواهم من أهل الشرق الأدنى

وفى المراسلات يفتتح الكلام بكتابة اسم الموجهة اليه الرسالة مشفوعاً بعبارات التبجيل والتعظيم ويليه اسم الراسل تأدباً ثم الديباجة المألوفة فى الرسائل العربية . ولا يتركون بياضاً فى آخر السطور حذراً من أن يضاف شيء الى الرسالة لا يريده صاحبها . أما الختم أو الامضاء فتذيل به الرسالة بحيث يكون لاصقاً بآخر سطر منها .

---

(١) الدكتور سحار ليس اول من يقول بذلك فقد جاء فى محاضرة القاها المرحوم المونسيور كيرلس مقار القائمقام البطريركي على طائفة القبط الكاثوليك فى الجمعية الجغرافية الخديوية فى ١٦ دسمبر سنة ١٨٩٦ على اثر رحلته الى الحبشة فى مهمة سياسية انتدبه لها قداسة البابا لاون الثالث عشر ما ترجمته : « ان انحطاط الاخلاق فى هاتيك البلاد مما تبرأ له القلوب فالزواج المسيحى الحقيق قليل جداً خلافاً للزواج العرفى فهو شائع كثيراً فالرجل يتزوج اليوم ليبطل زواجه غداً وهذا علاوة على تعدد الزوجات وهو من الامور المألوفة هناك فى جميع الطبقات الخ »

الرق فى الحبشـــــة

الرق نوع من الاستعباد وبعبارة أصح هو نوع من الاستملاك يحرم على المرء الاستمتاع بما خوله الخالق من الحقوق الطبيعية والوضعية. والرقيق فى اعتبار الذين استباحوا استرقاقه من الأقدمين متاع بمجرد استعباد الغير له يفقـد شخصيته وحقوقه البشرية ويصبح فى حكم الأشياء المملوكة،لصاحبه حق التصرف المطلق فيه،ليس له ما للانسان الحرّ من حق فى الحياة فهو مسخر لإرادة سيده،له ان يميته متى شاء، وان هو تركه يحيا فلكى ينتفع بعمله ويهنأ بشقائه وينعم بلذة الحياة على حسابه. ولذلك حظر على الرقيق قديمًا أن يكوّن عائلة وأن يرث أو يورث باعتبار أن زواجه كان يعدّ اجتماعًا جنسيًا لا صلة للزواج الحقيقى به. ولم يكن له أن يقتنى أملاكاً أو يستدين أو يتعاقد أو يقاضى أحداً. واذا اعتدى عليه تولى سيده الدفاع عن حقوقه باعتباره ملكاً له. ولسيده أن يطلقه متى شاء ولكن مجرد إطلاقه له لايجعله حراً مطلقًا من قيود العبودية بل فى استطاعة أى كان من الناس أن يمتلكه.

والرق عند الأقدمين على نوعين: إما أن يكون الرقيق مولوداً من أم مستعبدة وحينئذ يكون مصيره كمصير والدته وإما أن يقع فى الأسر فيستعبد بحكم القوة هو وكل من ينتسب الى قبيلته ووطنـه الذين تجرى عليهم أحكام الغالب على المغلوب

وهناك حالات معينـــة يستباح فيها استعباد الأحرار منها إذا أصر المدين على عدم دفع دينه واذا ضبط اللص متلبساً بجريمته واذا كان للمرأة الحرة صلة برقيق واستمرت هذه الصلة برغم إرادة سيده

والرق عريق في القـــدم يرتق إلى العصور الأولى للبشرية . وقد استساغه العبرانيون وأقرته التوراة كأمر مشروع وكذلك اليونان والرومان . والارقاء عند الرومان هم أسرى الحرب وغيرهم من الذين تجرى عليهم أحكام الغالب على المغلوب فكان تجار الرقيق يرافقون الجيوش ويبتاعون الأسرى بالمزاد بصفقات كبيرة على أن يبيعوهم في الأسواق بصفقـــات صغيرة . وكثيراً ما كان عدد الأرقاء يزيد على عدد السكان الأحرار لأن أبناء الجوارى كانوا يعدّون في جملة الأرقاء . وفي رومية كان الأرقاء يؤلفون طبقة خاصـــة محتقرة تعدّ بمنزلة المتاع والقنية تستخدم للإستمتاع بها والانتفاع بعملها . ولم يكن الرومان يعترفون لهم بحق مدنى ، فليس للرقيق حق في إرث أو هبة أو ممتلكات كائنة ما كانت ، فكل ما هو له هو لسيده ، وشأنه في كل ذلك شأن الوسيط يعمـــل لسواه بلا أجر ولا مكافأة . وقد مضى الرومان في هذا الاستعباد إلى أبعد مدى حتى أن حياة الرقيق وموته كانا مرهونين بإرادة سيده . وما زال الحال كذلك حتى اشتد ساعد الأرقاء فتمردوا وقاسى الرومان الأهوال في قمع ثورتهم . ظهرت بوادر العصيان أولاً في سيسيليا ســنة ١٣٥ ق . م وظلت نار القتال محتدمة عامين كاملين . ثم عادوا إلى شق عصا الطـــاعة في سيسيليا

نفسها سنة ١٠٥ ق . م فكانت هذه الثورة أشد من الأولى وطال اجلها حتى سنة ١٠٢ ق . م ثم كانت الثورة الثالثة وقد اضطرمت نارها فى إيطاليا وكانت أشد خطراً على الرومان من سابقتيها حيث انضوى تحت راية اسبرتا كوس قائدها سبعون الف مقاتل من الأرقاء زحف بهم على رومية فكادت تسقط فى يده . وقد دامت هذه الحرب من سنة ٧٣ إلى سنة ٧١ ق . م

على أن الأرقاء فى عهد الرومان لم يحرزوا حتى بعد تحريرهم كل ما كان المولودين أحراراً من الحقوق ، بل كانوا يسمون بأسماء سادتهم بعد أن أصبح هؤلاء السادة رؤساء لهم لا تعدو صلتهم بهم صلة الخادم بالمخدوم . وكذلك الحال من الوجهة السياسية حيث لم يكن للارقاء أن يرقوا إلى بعض المناصب العالية ولا أن يتزوجوا من طبقة المولودين أحراراً . وفى عهد الامبراطورية أحرزوا تدريجاً حق المساواة بالمولودين أحراراً حتى ان أفراداً منهم توصلوا إلى أرقى المناصب السياسية . وكانوا يمتهنون المهن والحرف التجارية والصناعية التى كان الأحرار يترفعون عنها . ومنهم من شغلوا مناصب مستشارى الامبراطور نظير نرسيس مثلاً . والتاريخ يذكر منهم أفراداً من رجال النبوغ والعبقرية نظير تيرنس وايزوب وفيدر وهوراس الشاعر الرومانى الشهير وهو ابن أحد الأرقاء المحررين .

على أن الرقيق عند الرومان وسواهم كان فى استطاعته أن يشترى حريته بما كان يدخره من المال الذى كان يجود به سيده عليه بين حين

وحين ولا سيما بعد أن أصبح الرقيق يعد في نظر سيده معاونا نافعا له

وقد حرر الأرقاء في كثير من الأقطار ما عدا بعض البلدان الافريقية . ففي روسيا حول الرق الى نوع من الاستعباد الخفيف الوطأة في عهد نقولا الأول. والغي بين سنتي ١٨٦١ و ١٨٦٥ في عهد اسكندر الثاني . وفي الهند الانجليزية الغي في سنة ١٨٣٣ ، وفي المستعمرات الفرنسوية سنة ١٨٤٨ ، وفي البرازيل سنة ١٨٨٨ . أما في الولايات المتحدة فلم يلغ الا في سنة ١٨٦٥ على أثر حرب التحرير التي ظلت مستمرة خمس سنوات متواصلة (١٨٦٥ — ١٨٦٠)

أما في الحبشة فمع أن الرق غير مشروع وقوانين البلاد لا تجيزه فهو في واقع الأمر موجود لا سبيل لانكاره وله من طبائع الاحباش وأخلاقهم وتقاليدهم المرعية ما يجعله في مقام الامور الجوهرية التي تمس اليها الحاجة لأن الرقيق عندهم يؤدي من المهام ما لا يؤديه الرجل الحر لما هو معروف عن الاحباش من التواكل والميل الى البطالة والانصراف عن العمل المنتج الى الصيد والقنص والنزوع الى الغزو والحرب جرا للمغانم وحب الاستمتاع بملاذ المعيشة ونعيم الحياة والاعتماد في تأمين الرزق على الغير إلى غير ذلك من العوامل التي تجعل للرق عندهم أهمية خاصة ، ولا سيما أن الاديان المنزلة تعترف بوجوده وتقره إذ ليس في التوراة ولا في الانجيل والقرآن ما يستنكره فضلا عن أنه يتفق مع الحكم الاقطاعي الذي تخضع له الحبشة . فالرؤوس والزعماء يعتمدون على الأرقاء في كثير من شئونهم فليس من المعقول أن يسلموا بالغاء

الرق إلا مرغمين . وهيهات أن تتمكن سلطة من اكراههم على الاذعان لها فى ذلك وهم سادة البلاد وحكامها وولاة أمورها الحقيقيون

والرق فى الحبشة هو الاستعباد بعينه كما كان شأنه عند الرومان وسواهم من الشعوب القديمة . ووجه الاختلاف محصور فى هذا الأمر وهو أن حكومة الحبشة لاتعترف به رسمياً بل أن القانون هناك يفرض عقاباً صارماً على الذين يتجرون به . والأرقاء فى الحبشة هم أسرى الحرب وأعقابهم وكل من ينتسب الى القبائل المسالمة التى تدين بالطاعة للرؤساء المغلوبين

وللرقيق فى الحبشة الحق فى تكوين عائلة ولكنه مكره على أن يعمل لسيده بلا أجر . على أن الحكومة والكنيسة تخصانهم أحياناً ببعض هبات مالية لقاء ما يسدون اليهما من الخدمة عند الحاجة ، ولهم أن يحفظوا هذه الهبات لأنفسهم لأنه ليس لسادتهم أن يكرهوهم على التخلى لهم عن أموالهم

والرقيق فى الحبشة يعدّ فى الغالب من أعضاء الأسرة ويعامل معاملة أبنائها ولكنه محروم من حق الإرث

وبالإجمال أن الرقيق فى الحبشة أحسن حالاً مما كان فى القرون الوسطى . ولذلك لا ينتظر أن تجتمع كلمة الأرقاء فيها على مطالبة ولاة الأمور بتحريرهم ومساواتهم بغيرهم من مواطنيهم الأحرار أو ان يحملوا علم الثورة كما فعل عبيد سيسيليا والولايات المتحدة مثلا فالامر

موكول الى الزمن وتطورات الحالة السياسية والاجتماعيــة فى هاتيك البلاد وهو ما لم تظهر بوادره الى وقتنا هذا

وما برح الرق فى الحبشة منذ اتجهت أبصار دول الاستعمار الى هذه البقعة من القارة الافريقية موضع اهتمام رجال السياسة وأرباب الأقلام. وكثيراً ما حملت الصحف الأوربية والاميركية على الحكومة الحبشية من أجل تجارة الرقيق ورمتها بالتهم الشائنة لفتاً لأنظار العالم المتمدن وحثاً للدول على مطالبتها بابطالها والقضاء على أعوانها ودعاتها . وقد اتخذت أوربا هذه المسألة حجة للتدخل فى شئون الحبشة ولاسيما انجلترا لما لها هناك من المصالح الحيوية ولأنها تعلم ان البلاد غنية بمواردها الطبيعية فضلا عن أن استيلاءها عليهـا يعزز سيطرتها على السودان وشرق افريقية ويوطد مقامها فى مصر

أن الغاء الرقيق فى الحبشة ليس من الأمور القريبــة المنال فلا يستطاع تحقيقه بجرة قلم لا لأن الرؤوس والزعماء يعدون من أكبر دعاته ومريديه فقط بل لأن أهل الطبقــة السفلى هم من الغباوة وانحطاط الاخلاق بحيث لايمكن أن يصلحوا الا للاستعباد

على أن غير واحد من ملوك الحبشة جاهد جهاداً حسناً فى سبيل ابطال تجارة الرقيق ومن ذلك ان الملك يوئس أصدر فى سنة ۱۸۸۱ أمراً بالغائها . وكان منليك قد أصدر فى ســنة ۱۸۷٥ مرسوماً بمنع النخاسة . وفى ۲۸ نوفمبر سنة ۱۸۷۸ كتب الى ملك إيطاليا ما ترجمته : « اتصل بى ان جامعة الأمم المسيحية اتفقت على السعى لالغاء الرق

وحيث انى لا أريد أن أنفصل عن هذه الجامعة التى تعمل لتحرير الجنس البشرى فقد رأيت أن أنبئكم بأن من يقع فى الأسر من أهل الغالا الذين دوخت بلادهم أطلق سبيله ، وقد حدث مرة أن أتانى الجند بخمسة آلاف أسير وأتونى مرة أخرى بعشرين الف أسير من هؤلاء العبيد فاخليت سبيلهم » وختم كتابه بما يؤخذ منه انه «يطلب من أوربا أن ترسل اليه سلاحاً لصون عرشه وتمدين بلاده وابطال تجارة الرقيق تحقيقاً لرغبة جامعة الأمم المسيحية »

وبعد أن استتب الأمر لمنليك ورأى أن تجارة الرقيق لا تزال على سابق عهدها من الرواج أحب ان يعالجها معالجة حاسمة استئصالا لجرثومتها فأصدر فى سنة ١٨٨٩ مرسوماً بابطال النخاسة وفرض عقاب صارم على الذين يتجرون بها . ولما آل العرش الى الامبراطورة زاوديتو حذت حذو أبيها منليك فأصدرت مرسوماً فى سنة ١٩١٨ بهذا الشأن

أما الامبراطور هيلاسلاسى فما زال منذ كان كفيلا للمملكة يجاهر بأن الحكومة الحبشية عاملة على الغاء الرقيق . وبعد أن توفيت الامبراطورة زاوديتو وخلفها على العرش أصدر مرسوماً فى سنة ١٩٢٣ يقضى بابطال النخاسة . وأصدر مرسوماً آخر فى هذا الصدد فى سنة ١٩٣٤ . وإذ أيقن أنه لم يفلح فى ابطالها اصدر مرسوماً آخر بمعنى المرسوم الآنف الذكر فى النصف الأول من سنة ١٩٣٥

على أن هذا الاهتمام من جانب ملوك الحبشة بمسألة ابطال النخاسة

والغاء الرقيق لم يأت عفواً فهم يشعرون كسائر الحكام والزعماء فى الحبشة انهم يكادون لا يستغنون عن الارقاء ولم يبدُ حتى اليوم من هذه الطائفة المستعبدة لهم ما يكرههم على النظر فى أمرها الى الوجه الذى يتفق مع مصلحتها وانما اكرهوا على ذلك بما رأوا من اهتمام العالم المتمدن بها وصدق رغبته فى معالجة حالتها بما يطابق روح الحضارة العصرية ولذلك لما عمدت جمعية الأمم فى سنة ١٩٢٦ الى النظر فى أمر النخاسة بادرت حكومة الحبشة الى تلبية دعوتها . وكان مندوبوها فى جملة ممثلى الدول الذين وقعوا المعاهدة التى عقدت فى جنيف بابطال الرقيق ومحاربته (٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٦)

ولما تفاقم الخلاف بين ايطاليا والحبشة فى النصف الأول من سنة ١٩٣٥ ورأى الامبراطور هيلاسلاسى ان مسألة النخاسة فى مقدمة المسائل التى تتخذها إيطاليا حجة على همجية الحبشة وتقهقرها وانحطاط أخلاق الاحباش وأصدر المرسوم الذى أشرنا اليه فى ما تقدم بابطالها علقت الصحف الأوربية الكبرى على نبأ هذا المرسوم بما يدل على اقتناع الرأى العام فى العالم المتمدن بأن النخاسة فى الحبشة تقاليد قديم يتعذر ابطاله بحكم القوانين والمراسيم التى تصدرها الحكومة الحبشية وانه قد تنقضى حقبة طويلة من الدهر قبل أن يتخلى الاحباش عن هذا التقاليد ويدخل فى حكم التاريخ . وقد كتبت جريدة « جورنالى ديطاليا » فى هذا الصدد فى أواخر مايو سنة ١٩٣٥ فقالت ما ترجمته :

« ولو سلمنا جدلاً بحسن نية النجاشى فلا يسعنا التسليم بأن فى الحبشة سلطة مركزية تستطيع أن تملى ارادتها على المقاطعات وهذا علاوة على أن الرق فى الحبشة يعدّ أمراً مشروعًا وكل تدخل أوربى لمنعه يعدّ تدخلاً فى شئون الحبشة الداخلية . وقد سبق للرأى العام هناك أن اتهم النجاشى هيلاسلاسى بأنه باع نفسه من الأجانب لما أصدر المرسومين السابقين بالغاء النخاسة

« ويرى الرأى العام الايطالى أن المرسوم الجديد لن يؤدى إلى نتيجة سوى نشاط تلك التجارة والمبالغة فى كتمانها . » إلى أن قالت : « واذا فرض المستحيل وعمدت الحبشة إلى الغاء النخاسة فيجب على العالم كله أن يعترف بأن الفضل فى ذلك يرجع الى ايطاليا والى التدابير العسكرية التى اتخذتها على حدود الحبشة . »

ويؤخذ من عدة تقارير قدمت الى جمعية الأمم فى السنوات الأخيرة عن الرق فى الحبشة ان الأحباش الأصليين لا يزيد عددهم على ثلاثة ملايين نفس ولا يشغلون سوى ثلث مساحة البلاد وما بقى منها تشغله قبائل إفريقية مختلفة العناصر تدين بالطاعة العمياء للرؤوس أو ملوك الأقاليم وتخضع لنظام الحكم الإقطاعى الذى من أخص ملازماته الرق على أنواعه وتعدد أشكاله حتى ان الممولين فى هاتيك الأصقاع كثيراً ما يؤدون بقيمة الاموال والضرائب المفروضة عليهم عبيداً من الأطفال والنساء .

وأخص ما يسترعى الانتباه من التقارير التى وضعت فى هذا

الشأن تقرير اللورد نوكستن وتقرير اللورد بولوارث وأهمها تقرير اللورد لوجارد مندوب عصبة الأمم فى سنة ١٩٢٢ ومما جاء فيه قوله : « لا ريب في أن هناك نحو عشرة آلاف رقيق يساقون كل سنة إلى جنوب الحبشة ليعرضوا فى الاسواق فى الشمال الغربى منها » وفى سنة ١٩٢٥ أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض أحصت فيه عدد الارقاء فى الحبشة . وأكثر الأرقاء يؤتى بهم إلى دور الرؤساء والزعماء ورجال الحرب . ومنهم من يرسلون الى البلاد العربية ومعظمهم من النساء الشابات والخصيان .

وفى كتاب « أسواق الرق » الذى أنشأه سنة ١٩٣١ جوزيف كسيل الملحق بسلاح الطيران الفرنسوى ما يؤخذ منه « أن رجال الدين أنفسهم يعارضون فى الغاء الرق لأن الشرائع المنزلة تعترف به وتقاليد البلاد تقرّه »

وفى تقرير للكبتن كوشران حاكم ميناء مويال : « ان كل حبشى يمتلك فى أقل تقدير عبداً واحداً ومعنى ذلك أن هناك مليونى عبد وهذا علاوة على ما عند الحكام والرؤساء من الارقاء العديدين وعلى ما هنالك من أهل البلاد المستعبدين الذين ليسوا من الاحباش الاصليين » . وفى تقارير أخرى لبعض الموظفين الاوربيين فى هاتيك البلاد أن « الارقاء فيها لا يقلون عن خمس السكان » .

وفى سنة ١٩٢٢ نشر الماجور ديرلى العضو الانجليزى فى لجنة تعيين الحدود الحبشية بالاتفاق مع الدكتور دايس شارب مقالاً فى

عدد يناير من جريدة « وستمنستر غازيت » جاء فيــه : « ان فى الحبشة بقاعاً شاسعة تصلح للزراعة لا ديار فيها ولا نافخ نار لأن أهلها سيقوا الى أسواق العبيد » . وهناك عدة تقارير فى هذا الموضوع للحكام الانجليز فى كينيا والسودان وغيرهما وكتاب انشأته اللادى سيمون عقيلة الوزير الانجليزى المعروف

المذاهب الدينية

فى الحبشة أربعة مذاهب دينيــة : الوثنى واليهودى والمسيحى والاسلامى . وحسبنا أن نذكر ما يتسع المقام له عن كل منها :

الدين المسيحى

أول دخول الدين المسيحى الى الحبشة كان بحسب التقاليــد الحبشية فى سنة ٧٠ ميلادية على يد رجل يهودى من الأحباش حج إلى القدس وعند عودته منها التقى فى غزه بالقديس فيلبس الانجيلى [١] فهداه الى الإيمان الصحيح فكان أول من آمن بالمسيح من الاحباش وأول من بشر بتعاليمه بين قومه . والى ذلك العهد يرتقى تاريخ أول كنيسة قامت فى مدينة اكسوم عاصمة اثيوبية على اسم العذراء مريم (سيدة صهيون)

---

(١) من مدينة قيصرية المعروفة بقيصرية فيلبس نسبــة اليه وهى من مدن كبدوكيا القديمة فى آسيا الصغرى . وفيلبس هذا هو أحد الانجيليين السبع الاولين وقد توفى سنة ٨٠ م وهو غير فيلبس الرسول الذى يزعم بعضهم خطأ انه هو الذى هدى اليهودى الحبشى الى الايمان المسيحى

غير أن هذه البزرة الأولى التى بزرت فى أرض الحبشة لم تنبت وتثمر ثمرها المطلوب إلا بعد حقبة من الدهر لأن الوثنية كانت متغلغلة فيها تعمى الأبصار عما تنطوى عليه الأديان المنزلة من الحقائق الراهنة وكانت الفتن الداخلية تمزق أحشاءها وتحول دون كل خير يراد بها . فظلت لذلك تتخبط فى دياجى الوثنية إلى أوائل القرن الرابع للميلاد حيث فيض الله لها أن تبصر نور الحق على يد القديس فرينتوس

ذلك ان فيلسوفاً من صور اسمه ميروبيوس كان مسافراً إلى الهند ومعه ابناه فرينتوس واديسيوس ورست بهم السفينة على شاطىء الحبشة فأسرهم أهلها وفتكوا بأكثر الملاحين وجلس فرينتوس واديسيوس يضرعان إلى الله أن يرد عنهما شر هؤلاء الأشرار فاستغرب الأحباش أمرهما وساقوهما إلى الملك فى اكسوم عاصمة الحبشة فأحبهما واستخدمهما فى بلاطه ثم جعل فرينتوس خازنه وكاتب يده ورأى من ذكائه وفطنته وأمانته ما زاده ثقة به وبأخيه . ومات الملك فخلفه ابنه أبرهة وهو حديث السن فأطلق للأخوين الحرية فاستأذنه اديسيوس بالعودة إلى وطنه وبقى فرينتوس فى اكسوم فعهد اليه وصى الملك فى تعليمه وتثقيفه فعلمه الانجيل وحبب اليه النصرانية فاعتنقها وصمم على نشرها فى الحبشة رسمياً ثم سافر فرينتوس إلى القسطنطينية وقص حكايته على الملك قسطنطين ورأى من تنشيط والدته هيلانه (القديسة) له ما حمله على المضى فى مهمته فشد الرحال إلى الاسكندرية فرحب به البطريرك



﴿ الأنبا متاوس ﴾

اثناسيوس وعقد مجلساً وافق فرومنتوس على رغبته فى نشر النصرانية فى بلاد الحبشة وسامه البطريرك أسقفاً على اكسوم . فعاد فرومنتوس إلى الحبشة سنة ٣٢٦ م فرحب به الملك أبرهة وشجعه على نشر تعاليم النصرانية فيها فجعل مركزه فى اكسوم واتخذ اسم أبى سلامه وهو أول أساقفة الحبشة وقد أثبتته الكنيسة قديساً

وأثبت مجمع نيقية الحاق الحبشة ببطريركية الاسكندرية فأصدر قراراً قال فيه : « ان الأحباش لا يجوز لهم الاستقلال بأمورهم الدينية وانما هم تابعون للكرسى الاسكندرى »

وفى الحبشة علاوة على المطران القبطى رئيس دينى حبشى يسمونه « اشغا » أى أرشمندريت وله حق الرئاسة على جميع رجال الدين هنالك وعددهم نحو ١٢ الف راهب

وما زالت الحبشة قانعة بمطران واحد إلى عهد الملك يوحنا فطلب من البطريرك الاسكندرى أن يرسل اليه بعض الاساقفة فبعث اليه فى سنة ١٨٨١ أربعة أساقفة جعل أحدهم رئيساً باسم المطران وهو الأنبا بطرس ومعه الانبا متاؤس . فلما قتل الملك يوحنا طلب منليك من متاؤس أن يمسحه امبراطوراً ففعل ورقاه البطريرك إلى منصب المطرانية . وامبراطور الحبشة يعترف بسيادة القبط على كنائس الحبشة ويحترم المطران احتراماً عظيماً ؛ ولذلك ترى رجال الاكليروس يتمتعون فى بلاد الحبشة بسلطة عظيمة . وهذا هو السر فى ما يرى من تدخلهم فى شئون الحكومة حتى فى البلاط الامبراطورى

وهو ما كان يؤدى فى كثير من الاحيان إلى دسائس وقلاقل وفتن عادت على المملكة بأوخم العواقب

على أن هناك رأي آخر فى دخول النصرانية بلاد الحبشة يسنده ذووه الى أصح المصادر وأصدقها . ذلك أن سكان الحبشة جاءوها من أزمنة مختلفة ومن جهات شتي ومن ثم فهم يقسمون من حيث منشأهم ومن حيث مذاهبهم الدينية أيضاً إلى عدة أقسام أهمها قسمان كبيران هما بمنزلة أصلين عامين للسواد الاعظم من القبائل المستوطنة فى هاتيك البلاد

فالقسم الأول يشمل جميع الذين جاءوا اليها من بلاد الهند قبل الاكسوميين بحقبة طويلة واحتلوا منها المنطقة الواقعة بقرب العربية السعيدة المعروفة فى الكتاب المقدس ببلاد سابا ويقال لها الهند الداخلة والهند الخارجة . وأول من بشر هؤلاء بالايمان المسيحى برتلماوس الرسول وتبشيره كان بالسريانية الكلدانية لشيوعها إذ ذاك فى تلك الأصقاع . ويذكر بعض المؤرخين أن بولس الرسول قدم من دمشق الى هذه البلاد وبشر أهلها اليهود المعروفين بالهنود والحبش والساميين بلغاتهم الخصوصية وهى السريانية والكلدانية والعربية

والقسم الثانى يشمل قوماً من الحميريين اتحدوا مع العرب واجتازوا البحر الأحمر واجتاحوا اقليم تيغرى فى القسم الأعلى من بلاد الحبشة المعروف عند الأقدمين بالهند الداخلة أو القصوى وهى

فوق بلاد النوبة فتغلبوا على أهله وأنشأوا هناك مملكة اكسوم فى زمن متأخر عن عهد مجىء القسم الأول الى هاتيك البلاد وأطلق عليهم اسم اكسوميين . وهؤلاء تلقنوا الإيمان المسيحى من متى الرسول وكانت لغتهم الكنسية مخلوطة بالسريانية الكلدانية . وأكد بعض العلماء انهم عند دخولهم اقليم تيغرى كانوا يدينون بالدين العبرانى لانتسابهم الى العبرانيين وانهم آمنوا بالمسيح فى أوائل القرن الرابع أى نحو سنة ٣٢٧ م على يد القديس فرومنسيوس بن ميروبيوس الفيلسوف الصورى ويعرف عندهم باسم فريموناتوس وانبا سلامه وذلك فى عهد الملك قسطنطين الكبير. ولما برح فرومنسيوس بلادهم الى الاسكندرية وأنبأ القديس اثناسيوس أسقفها يومئذ بتنصرهم على يده سامه أسقفاً عليهم فعاد اليهم فى سنة ٣٢٦ (أو ٣٢٩) وعمد كثيرين منهم وسام كهنة وشيد لهم عدة كنائس وبذلك انتشر الدين المسيحى فى تلك البلاد . ومن ذلك الحين جرت العادة أن يتولى شئون الاحباش الدينية أسقف يسميه بطريرك القبط الاسكندرى . ولما اتبعوا البدعة المنوفيزية ظل هذا البطريرك يعين لهم أسقفاً قبطياً على المذهب المونوفيزى الى أيامنا هذه

غير أنه حينما تسلط العرب المسلمون على الديار المصرية فى سنة ٦٤٠ م بقيادة عمرو بن العاص فى خلافة عمرو بن الخطاب انهزم بطريرك القبط من الاسكندرية وأصبح هؤلاء بغير بطريرك وانقطعت الصلات بين الأحباش وكنيسة الاسكندرية حقبة من

الزمان كان يدير شئونهم الروحية فيها بطريرك لاتيني يقيم بين ظهرانيهم . واذ لمّ القبط شعثهم واسترجعوا بعض ما كان لهم من الشأن والنفوذ قبـل الفتح العربي استعادوا بطريركية الاسكندرية في سنة ٧٣٧ م وعاد بطريركهم يسمى للأحباش أساقفة من القبط

المنوفيزية — أما اعتناق الأحباش والنوبيين المنوفيزية[1] فكان في القرن السادس . وأول من بثها بينهم انما هو البطريرك ثيودوسيوس الاسكندري وليس في القرن الخامس على يد ديسقورس

---

(١) يفهم بالمنوفيزية « الطبيعة الواحدة » وخلاصتها ان للمسيح طبيعة واحدة فقط وهي الالهية تلاشت فيها الطبيعة البشرية كقطرة من الخل وقعت في بحر لا قرار له

وقد اتبع هذا المذهب كثيرون من المسيحيين في المشرق كالسريان والارمن والقبط والاحباش . وأول من قال به الراهب اوطاخي في سنة ٤٤٨ م وحذا حذوه يعقوب البرادعي أو البردعاني وساويرس الاوطاخي :

١ — ان اوطاخي كان قسا يونانيا يرئس ديرا كبيراً بالقرب من القسطنطينية وكان من المقربين في بلاط الملك تيودوسيوس الصغير ومن المعارضين لتعاليم نسطور . جاهر بالمنوفيزية وقاومه افلبيانوس بطريرك القسطنطينية وأدى الامر الى عقد مجمع افسس سنة ٤٤٩ للنظر في أمره وتلاه مجمع آخر عقد في روميه ثم مجمع ثالث في خلقيدونية سنة ٤٥١ حرم تعاليمه

٢ — ساويرس الاوطاخي كان راهبا في دير توادورس بقرب غزه وقف نفسه على نشر بدعة اوطاخي وأنكر سلطة المجمع الخلقيدوني وتعاليمه وتمكن من اغتصاب كرسي البطريركية الانطاكية سنة ٥١٢ واضطهد الكاثوليك بقسوة شديدة وقتل ٣٥٠ راهبا من رهبان دير مار مارون في سورية ودك ديرهم وهكذا فعل في اكثر اديرة افاميا . ومات في مصر بعد أن رسخت تعاليمه فيها سنة ٥٣٩ او ٥٤٣ .

٣ — يعقوب البرادعي كان من أخص تلاميذ ساويرس البطريرك الانطاكي

كما يتوهم بعضهم . وكان انتشارها عندهم على يد الأساقفة الذين كان يعينهم بطاركة القبط لهاتيك البلاد وأخصهم يوليانس القس الذى صار فيما بعد أسقفاً ولذلك فان ايمان الأحباش شديد الشبه بايمان القبط

وقد اتخذ ملوك الحبشة هذا المذهب وأهله تحت رعايتهم الخاصة وجعلوه دين حكومتهم الرسمى فانتشر فى مملكة الأحباش انتشاراً كبيراً وأصبح دين الأغلبية الساحقة فيها

الدخيل الانف الذكر . وهو راهب سرياني أصله من تيلا اغتصب مطرانية الرها سنة ٥٤١ وأرسله ساويرس الى الشرق لنشر دعوته فجاهد في هذا السبيل مدة اربعين سنة وفاز باستمالة السريان والارمن والقبط وسماه اعوانه المطران المسكوني وتغلب اسمه على معظم المنوفيزيين فصاروا يسمون يعاقبة نسبة اليه . وقد قتله كسرى انوشروان ملك الفرس سنة ٥٧٥ م

والمنوفيزيون ثلاث فرق عامة مستقلة احداها عن الاخرى من حيث اللغة والطقس لكنها مشتركة فيما بينها بالمذهب المنوفيزى الذى اتخذته مذهبا لها وهى : اليعاقبة والارمن والقبط

١ — اليعاقبة : أن معظم اليعاقبة من السريان الذين يستوطنون سورية ويتبعهم فريق من نصارى الملابار في الهند ولهم معتقد واحد وطقس واحد هو السرياني

٢ — الارمن : ويعرفون بالبراصمة نسبة الى برصوما الراهب الذى أقرهم على مذهب المنوفيزية . أما هم فيسمون أنفسهم غريغوريين نسبة الى القديس غريغوريوس ويجمعهم وحدة اللغة والجنسية الاصلية ووحدة المعتقد والقانون الكنسي والطقس الارمنى

٣ — القبط : هم نصارى مصر وقد تعصبوا لديسقورس بطريركهم فيما يتعلق بالمنوفيزية التى بثها بينهم واستقلوا عن جميع الكنائس وتبعهم الاحباش في القرن السادس لانهم كانوا تابعين كما هم الآن لبطريركية الاسكندرية ولو أن لهم طقسهم الحبشى الخاص

وكنيسة الأحباش قائمة تحت إدارة مترو بوليت يسمونه « أبونا » وهو يسوسها باسم بطريرك القبط لأنه بمنزلة نائبه هناك إلا أن سلطته تعادل سلطة البطريرك الاسكندرى بالذات ولربما رجحت عليها وتفوق سلطة رؤوس الأحباش أنفسهم لتدين ملوك الحبشة ومبالغتهم فى اكرام رؤسائهم الروحيين الى حد انهم يرفعون منزلتهم الى مستوى يدانون فيه الأمراء والخاصة

الكاثوليك — أما الأحباش الكاثوليك فهم فئة من الأحباش المنوفيزيين انفصلت عنهم وخضعت للكرسى الرسولى الرومانى بعد أن اعترفت بالمذهب الكاثوليكى

وأول عهدهم بذلك يرتقى الى أواسط القرن الخامس عشر [1] حيث بعث زارا يعقوب ملك الحبشة سنة ١٤٤٢ الى البابا اوجنيوس الرابع يطلب الاتحاد مع الكنيسة الرومانية هو والاكليروس الحبشى . لكنهم مالبثوا ان تناسوا عهودهم وانفصلوا عن الوحدة الكاثوليكية وظلوا كذلك إلى أواسط القرن السادس عشر [2] فبعث

---

(١) ان هذه الفئة من الاحباش اعتنقت المذهب الكاثوليكى على أثر أقدام فريق من القبط في مصر على اعتناقه اى بعد مضى عامين على المجمع الفلورنتيني الذى عقد في سنة ١٤٣٩

(٢) ان لرجوع هؤلاء الاحباش الى الكثلكة صلة وثيقة برجوع الاقباط اليها في القرن السادس عشر على عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر ثم في أيام بطريركهم جبرائيل الثامن او « يوحنا الاسكندرى » على عهد البابا اكليمنضوس الثامن في أواخر القرن المذكور

ملكهم داود فى سنة ١٥٣٣ إلى البابا اكليمنضوس السابع يعرب عن احترامه له ورغبته فى الخضوع لسلطانه فانفذ البابا اليــه من رومية أسافقة ومتروبوليتًا باسم بطريرك الحبشــة . ثم الحق بهم مرسلين من رهبانية اليسوعيين تولوا أمر الكنيسة الحبشية الجديدة وقاموا بتدبير شئونها أحسن قيام وكان منهم بطريرك على الحبشــة باسم مندس « سنة ١٦٢٤ » . ولكن المنوفيزيين هناك عادوا فتغلبوا على الكاثوليك واستمالوا إلى جانبهم ملك الحبشة فطرد المرسلين من بلاده فى سنة ١٦٣٣ وبجلائهم عنها تلاشت الكثلكة فى هاتيك البلاد . ثم عادت إلى الظهور فيها فى ما يلى من الأيام ولكنها لم تنمُ بل ظلت منحصرة فى منطقة ضيقــة منها إلى أواخر القرن التاسع عشر حيث انتمشت وعادت إلى الانتشار . وكانت الامتيازات الأجنبية من أهم العوامل فى تعزيزها وفوز دعاتها ودرء شر المنوفيزيين عنهم

وفى الحبشة اليوم مرسلون من رهبانيتى العازاريين والكبوشيين على كل رهبانية منها نائب رسولى ترجع اليــه فى أمورها . وقد رد هؤلاء المرسلون الى الايمان الكاثوليكى عدداً كبيراً من الأحباش فى أقاليم مختلفة من تلك المملكة الفسيحة الأرجاء بحيث أخذ عدد الكاثوليك هناك يتزايد عامًا فعامًا حتى أصبح يقدر بعدة آلاف على رغم ما عانوا من المشاق فى سبيل مذهبهم الجديد وما قام من العقبات الكؤود فى وجه القائمين هناك بالدعوة إلى هــذا المذهب . وبات امبراطور الحبشة اليوم — وهو من رجال العصر — اكثر ميلا من ذى

قبل الى انشاء صلات ودية مع الكرسي الرسولي واشد عطفاً على رعاياه الكاثوليك

وكنائس الحبشة على نوعين : المستدير والمضلع . وأول كنيسة أقيمت في بلاد الحبشة هي كنيسة مريم العذراء في اكسوم شيدتها الملكة الحبشية كنداكه بعد أن اعتنقت الدين المسيحي

والأحباش يعلقون بيض النعام في كنائسهم على مثال القبط والموارنة وسواهم في مختلف أقطار الشرق الأدنى . ولم يعرفوا النواقيس إلا في الازمنة الحديثة وكانوا قبلاً يدعون المؤمنين إلى الصلاة بقرع قطعة من الخشب مدلاة بحبل كما كانوا يفعلون في مصر والشام والعراق وغيرها

وفي مقاطعة هناك تدعى لاليبالا ١٢ كنيسة منحوتة في الصخر الأصم بالجبل ويرجع تاريخها إلى القرن الحادي عشر (وقيل الى القرن الخامس) وقد نحتها قوم غرباء لونهم فاتح يسمون «جبايتا» يظن أنهم من المصريين . وهناك نحو ٢٠٠ كنيسة صغيرة منحوتة في الصخور

الدين الاسلامي

ترجع صلة المسلمين في جزيرة العرب ببلاد الحبشة الى أول ظهور الاسلام . ذلك أن رسالة النبي محمد اصطدمت عند بدئها بعقبات أقامها الوثنيون في طريقها واشتدت وطأة قريش على الصحابة فسمح لهم النبي بالهجرة الى الحبشة وكان ذلك سنة ٦١٤-٦١٥ م اى قبل الهجرة الى المدينة بثمانية أعوام . فهاجر منهم جماعة في جملتهم عثمان

ابن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ومعها بركة الحبشية جارية أبيها والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن ابن عوف ومصعب بن عمير وسهيل بن بيضاء وسليط بن عمرو وحاطب بن عمرو وابو سلمه بن عبد الاسد وزوجته أم سلمه بنت أبي أمية وابو حذيفه بن عتبة وزوجته سهلة بنت سهيل وعامر بن أبي ربيعة وزوجته ليلى بنت أبي حشمة وأبو سبرة ابن أبي رهم وزوجته أم كلثوم بنت سهيل . وبعد أشهر قلائل لحق بهؤلاء طائفة أخرى من الصحابة بحيث بلغ مجموع المهاجرين منهم ٨٣ نفساً أو ١٣٢ على قول بعضهم . وفي كتاب « الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان » أن أول نحلة من هؤلاء المهاجرين لم يزد عدد أفرادها على ١٢ رجلاً و ٥ نسوة بينهن أم أيمن الحبشية .

على أن مشركي قريش لم يكتفوا باضطهاد المسلمين في مكة فأوفدوا في طلبهم عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص – وهو لم يسلم بعد – ومعهما هدية الى النجاشي وهو يومئذ « الرماخ » – أو اصحمه على قول بعضهم[1] وهدايا أخرى إلى الكهنة من خيل عربية وأقمشة حريرية وغير ذلك . فأبى النجاشي تسليم المهاجرين وخصوصاً انه سألهم رأيهم في عيسى فقالوا « انه كلمة الله القاها الى مريم العذراء » فوافق هذا معتقده في الدين المسيحي وازداد رغبة في حماية المهاجرين

(١) جاء في كتاب « الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان » أن النجاشي اصحمه بيع وهو حديث السن بستمائة درهم لاعرابي من بني ضمره في بلاد العرب على يد عمه النجاشي نجيب ثم استرده الاحباش وأقاموه ملكا عليهم

وصرف الوفد قائلاً : « ليس من العدل والمروءة ايذاء هؤلاء الجيران الذين لم نرَ منهم إلا شرف النفوس » وعاد وفد قريش مخذولاً .

وفى السنة الثانية للهجرة النبوية وبعد واقعة بدر التى انهزم فيها المشركون أوفدوا مرة أخرى إلى نجاشى الحبشة عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة فى طلب طرد المهاجرين ولكنهم خذلوا هذه المرة أيضاً وعاد الوفد خائباً

جاء فى « رحلة الحبشة » لصادق باشا المؤيد العظم ما ملخصه: « فى السنة السابعة أرسل النبى الى النجاشى كتاباً يعرب له فيه عن رغبته فى عقد نكاحه على رملة أم حبيبة بنت أبى سفيان وزوجة عبد الله بن جحش الذى مات فى الحبشة فاستقدم النجاشى اليه جعفر بن ابى طالب والصحابة المهاجرين فعقدوا على أم حبيبة وأرسل اليها النجاشى اربعمئة دينار صداقاً عن النبى وجهزها وغادرت الحبشة الى المدينة مصحوبة بشرحبيل بن حسنة تحمل من ملك الحبشة الى النبى هدية مؤلفة من البسة وأحذية وخاتم وثلاث حراب وقارورة مسك وجلاليب . وكان النبى طلب إلى النجاشى إعادة المهاجرين المسلمين إلى المدينة فأرسلهم بزوارق على نفقته الخاصة . وفي السنة التاسعة للهجرة أرسل النبى هدية إلى النجاشى ولكن « اصحمه » توفى قبل وصول الوفد الذى يحملها اليه وبلغ النبى نعيه فجمع الصحابة وصلى عليه غائباً

وفى كتاب « الجواهر الحســان فى تاريخ الحبشان » ما يؤخذ منه انه فى السنة السادسة للهجرة (٦٢٧ م) بعث رسول الله عمرو ابن امية الضمرى بكتاب الى النجاشى (اصحمه) يدعوه فيــه الى الإسلام فكان لكتابه هذا أحسن وقع فى نفس النجاشى ووضعه فى حق من عاج وقال : « والله لا تزال الحبشة بخير ما بقى هذا الكتاب فيهم » ثم رد على كتاب النبى بأحسن منه . واستحكمت حلقات المودة بين الرجلين إلى أن توفى النجاشى سنة ٦٣٠ م فصلى النبى عليه صلاة الغائب . ودفن هذا النجاشى فى قرية واقعــة بين مدينتى « حوزين » و « اطبي » فى اقليم تيغرى ولا يزال ضريحه هناك قائماً إلى اليوم

و بعد موت النجاشى استمرت العلاقات الطيبة بين الأحباش والعرب المسلمين وثيقة العرى الى أن اشتد ساعد المسلمين فاكتسحوا الأقطار والامصار ودخل بعض امرائهم بلاد الحبشــة وأنشأوا فيها امارات اسلامية فى محاسن وهرار واواسة وجيما. غير أن هذه الامارات لم يتح لها الاحتفاظ طويلاً باستقلالها واستعاد ملوك الحبشة سيادتهم فيها . ولكن الاسلام كان قد تغلغل فى ارجائها فظل فريق من أهلها يدينون به الى اليوم .

قال صاحب الجواهر الحسان ما نصه : « ولقد حقق الله سبحانه أمل النجاشى اصحمه فى قوله « والله لا تزال الحبشة بخير ما بقى هذا الكتاب فيهم » وذلك انك لو تأملت تاريخ الدول المجاورة لمركز

الدين الاسلامى لا تجد دولة قد حافظت على استقلالها الداخلى وعدم تمكن الأجنبى منها من مبدأ ظهور الاسلام الى هذا التاريخ غير الامة الحبشية وما ذلك إلا ببركة مسالمتها للاسلام والمسلمين الأمر الذى تنبه له ملكها إذ ذاك دون غيره من الملوك ككسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم ممن أبيدت ممالكهم وصارت فى خبر كان »

على ان حوادث التاريخ لا تؤيد هذا الرأى بل تدل على أن الفتح العربى الإسلامى جاوز حدود الجزيرة إلى أقصى الممالك والأقطار المعروفة فى العالم القديم وفى جملتها البلدان الواقعة على شواطىء البحر الأحمر شرقاً وغرباً ومنها مصوع وجزائر دهلك التى دخلت فى حيازتهم فى عهد الخلفاء الأولين حتى ان دهلك هذه كانت منفى فى عهد سليمان بن عبد الملك من خلفاء بنى أمية (٩٩ - ٩٦ هـ - ٧١٧ - ٧١٥ م) وظلت فى حيازة المسلمين حتى فى عهد العباسيين . على ان الفتح الاسلامى لم يجاوز تلك المنطقة الساحلية لأن مملكة الحبشة كانت يومئذ على أعظم جانب من القوة لوحدة عنصرها من جهة ولمناعتها الطبيعية من جهة أخرى فاستطاعت أن تقاوم كل من حدثته النفس بدخولها فتحاً من الشرق والشمال . وكل ما فى الأمر أن وقوع سواحل الحبشة فى يد المسلمين حرم هذه المملكة من منفذ الى البحر

ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام أن بين القرنين التاسع والثالث عشر م قامت سبع أمارات اسلامية فى شرق الحبشة وجنوبها وفى

الجنوب الشرقى منها أهمهـا أمارة إفات شرقى شوا وأمارة أوال وعاصمتها دكَرَ شرقى هرار وأمارة بلى جنوبى شوا وأمارة هَدْيا فى اقليم سِداما فى الجنوب الغربى من شوا وأمارة دارة فى اقليم امحرة وفى كل من هذه البقاع مدافن وكتابات عربيـة منقوشة تشير الى استعمار العرب المسلمين لها حقبـة من الدهر . وقد وصف المقريزى هذه الأمارات أو الممالك السبع وهى : إفات او أوفات – أوال – أوارو ارابينى – هَدْيا – شَرْحا – بالى – دارة . وكانت هديا أعظم هذه الممالك شأناً . (١)

وفى تلك الحقبة كانت مملكة الحبشة محصورة بين شوا وامحرة وتيغرى . وكانت صلاتها الدينيـة بالكنيسة القبطية مما يقضى عليها بتوثيق عرى الصلات مع مصر ، فكان الفتح الاسلامى حائلا دون ذلك ولا سيما فى عصر الفاطميـن والمماليك . فعمـد الأحباش إلى اضطهاد المسلمين فى بلادهم وظلت الحرب سجالا بين الفريقين نحو

---

(١) جاء فى كتاب « رحلة الحبشة » ما ملخصه : زارني الشيخ محمد سعيد يحيي الجبرتي وهو من غوندار عاصمة الحبشة القديمة وكان بين الذين هاجروا الى السودان فراراً من ظلم النجاشى « يوحانس » الذى كان يريد اكراههم على جحد الاسلام وقد أنبأني ان الذين نشروا الديانة الاسلامية في الحبشة هم الجبرتيون وان الجبرتى المؤرخ المصرى المشهور هو منهم ومن بلدة ارغوبه وان المهدى قتل كثيراً من الاحباش المسلمين الذين هاجروا الى السودان ولم يؤمنوا به . وان الاحباش المسلمين هم على المذهبين الحنفى والشافعى واكثرهم ينتمى الى الطريقة القادرية دون الطريقتين الختمية والشاذلية اللتين لها عندهم المقام الثاني

ثلاثة قرون ولا سيما فى القرن السادس عشر م حيث كان الاحباش يحاربون بقيادة النجاشى « لِبْنا دَنْغل » ثم ابنه كلاوْدِيوس وقد أحرجا موقف المسلمين فى هرر (١٥٢٠ م) وخصوصاً أن الأسرة الاسلامية المالكة (ولَسْمَع) كانت قد ضعفت وتطرق اليها الانحطاط فاختل نظام المملكة و بات أمرها فوضى الى ان قام احمد بن ابراهيم الملقب بالامام والغازى – و يسميه الاحباش غرانى أى أعسر – فغزا الحبشة وأوغل فيها حتى المنطقة الواقعــة فى شمال تيغرى واستمات الأحباش فى الدفاع فكانت حرباً شعواء تشيب لها نواصى الاطفال لروعة وقائعها وأهوالها ولا سيما وقعــة « شمبركورى » فى اقليم شوا (رجب سنة ٩٣٥ هـ) فأنها كانت أشد وقائع هذه الحرب هولا كما وصفها كتاب « تحفة الزمان » ووقعة كوجيام التى لا تقل عنها شأناً وقد انجلت عن فوز المسلمين واندحار الأحباش حتى اضطروا الى استنجاد البورتغاليــين – وكانوا قد وطدوا سلطانهم فى بعض انحاء افريقية الشرقية – فأمدوهم بالجند والمدافع . وطال أجل الحرب حتى ظلت سجالا اثنتى عشرة سنة (١٥٤٣ – ١٥٣١ م) وقتل الامام احمد فى ميدان القتال فخلفه فى قيادة الجيش وعرش هرر ابن اخته الامير نور بن مجاهد الذى قتل النجاشى « كلاوديوس » سنة ١٥٥٩ وتوفى فى سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٨ — ١٥٦٧ م)

و بعد موت الأمير نور تسلل الانحطاط الى سلطنة هرر فلم تعد تقوى على مجابهة الأحباش . و بذلك سنحت فرصة للغالا الوثنيــين

فاخترقوا حدود الحبشة واوغلوا فيها بعد ان حملوا على المسلمين فى جنوب نهر وابى واعملوا فيهم السيف وقضوا على الامارات الاسلامية فى بالى وهديا فدانت البلاد لسلطانهم وانشأوا مملكة قوية بين هرر وشوا وامحرة . أما المسلمون فاتخذوا أوسا مركزاً لامامهم بدلا من هرر

غير أن كل ذلك لم يكن ليفت فى عضد المسلمين والأحباش فاستأنفوا القتال فى الشمال . وفى خلال ذلك كان الترك قد استحوزوا على مصوع (١٥٥٧) وهموا بالايغال فى مقاطعة الاريتره فهب الأحباش للدفاع عنها . وفى سنة ١٥٧٨ اضطرمت نار الحرب بين الفريقين وكان الأحباش بقيادة ملكهم « ملك صاجاد » فاستظهروا على الترك وأكرهوهم على الجلاء عن بلادهم .

على أن اندثار الممالك الاسلامية فى الحبشة لم يكن ليقضى على الاسلام فيها بل ظل منتشراً فى غير ناحية من نواحيها وخصوصاً فى دَمْبيا ودكنو وغوندار . ولم يقتصر على العرب بل تناول بعض قبائل غالا الوثنيين .

وفى سنة ١٧٨٠ م استولت قبائل غالا وُلُّو وإجّوعلى « بغمدر » وعلى قسم من أمحرة وكان حاكم إجو المعروف بالرأس كوكسا نافذ الكلمة فى بلاط النجاشى الى حد أن ابن أخيه الرأس علي أصبح فيما بعد ملكاً على الحبشة .

وفى أوائل القرن التاسع عشر بزغ فجر نهضة إسلامية جديدة فى الاقاليم المحيطة بالحبشة من الشرق والجنوب والغرب . وجاء الفتح

المصرى فى عهد محمد على باشا للسودان واحتلال مصر فى عهد اسمعيل باشا لزيلع وهرر (سنة ١٨٨٤-١٨٧٥) معززاً لهذه النهضة ومشجعاً للدعوة التى نشطت نشاطاً غريباً ولا سيما فى الاقاليم التى ينزلها الغالا غربى هرر ولو ان قبائل الغالا لم تقبل على الإسلام إقبال سواها عليه لأنه لم يجاوز هناك نهر وابى خلافاً لاقليم شوا حيث صادفت الدعوة إقبالاً كبيراً ولا سيما فى عهد الاحتلال المصرى حتى أن الماجور هنتر كتب فى سنة ١٨٨٤ ما نصه : « من المحتمل إسلام جميع القبائل إذا دام الحكم الحاضر بضع سنوات أخرى » . ومما يذكر فى هذا المقام أن غوردون باشا أوحى الى ولاة الأمور يومئذ إقالة رؤوف باشا الحاكم المصرى هناك حذراً من أن ينشىء امارة اسلامية على مثال الامارات التى أشرنا اليها فى ما تقدم

بعد أن جلت الحامية المصرية عن الحبشة (١٨٨٤) انهارت امارة هرر واستعاد الأمير عبد الله بن على عرشه ولكن لم يكد يستتب له الأمر حتى حاربه منليك ملك شوا وخلعه عن العرش بعد أن كسره فى وقعة « جلنقو » (يناير سنة ١٨٨٧) ففر الى اوكدين وخلفه ابن عمه على ولكن منليك خلعه وسجنه فى شوا وأنزل بأعوانه المسلمين ضروب الاضطهاد

وقبل أن تقع كل هذه الحوادث كان الرأس كاسا فى شمال الحبشة فتك بالرأس على سنة ١٨٥٣ واغتصب عرش المملكة سنة ١٨٥٥ وتوج امبراطوراً باسم تيودورس واضطهد المسلمين وأحرق

جامع غوندار وخلفه النجاشي يوأنس فنحا نحوه فى اضطهادهم والاساءة اليهم . وفى سنة ١٨٧٨ أصدر مرسوماً خيّر فيه المسلمين بين المهاجرة والتنصر . قال أرنولد المؤرخ فى كتابه « بريتشنج أوف إسلام » التبشير بالاسلام « ان ٥٠ الفاً من المسلمين اكرهوا سنة ١٨٨٠ على قبول العماد » .

ذلك لأن العداء الديني والجنسي كان قد بلغ أشده بين الأحباش والمسلمين وهاجر عدد كبير من المسلمين عن طريق القلابات وثار سكان بلاد وُلّو غالا فى شرق أمحرة فقمع يوأنس ومن بعده منليك ثورتهم بمنتهى الشدة والقساوة (١٨٨٦) . ويوأنس هذا هو الذى حارب جيش المهدى فى السودان وصرع برصاصة طائشة ليلاً على أثر وقعة القلابات (مارس سنة ١٨٨٩) . فهذا وأمثاله مما وقع بين الاحباش والمسلمين من الحوادث الدامية زاد فى تفاقم الخلاف واستفحال الشر ، وكان ذلك باعثاً لمنليك الثانى الذى خلف يوأنس على عرش الحبشة على أن ينتوى القضاء على ما كان لا يزال قائماً من الممالك الاسلامية المتاخمة لمملكته،ففتح سلطنة أوسا فى الشرق ثم أخضع بلاد أوغادين وغالا وأروسى وغالا بودانه وأقاليم لمّو وجيما وليا كه وولاغه وكفّا موطن قبائل سداما(١٨٩٧-١٨٩٠). ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام أن أهل لمو كانوا قد اعتنقوا الاسلام في النصف الأول من القرن التاسع عشر ورسخت التعاليم الاسلامية فى اقليمهم حتى أن أحد السياح الذى زار الحبشة فى سنة ١٨٧٩

كتب عن هذا الاقليم يقول : « قد بلغ الاسلام فى أيامنا أوج عزه إذ اعتنقته الطبقات الفقيرة ومزجته بكثير من معتقداتها القديمة »

أما سلطنة جما أو جيما فكانت تحت ولاية آل جفار (صاحب الحصان الكُميت) المتحدرين من ابَّا جفار وهو محمود بن داود . وكان العرش فيها وراثياً وأهلها يدينون بالوثنية ، فأسلموا فى النصف الأول من القرن الماضى وظلت السلطنة مستقلة إلى عهد منليك فأخضعها وجعلها تحت حمايته سنة ١٨٨١ وهو يومئذ ملك شوا واستبقى لها استقلالها الداخلى . وهى المملكة الاسلامية الوحيدة التى كانت لا تزال قائمة وسلطانها ابَّا جفار كان عظيم النفوذ فى الحبشة ، وكان يدفع الى حكومة اديس ابابا جزية سنوية كانت تزيدها سنة بعد أخرى اكراهاً له على ابهاظ كواهل رعاياه بالضرائب الفادحة فينفرون منه وينتقضون عليه وبذلك يتسنى لها القضاء على سلطنته .

ومات هذا السلطان سنة ١٩٣٤ فخلفه على العرش ابنه عبد الله. غير أن النجاشى هيلاسلاسى لم يدعه يستمتع طويلاً بلذة الحكم فسد على حكومته سبل الاستقلال الداخلى واكثر من مداعبتها ومضايقتها وقيدها بأمره فى كل شأن حقيراً كان أو جليلاً حتى انتهى به الأمر فى هذه السنة (١٩٣٥) الى انتزاع الحكم من سلالة ابَّا جفار المسلمة وضم هذه السلطنة نهائياً الى الامبراطورية الحبشية وهذا ماحدا ايطاليا أن تحتج رسمياً لدى حكومة اديس ابابا لأن ما عمله الامبراطور مخالف للمعاهدة التى عقدها منليك مع سلطان جما سنة ١٨٨١ وتعهد

فيها باحترام حقوق الأسرة المالكة سواء فيما يتعلق بالعرش أو بالاستقلال الداخلي .

وسلطنة جما هذه امتازت على كثير من الاقاليم الحبشية بنهضتها الحديثة ، يؤيد ذلك ما جاء عنها فى كتاب للسر دارليه الانجليزى مطبوع فى لندره سنة ١٩٢٦ حيث قال : « لم يكتف السلطان ابا جفار بأن أنقذ أمته من براثن الأحباش بل قادها الى حياة الرخاء والغنى بتعزيزه التجارة فى البلاد و بحسن سياسته حتى انى أعتقد انها ستصبح أغنى الممالك الافريقية وأسعدها . . . وانى أخشى بعد وفاة سلطانها هذا على مصير هذا الشعب الهادىء المحب للسلم والراحة . . . فلو قدر وتسلط الأحباش على هذا الاقليم يصبح بعد زمن قصير سيىء الحال كسائر اقاليم الحبشة لأن سعادة جما منوطة بنشاط شعبها وحسن حكم سلطانها الحرّ الذى لا يألو جهداً في تنشيط الصناعة والتجارة »

وفى عهد ليج اياسو الذى خلف جده منليك على عرش الحبشة (١٩١٣) تمتع المسلمون بالراحة وأمنوا على مصالحهم لأن هذا الامبراطور الشاب كان محباً لهم يعطف عليهم كأبيه الرأس ميخائيل [1]

(١) ليج ياسو هو ابن الرأس محمد علي من امراء المسلمين حاربه منليك الثاني وكسره واكرهه علي نبذ الاسلام واعتناق النصرانيـة وسمى الرأس ميخائيل ثم زوجه باحدى بناته فولد له منها ليج ياسو هذا الذى خلف جده على عرش الحبشة وحدثته نفسه بانشاء امبراطورية اسلامية فى افريقية الشرقية فشق ذلك على الامراء والرؤوس والكهنة وخلع عن العرش (٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦) ونودى بزاوديتو بنت منليك امبراطورة على الحبشة وبالرأس

أما عدد المسلمين فى الحبشة فلا يقل عن نحو ثلاثة ملايين موزعين فى مختلف الأقاليم وأكثرهم فى الشرق والجنوب ولا سيما فى هرر واوجادين واروسى . وكثيرون منهم ينزلون فى الغرب وخصوصاً فى جالة الغوما وغماً وقيره ولمو إناريا وجماً وغارو وتمبارو وألبا وهدبا وخضاله . أما سكان غوراغه ونُنّو واليزو فهم مزيج من المسيحيين والمسلمين . وهناك قبائل إسلامية تقيم فى ورجى دالتى غربى اديس أبابا . ومنهم جماعات فى شوا وأمحرا وتيغرى يمتّون بصلة النسب إلى قبائل يمنية . أما سكان اوسا فى بلاد الدناكل فجميعهم مسلمون .

ويعرف المسلمون فى الحبشة باسماء مختلفة فيطلق عليهم اسم نقّادى أى تجار أو جبرتى أو نبّاده واسلامبَحرى وهو الاسم الذى يعرف به مسلمو السهول . وفريق منهم يتفاهمون باللغة العربية ومعظمهم يتكلمون لغات الأقاليم التى يعيشون فيها . واكثرهم على المذهب الشافعى . ويتعاطون مختلف الحرف والصناعات . وكثيرون منهم أهل تجارة وزراعة . وهم أرقى سكان الحبشة

طفرى ابن الرأس مكونين وليا للعهد . وفى سنة ١٩٣٠ توفيت الامبراطورة وخلفها الرأس طفرى على العرش وسمى الامبراطور هيلاسلاسى . أما الرأس ميخائيل فلق حتفه سنة ١٩١٦ واعتقل ابنه ليج سنة ١٩٢١ . وفى سنة ١٩٣٢ فر من السجن ثم قبض عليه واعتقل فى حصن على احدى قنن هرار وله ابن يسمى منليك مولود من أم مسلمة بلغ الآن التاسعة عشرة من عمره وهو يعيش فى تجرة من أعمال الصومال الفرنسوى عيشة بؤس وشقاء .

الدين اليهودى

اليهود فى الحبشة هم « الفلاشة » أو الأغراب الذين يقيمون فى الأقاليم الشرقية من الحبشة و ينتسبون إلى القبائل اليهودية الأولى التى احتلت هذه البقاع واستعمرتها

وفى التقاليد القومية أن اول من بث الشريعة الموسوية فى الحبشة بلقيس ملكة سبا وهى الأقاليم الواقعة على ساحل البحر الاحمر شرقى الحبشة وغربى البلاد العربية وفى جملتها العربية الحجرية أو السعيدة واليمن . ذلك أن هذه الملكة سمعت بحكمة سليمان ملك أورشليم فشدت الرحال إلى المدينة المقدسة فى موكب عظيم تحمل الهدايا النفسية إلى ابن داود فاستقبلها استقبالا جميلا تجلت فيه مجالى الابهة والعظمة واتخذها سليمان زوجة له وولد له منها ولد بعد عودتها إلى عاصمة ملكها وهو « منليك ابن الحكيم » وترعرع الولد فأرسلته أمه إلى أبيه ليتعرف به فمسحه سليمان ملكا على بلاد الجنوب وأعاده إلى أمه مزوداً بنسخ من التوراة والكتب المقدسة ومصحوباً ببعض علماء اليهود على رأسهم عازار ياس ابن رئيس الكهنة وصادوق حافظ الكتب المقدسة . ولم يكتف هؤلاء العلماء بما زودهم به سليمان من التحف الثمينة بل أخذوا تابوت العهد وحملوه الى اكسوم . وساء ذلك ملك اورشليم ولكنه لم يشأ أن يسترد التابوت لئلا يغضب بلقيس والدة ابنه فأمر بانشاء تابوت آخر على مثاله ، وحفظ هذا التابوت فى الهيكل باعتبار أنه التابوت الأصلى .

وما كاد علماء اليهود يحطون رحالهم فى أكسوم حتى أخذوا يبشرون بشريعة موسى . ولم يطل بهم الزمن حتى انتشرت الديانة اليهودية فى انحاء الحبشة وخصوصاً ان الملكة باقيس كانت قد اعتنقتها فشجعت هؤلاء المبشرين على اذاعتها بين قومها .

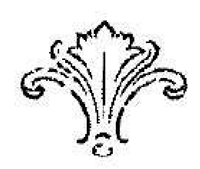
ومع ان الملك سليمان مسح ابنه منليك ملكاً فان بلقيس ظلت قابضة على زمام الملك الى ما بعد انقضاء ٢٥ سنة على ذلك . وهى التى جعلت الملك وراثياً فى ذريتها وحصرته فى البكر من الذكور دون الأناث . ولما توفيت فى سنة ٩٨٦ ق . م كان سليمان الحكيم لا يزال مالكاً فى أورشليم . وخلفها ابنها منليك وسمى منليك الأول ، ويعد مؤسس الأسرة السليمانية التى ينتسب اليها فيما يزعمون ملوك الحبشة حتى عصرنا هذا . غير أن هذه الأسرة لم تحسن سياسة الملك فى بدء أمرها فتطرق اليها الضعف ولم تعد تستطيع الاحتفاظ بهيبة الملك فطمع بها يهود « سمين » الواقعة فى الشمال الشرقي من الحبشة وانتزعوا الصولجان من يدها على يد فئة منهم تسمى «ايوديت» او « استير» وتعاقب على العرش منهم أحد عشر ملكا أشهرهم « لاليلابا » الذى ملك فى أواسط القرن الثانى عشر و به انقطع حكم هذه الأسرة الى أن قام سنة ١٢٥٥ م ايغون عملق ملك شوا — وهو من سلالة منليك الأول — فاسترد الملك للأسرة السليمانية .

ودار الزمان دورته فتضعضع اليهود هناك وانحط شأنهم ولاسيما أنهم آثروا العزلة فى ديارهم وقراهم فرجعوا القهقرى وانخفض عددهم

الى نحو ١٤٠ الفاً على نحو ما ذكرنا فى الكلام عن سكان الحبشة الوثنية

وهناك مذاهب دينية أخرى نظير عبادة الشمس والنار وعبادة الأصنام السودانية و يدين بهما بعض قبائل ساميان واسهنفى و بعض القبائل النازلة فى جبال غوندار وعلى شواطىء بحيرة تسانا وزنوج شنكالا الذين يتفاهمون باللغة النوبية

وهناك ديانة الغالا وهى خليط من اليهودية والاسلام والوثنية . و بين الغالا قبيلة تعرف باسم « بورانا » وهى من القبائل الرحل وتعبد الحيوانات نظير التمساح والثعبان والبومة.وتعبد بعض الاشجار كالتين البرى وشجرة تسمى « بوابات » يصنعون من خشبها صنماً يعبدونه على نحو ما ذكرنا فى غير هذا المكان .



بين مصر والحبشة

بين مصر والحبشة عدة روابط وثيقة العرى أهمها رابطة المصلحة ورابطة التاريخ ورابطة الدين وهذه الروابط كانت تتوثق وتتراخى تبعاً لتطورات الأيام وتقلباتها ما عدا رابطة المصلحة فانها ما برحت منذ فجر التاريخ تزداد توثقاً حقبة بعد حقبة.

١ — رابطة المصلحة أو الرابطة الجغرافية

ان هذه الرابطة تعد أهم رابطة بالنسبة الى مصر عليها تتوقف حياتها ونماؤها. ولا غرو فانها تتمثل فى النيل الذى شاءت الاقدار أن يكون مقترناً بكيان مصر باعتبار انه الشريان الذى تجرى فيه مادة الحياة اليها. فهى والحالة هذه رابطة طبيعية ترجع فى نشأتها الى هذا النهر العظيم الذى كان فى ما سلف من الدهر فى مقدمة معبودات المصريين يقدسونه ويقدمون اليه الضحايا حتى من الآدميين. وحكاية عروس النيل التى كانت تلقى فيه يوم الاحتفال بوفاء مياه الفيضان صيفاً شكراً له على نعمته هذه معروفة لا حاجة بنا الى سردها. وهى تقليد دينى كان ينتقى للقيام به أجمل عذراء فى مصر وما زال المصريون يأخذون به حتى الفتح الاسلامى فأبطله عمرو ابن العاص فاتح مصر بأمر عمرو بن الخطاب الخليفة القائم بالأمر وقتئذ، واستبدله بحفلة مدنية رسمية تحييها حكومة مصر وتشترك فيها الأمة على صورة مخصوصة تتجلى فيها مظاهر الفرح على أتمها ابتهاجاً

بوفاء النيل وتكتب حجة الوفاء الشرعيـة ايذاناً باستحقاق الخراج وهو ما يتفق مع روح الاسلام وتعاليمه . وقد درج القوم على هذه العادة الى اليوم

فالنيل إذن هو حياة مصر واذا صح أن « مصر هبة من النيل » كما يقول هيرودوتس المؤرخ اليونانى الشهير الملقب بأبى التاريخ صح لنا القول أن « النيل هبة من الحبشة »

والنيل فرعان عظيمان : النيل الأبيض والنيل الازرق . ومع أن النيل الأبيض له شأنه فى حياة السودان ومصر فهو يخرج من بحيرة فكتوريا نيانزا (محيطها ٨٣٣٠٠ كيلو متر مربع) الواقعة فى منطقة خط الاستواء ولا صلة لهـذه البحيرة بالحبشة . أما النيل الأزرق فيخرج من بحيرة « تانا » او « تسانا » الواقعة فى قلب الحبشة و يعد أكثر فائدة لمصر من النيل الأبيض لأنه يحمل اليها المواد الدلغانية المخصبة من جبال الحبشة ممزوجة برمال الصحراء المشتملة على اوكسيد السيليسيوم المفيد والتى تقذف بها الرياح الى مجراه .

و بحيرة تانا تتغذى من مياه الأمطار الغزيرة التى تحملها السحب الكثيفة إلى جبال الحبشة مدفوعة بالريح السداسية الدورية la mousson التى تهب فى الأوقيانس الهندى ستة أشهر من جانب وستة أشهر من جانب آخر

وهى واقعة فى منخفض من الارض البركانية بين جبال الحبشه على علو ١٧٥٥ متراً من سطح البحر، وهى من أعظم بحيرات افريقية

فان مساحتها تبلغ ٢٣٠٠ كيلو متر مربع وليس بين بحيرات الحبشة في المنطقة الشمالية ما يضارعها عمقاً واتساعاً

والنيل الأزرق يخرج من هذه البحيرة متخذاً في مجراه شكل دائرة حول جبال غوجام أو (كودجام) في جوار اقليم شوا . ويخترق السودان في الغرب ويلتقي عند الخرطوم بالنيل الأبيض فيجريان معاً في مجرى واحد الى بلاد النوبة ومصر فيرويانها ويحييان زرعها وضرعها . ويجتاز النيل في مجراه ست شلالات آخرها الشلال الواقع في جوار جزيرة أنس الوجود في صعيد مصر . ويقدر طول مجراه بنحو ٦٥٠٠ كيلو متر . ومن الجغرافيين من يذهب الى أن طول مجراه ٦٤٧٠ متراً . ومنهم من يقول أنه ٦٣٥٥ كيلو متراً منها ١٩١٧ كيلو متراً بين بحيرة تانا والخرطوم و ٤٤٣٨ كيلو متراً بين الخرطوم والقاهرة . فمجراه إذن أطول من مجرى نهرى الامازون والميسيسبى اللذين هما أكبر أنهر العالم . فالاول – وينبع في اميركا الجنوبية ويسقى بلاد البيرو والبرازيل – يعد أكبر نهر في العالم وطول مجراه ٦٤٢٠ كيلو متراً أى أنه أقصر من مجرى النيل بثمانين كيلو متراً وأما الميسيسبى الذى يخرج من بحيرة « ايتاسكا » في الولايات المتحدة وينصب في خليج المكسيك فلا يزيد طول مجراه على ٤٦٢٠ كيلو متراً

والنيل يفيض في كل سنة على أثر الأمطار الغزيرة التى تهطل في جبال الحبشة فيحمل الى مصر الطمى فتزداد أرضها خصباً



شلالات تيسيسات على النيل الأزرق وهي على مسافة نحو ٣٢ كيلو متراً من بحيرة تسانا ويبلغ ارتفاعها زهاء ٦٠ متراً

وزراعتها نمواً واقبالاً فهو اذاً مصدر اليسر والرخاء اللذين تمتع بهما مصر بل هى مدينة له بعد الله بحياتها ، ولذلك جعلته مصر القديمة فى جملة معبوداتها لأنها كانت تقدس كل ما هو نافع من الكائنات والمخلوقات فكان تقديسها له من البديهيات

فالنيل والحالة هذه — وهو يخرج من الحبشة — ما برح منذ أقدم العصور يعدّ أمتن رابطة بين القطرين المصرى والحبشى فكانت مصر ترعى جانب جارتها هذه وتحاذر أن تستهدف لنقمتها لئلا تقطع مورد الحياة عليها . ومع أن من المهندسين من يقولون بتعذر ذلك فإن لنا فى الحوادث التاريخية فى القرون الخالية ما يسفه رأيهم وينقض حجتهم

قنطرة أقامها البورتغاليون قديما فوق مجرى النيل في « سابيرا ولدى »

ولما احتل الانجليز القطر المصرى كانت مسألة النيل فى طليعة المسائل التى انصرفوا الى معالجتها . وقد تجلت سياستهم النيلية فى المعاهدة التى عقدوها مع الحكومة الحبشية في ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ وترى

الى غرضين أساسيين الأول تنظيم فيضان النيل الأزرق والثـانى مرور الخط الحديدى بين الكاب والقاهرة فى أراضى الحبشة . وقد نصت المادة الثالثـة من هذه المعاهدة على أن لا يسمح بالاقدام فى منطقة بحيرة تانا وعلى ضفاف النيل الأزرق ونهر سوباط على اجراء أى عمل من شأنه أن يحول دون جريان المياه بغير موافقة الحكومتين البريطانية والسودانية . وتنص المادة الخامسـة على الاعتراف لهاتين الحكومتين بالحق فى مد خط سكة حديد بين السودان واوغنـدا مخترقاً الاراضى الحبشية

ومما لا ريب فيه أن هذه المعاهدة التى خولت الحكومة البريطانية الحق فى رقابة الحبشة والاشراف على مرافقهـا فيما يتعلق بمجارى المياه والمواصلات الحديدية كان لها أثرها البعيـد فى توسيع نطاق النفوذ البريطانى فى افريقية الشمالية والشرقية

وغنى عن البيان أن بحيرة تانا هى بيت القصيد فى المعاهدة . ولا غرو فما من حوض من حياض القارة الافريقيـة أصلح من هذه البحيرة الكبيرة لاستخدام مياهه فى سبيل اقامة خزان يغذى أرض مصر ويحييهـا . فالاحتفاظ والحالة هذه بالبحيرة والنهر الذى يخرج منها من الأمور الحيوية للسودان ومصر . فكان بديهياً أن يعقد الانجليز على هذه المسألة آمالا كبيرة ما دام لهم السيطرة التـامة على هذين القطرين . ولذلك لما ظفروا بهذه المعاهدة من منليك الثـانى عدوها غنيمة عظيمة القدر وأخذوا بالسعى لتحقيق المشروع

على أن ما طرأ بعد ذلك من الحوادث السياسيـــة حال دون تحقيق هذه الأمنية وخصوصاً ان اعتبارات اقتصادية لم تكن في الحسبان وليس هذا مقام الاشارة اليها عرقلت مساعى القائمين بالأمر. ومن جهة أخرى كان الرأى العام فى الحبشة نافراً من السياسة الانجليزية فكان موقف البلاد من هذه السياسة مما لا يرجى معه موافقة ولاة الأمور على تبسط الانجليز فى هاتيك البقــاع ورضى سواد الأمة عن انتشـــار النفوذ البريطانى فى جنوب الحبشة وغربها . فعمدت الحكومة الحبشية الى مناورات ترمى الى احباط المشروع البريطانى وعهدت الى الدكتور مارتن معتمد الرأس طفرى نائب الامبراطورية الحبشية فى مخاطبة نقابة اميركية فى الموضوع طالبًا اليها أن تتخذ على عاتقها انشاء خزان على بحيرة تانا (١٩٢٧) .

واتصل نبأ ذلك بحكومة لندرا فاحتجت على الحكومة الحبشية لأن سماحها لنقابة اميركية باقامة خزان على النيل الأزرق بغير موافقة انجلترا يناقض أحكام المعاهدة الانجليزية الحبشية المعقودة سنة ١٩٠٢. وحذت الحكومة المصرية حذو الانجليز لأن المشروع يهمها ولا تستطيع السكوت عن عمل يعمـــل على بحيرة تانا ويكون مناقضاً لمصلحة مصر ولو ان احتجاجها لم يكن مما يبعث على تعزيز الصلات التاريخية القديمة بين البلادين

وكان لهذا الاحتجاج أثره فى اعادة الأمور الى نصابها فأفضى الدكتور مارتن باسم الحكومة الحبشية بتصريح رسمى جاء فيه :

« . . . اذا صرحت الحكومة البريطانية بأنها لا تسلم بانشاء الخزان على يد نقابة اميركية يهمل المشروع »

ومما ساعد على تفريج الأزمة أن انجلترا كانت قد عززت موقفها بازاء الحبشة باقدامها فى ٢٠ دسمبر سنة ١٩٢٥ على عقد معاهدة مع ايطاليا اعترفت لها هذه الدولة فيها بحقها فى انشاء الخزان مقابل اعترافها لايطاليا بحقوق معينة فى الحبشة . وجاء اتفاق سنة ١٩٠٦ بين انجلترا وفرنسا وايطاليا مؤيداً لحقوق الانجليز المعترف بها فى معاهدة سنة ١٩٠٢ . فلم يسع الحكومة الحبشية والحالة هذه أن تمضى فى طريق المراوغة ولا سيما بعد أن أفضى السر أوستن تشمبرلن فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٧ بتصريح رسمى فى جملة ما جاء فيه قوله :

« . . . فى سنة ١٩٠٢ تعهد الامبراطور منليك بأنه اذا دعت الحال الى انشاء خزان على النيل الأزرق فى جوار بحيرة تانا يجعل الافضلية فى ما يتعلق بانشائه للطلب الذى يقدم من الحكومتين الانجليزية والسودانية . . . » .

وبذلك وقف المشروع عند هذا الحد الى أن عاد فطرح حديثاً على بساط البحث فى لندرا والقاهرة واديس ابابا واتخذت المفاوضات فيه شكلا استرعى انتباه الرأى العام فى العواصم الثلاث وشغل الأندية السياسية والأوساط المالية لما أثار من المناقشات حوله ولا سيما بعد أن دخل النزاع الايطالى الحبشى فى دوره الأخير وتفاقم أمره الى أن أفضى الى الحرب

والباحث المتتبع لتطور الحـالة يدرك أن المشروع آيل حتماً إلى الانجليز مهما قام فى سبيله من العقبات وان تحقيقـه قريب الوقوع . إلا اذا طال أجل الحرب بين ايطاليا والحبشـة بدليل أن الحكومة المصرية إذ رأت أن الانجليز جادّون فى تحقيق المشروع أخذت تعدّ العدة للاشتراك فى درسه والانفـاق عليه وفتحت اعتماداً مالياً لهذا الغرض . وقد جاء هذا الاهتمام من جانبها وجانب الانجليز معززاً لما صرح به النجاشى هيلاسـلاسى لمكاتب الاهرام فى شهر يوليو الماضي حيث قال ما محصله : « . . . ان الصلات الوثيقة التى تربط الحبشة بمصر منذ العصور الخالية ترجع الى اعتبارات دينية وجغرافية وتاريخية . وانى آسف لكون العلاقات التجارية بين البلادين لا تزال قائمة على اتفاق وقتى وليس على معاهدة رسمية تقضى بتبادل تجارى دائم يعود عليهما بالخير والفائدة . أما بحيرة تسانا فان المهندسين أتموا درس المشروع المتعلق بها وقدموا تقاريرهم الى حكوماتهم والحكومة الحبشية تنتظر أن تقدم اليها اقتراحات فى هذا الشأن لتدرسها ، والمأمول أن تسفر المفاوضات عن نتيجة حسنة »

رابطة التاريخ

بين مصر والحبشة صلات تاريخية قديمة العهد ترجع إلى تجاور المملكتين واحتكاكهما وتبادل المنافع بينهما فى غير دور من أدوار التاريخ . فان دولة الأحباش القـديمة – وتعرف بأثيوبيه – كانت تتناول السودان و بلاد النوبة و بلاد الحبشة الأصلية . فكانت والحالة

هذه مجاورة لمصر، وكان النيل الذى يخرج من جبال الحبشة أهم عامل فى تقارب المملكتين وتوثيق عرى الصلات فيما بينهما . وهذا العامل نفسه كان من أكبر البواعث لفراعنة مصر على مواصلة السعى إلى اخضاع الحبشة لسلطانهم ، فظلت الحرب سجالاً بين الفريقين الى أن انقرضت دول الفراعنة فانتقلت سيادة الدولة الحبشية من نبتة[1] عاصمتها القديمة إلى القسم الواقع فى الجنوب الشرقى من المملكة وهو المعروف اليوم ببلاد الحبشة . وفى الموسوعة البريطانيـة أن اثيوبية عاصرت دول الفراعنة منذ أقدم عصورها . وكانت فى عهد عشرين دولة منهـا ولاية مصرية تدين بالطاعة لمصر ويؤدى حكامها إلى هؤلاء الفراعنة جزية سنوية مؤلفة من العبيد والثيران والذهب والعاج وكثير من الأثاث والحاجيات المنزلية وفى جملتها أسرة بالغة منتهى الاتقان .

وفى « رحلة الحبشة » أن الدولة الثانية عشرة من دول الفراعنة جعلت البقاع الواقعـة بين الشلالين الأول والثانى ولاية مصرية ووصل وقتئذ الجيش المصرى فى زحفه إلى سفوح جبال الحبشة وغزا

---

(١) كانت عاصمتها مدينة « نبتة » المجاورة لمروى فى جبل برقل وآثارها قائمة الى اليوم . ومما يروى عن هذه المدينة أنها كانت تحت سيطرة عمون والكهنة . وكان لهم نفوذ عظيم حتى انهم كانوا اذا احجم الفرعون الحبشى عن تحقيق رغبة لهم أمروه ان ينتحر واحلوا فرعونا آخر من الاسرة المالكة محله . وما برحوا متمتعين بهذا السلطان حتى اعتلى ارغامق العرش الحبشى دقضى على نفوذهم

المدن ونهبها . وفى عهد الدولة الثالثة عشرة بلغ الجيش المصرى إلى المكان الذى يلتقى فيه النيل بنهر تاكازا وألحقت الحبشة بمصر كولاية ممتازة يحكمها فريق من أولاد الفراعنة وانتشرت فيها ديانات مصر ولغتها ونصب المصريون فى أرجائها مسلات وأقاموا ابنية ضخمة على مثال ابنيتهم فى مصر . وللدولة الثالثة من دول الأحباش كثير من الأبنية الاثرية كالمعابد والاهرام والمدافن قائمة بين الحبشة والمكان الذى يلتقى فيه النيل الأزرق بالنيل الأبيض وشاعت عندهم وقتئذ اللغة المصرية والخط الهيروغليف ثم اتخذ الاحباش فيما بعد هيروغليفاً آخر لم تفك رموزه إلى اليوم

وبلاد الحبشة الأصلية مؤلفة من جبال ووهاد وحزون ولذلك لم يكن فراعنة مصر يوغلون فيها بل كانوا يقتصرون على غزو سواحلها فى جملتها مصوع وجيبوتى وما هنالك من البلدان الواقعة على مجرى النيل الأزرق ونهر تاكازا . وكان للمصريين صلة تجارية بالأحباش لم تكن تنقطع إلا فى أبان الحروب والغزوات

ولما دخلت مصر فى حيازة الرومان أراد ملوك الحبشة أن تكون صلاتهم بالفاتحين حسنة قائمة على أساس تبادل المنفعة فخبط مسعاهم واحرق نيرون عاصمتهم نبتة (٢٣ ق . م) فاضطروا الى اتخاذ مدينة « بارودا » الواقعة فى الجنوب عاصمة لهم

وفى عهد المماليك اشتدت وطأة الملوك والأمراء على القبط وهم اخوان الأحباش فى الدين منذ دخول النصرانية إلى الحبشة وانتشارها

بين أهلها فى أوائل القرن الرابع. وما فتأ ضغط الحكام على هؤلاء القوم يتفاقم وتستحكم حلقاته حتى عهد النجاشي يعقوب المكنى قسطنطين من نسل سيف ارعد المتصل نسبه بسليمان الحكيم ، فعظم الأمر عليه وأرسل إلى الملك الظاهر سلطان مصر والشام وفداً يحمل اليه رسالة ضافية يسأله فيها رفع الظلم عن القبط فى مصر لقاء ما يفعله هو من مراعاة جانب المسلمين فى الحبشة . وحكاية هذه الرسالة وما تلاها من المفاوضات والحوادث مشروحة فى كتاب « التبر المسبوك فى ذيل السلوك » للسخاوى المصرى الشافعى الذى عاش فى القرن التاسع للهجرة (٨٣١ — ٩٠٢ هـ) . واليك ملخصها :

« فى ٢٨ رجب وصل وفد من عند صاحب الحبشة يحمل الى سلطان مصر والشام رسالة ونحو ٢٠٠ رقيق و ٧٠ جارية وطشت وابريق ومهاز من الذهب وسيف مسقط بالذهب . ومثل بين يدى السلطان ورفع اليه كتاب النجاشى . ويلى ذلك نص الكتاب وهو طويل نقتطف منه ما يأتى :

« . . . قصدنا تجديد ما سبق من العهود من الملوك المتقدمين من بلادنا وبلادكم اتباعاً لآثارهم المشكورة . . وآخر ذلك ما كان فى أيام الظاهر برقوق ونجله الناصر وايام والدنا وجدنا من المحبة والوفاق وأنهم كانوا قائمين بالعدل خصوصاً باخوتنا النصارى يمنعون القوم من خرق حرمة كنائسهم والفتك بمن كان فيها من القسوس والرهابين. ومن كان يموت منهم يدفن بغير معارضة من أحد،ومن كان لا وارث

له يتولى أمره أبونا البطريك . وقد بلغنا الآن أن هذه القواعد قد تغيرت . فاذا مات أحد من اخواننا النصارى لا يدفن إلا بعد مشقة كبيرة و يؤخذ منهم ما لم تجرِ به عادة فى أيام الملوك السالفين . و بلغنا أيضاً أن هناك من يتعرض لهم فى كنائسهم و يأخذ مالاحق له بأخذه منهم وانهم لذلك أصبحوا فى ضيق شديد . وابونا البطريرك واخواننا النصارى عندكم نفر قليل جداً مساكين ضعفاء الحال ولايمكن أن يكونوا قدر قيراط من المسلمين القاطنين فى اقليم واحد من بلادنا ونحن نحسن اليهم من عهد آبائنا ونسهر على أرواحهم وأموالهم ولا نسمح بالتعرض لهم فى مساجدهم، وملوكهم عندنا يلبسون التيجان الذهبيــة و يركبون الخيول المسوّمة ، وعامتهم آمنون على نفوسهم وأولادهم وأموالهم يركبون البغال ولا نأخذ منهم جزية ولا نشوش عليهم، ولو أخذنا منهم جزية لكان يجتمع عندنا من الأموال مالايحصى ومن نقل اليكم غير ذلك فهو من الكاذبين . وليس يخفى عليكم أن بحر النيل يجرى اليكم من بلادنا ولنا الاستطاعة أن نمنع مجيئه اليكم ولا يمنعنا عن ذلك ألا تقوى الله . . . فاعلموا أنتم ما يجب عليكم ولم يبق لكم عذر تبدونه . وما قصدنا الآن إلا أن يقوم بيننا الصلح كما كان بين الملوك السالفــين . واسألوا الجبرتية الذين هم فى الأزهر كم سلطان لهم من المسلمــين . . . ان والدى داود أرسل رسلاً الى السلطان الظاهر برقوق فقابلهم بالاكرام والاحترام ونحن لما جلسنا على تخت والدنا أرسلنا رسلاً الى الملك الاشرف لنجدد العهد بيننا

فأكرمهم واحسن اليهم . والآن أرسلنا لعظمتكم رسلاً والمأمول صدور أمركم بقبول هديتنا واعادتهم الينا سريعاً . ومهما فعلتم من الاحسان فنحن فاعلون أضعاف ذلك . ونرجو صدور أمركم بعمارة قبر مريم ودير الغطس فى القدس لأننا قائمون على صيانة مساجدكم وآدابكم . . . وأن تعنوا بأمر اخوتى النصارى . . . »

وعلى أثر ذلك أرسل السلطان الظاهر وفداً إلى صاحب الحبشة بهدية مؤلفة من سرجين من ذهب وديك بجوف من بلور محلى بالذهب وأقمشة من الجوخ وعشر خلعات من الجوخ والصوف الملون و ٢٠٠ ثوب بطانة وزلعتين من الزيت الطيب وعبير ذلك . قال السخاوى ما مؤداه : « والوفد يحمل إلى صاحب الحبشة كتاباً من السلطان فحواه أنه لا يوافق على مطالبه لأن نصارى مصر قد كثر تعديهم واكثروا من اقامة الكنائس . فما كان من النجاشى إلا أنه تهدد رسل السلطان واستدعى السلطان شهاب الدين بن سعد الدين ملك المسلمين وأنزله عن عرشه ودارت رحى الحرب بين جموع الأحباش والمسلمين وآل الأمر إلى قتل ابن سعد الدين وعرض جثته على وفد السلطان . . . وعرف السلطان الظاهر بذلك فاستقدم البطريك اليه وضربه ضرباً مبرحاً وتهدده بقتل جميع من بمملكته من النصارى . ثم اعفى عنه بعد ان وعد بمخاطبة صاحب الحبشة فى الأمر ليحسن معاملة المسلمين فى بلاده والا حلت عليه وعلى جماعته نقمة السلطان وأرسل رسولاً اليه مصحوباً برسول من المسلمين فخلع

النجاشي عليه و بعد مماطلات كثيرة أطلق سبيله وعاد الى مصر بعد أربع سنوات . »

وجاء فى كتاب « بدائع الزهور » لابن اياس ما يؤخذ منه « أنه فى سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) وصل إلى مصر رسول من لدن نجاشى الحبشة يحمل هدية فاخرة الى السلطان الاشرف قايد باى الشركسى فأكرمه السلطان اكراماً زائداً والسبب فى قدومه الالتماس من بطريرك القبط الارثوذكس تولية نائب له فى الحبشة . »

وأما فى العصور الحديثة فصلة الحبشة بمصر تجلّت بأجلى مظاهرها فى عهد محمد على باشا الكبير مؤسس الأسرة العلوية وحفيده اسمعيل باشا ، وهو عهد ميمون جددت مصر فيه شبابها ودخلت فى عصرها الذهبى ونهضت نهوضاً استوقف أبصار العالم المتمدن وكان له أثره الحميد فى الاقطار المجاورة لمصر وفى جملتها السودان والحبشة كما يتضح مما يأتى :

محمد على الكبير ومنابع النيل

فى ٩ يوليو سنة ١٨٠٥ أصدر السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٨) فرماناً بتولية محمد على الكبير على مصر . فتقلد هذا العصامى النابغة زمام الحكم والفوضى ضاربة أطنابها فى البلاد فعانى كثيراً من الصعوبة فى تعزيز سلطانه ولا سيما أن المماليك كانوا يناصبونه العداء لانتزاعه الحكم من يدهم . وكان الانجليز من جهة أخرى يطمعون فى السيطرة على مصر فقضى على سلطة المماليك فى

مصر الوسطى والسفلى وبعد أن فاز بوساطة فرنسا باستتباب الأمر له في ولايته حارب الانجليز وكسرهم في رشيد ثم في حماد وأكرههم على الارتداد الى الاسكندرية ثم أخرجهم منها عنوة بعد أن احتلوها ستة أشهر (١٨٠٧) . وكان الصعيد لا يزال تحت سيطرة المماليك فتخذ تدابير محكمة لانتزاعه من يدهم . ولم تأت سنة ١٨١٠ حتى كان قد خرج برمتـه من حيازتهم . وقبل أن يشرع في محاربة الوهابيين في جزيرة العرب رأى أن يقضي على المماليك قضاء مبرماً فجمع منهم ٤٧٠ مملوكاً في حفـلة أقامها في القلعة في أول مارس سنة ١٨١١ توديعاً لابنه طوسون باشا قبيل خروجه الى مكة لمحاربة الوهابيين . وفي هذه الحفلة قتلهم عن آخرهم وفتك رجاله في هذا الوقت نفسه بنحو ٦٠٠ مملوك آخر في القاهرة والاقاليم ولم ينجُ منهم سوى الذين كانوا متفرقين في الصعيد ففروا الى بلاد النوبة ودنقلة وبذلك خلا له الجو

وبعد أن أخضع الوهابيين في الحجاز وفرغ من توطيـد دعائم الاصلاح في مصر رأى أن تأمين سلامة النيل — وهو حياة مصر — من منبعه الى مصبـه وجعل مجراه الطويل تحت سيطرته في مقدمة ما ينبغي له أن يتوخاه من وجوه الخير لمصر . وكان من جهة أخرى يريد أن يمضي في حدود مصر الى أبعد مدى مستطاع بحيث يدخل في نطاقهـا قسم من سورية في الشمال وبلاد السودان في الجنوب وأن يستأصل شأفة المماليك الذين اعتصموا بدنقله فضلاً عن أغراض

أخرى كان يتوخاها منها اكتشاف معادن الذهب اثناء بحثه عن منابع النيل وشغل الجيش فى سلسلة من الحروب تصرف قادته عن مناوئته ومنازعته السلطان

وفى شهر فبراير سنة ١٨٢٠ احتلت الحملة المصرية بقيادة اسمعيل ثالث أنجال محمد على واحة سيوه ثم تقدمت الى دنقلة واستحوذت عليها بعد أن فر المماليك الى مجاهل السودان . وفى شهر مارس سنة ١٨٢١ استولت الحملة على بربر ، وفى شهر مايو استحوذت على شندى ثم على حلفا وأم درمان

واستأنفت الحملة سيرها متتبعة مجرى النيل الأبيض الى أن بلغت المكان الذى يلتقى فيه بالنيل الازرق وهو المكان الذى أنشئت فيه مدينة الخرطوم عاصمة السودان فى سنة ١٨٢٣ . فاتجه اسمعيل بها نحو الشرق جاعلاً مسيره على محاذاة مجرى النيل الازرق الى أن بلغ الى سنار فى ١٢ يونيو سنة ١٨٢١ فأخضعها لسلطان أبيه .

وسارت حملة أخرى بقيادة محمد بك الدفتردار صهر محمد على الى كوردوفان التابعة لسلطان دارفور . و بعد مشاق كثيرة عانتها فى اجتياز الصحراء الفاصلة بين النيل والابيض عاصمة كوردوفان استولت على هذه العاصمة وغلبت سلطان دارفور على أمره

ثم وصل ابرهيم بن محمد على بالمدد و بذلك اشتد ساعد اسمعيل وتابع سيره على مجرى النيل الازرق الى أن بلغ فازوغلى (فازوغلو). أما ابرهيم فان المرض أكرهه على العودة الى سنار ثم الى مصر.

وكذلك اسمعيل لما يأس من اكتشاف معادن الذهب عاد إلى سنار. ثم نشبت نار الثورة فى شندى فقمعها وعامل الملك نمر بقسوة فكظم غيظه ريثما دعاه الى قصره – وهو بيت من القش – وأضرم النار فيه فمات ابن محمد على محروقاً مع جماعة من أتباعه. ووصل محمد بك الدفتردار فانتقم من أهل شندى وملكهم شر انتقام

وفى سنة ١٨٣٨ جاء محمد على بنفسه الى السودان ونظم شئونه. ومع انه لم يفز بأمنيته كلها من فتحه فان تمكنه من بسط سيادته على تلك الأصقاع المترامية الاطراف والسيطرة على منطقة النيل الأعلى أمر على جانب عظيم من الأهمية لا بالنسبة الى مصر فقط – وقد عاد هذا الفتح عليها بخير النتائج – بل بالنسبة الى النفع الأدبى والمعنوى الذى جنته الحضارة من وراء ذلك أيضاً

عهد اسمعيل

لقد نشأ اسمعيل باشا على حب الاصلاح، وشغف بالمجد والعظمة حتى فاز منهما بما لم يفز به أمير فى الشرق. ولم يكن حب الفتح والتوسع فى الملك آخر أمانيه. وذكر فتوحات جده العظيم، ورأى فتح السودان واكتشاف منابع النيل أقربها منالاً. وجاءت مسألة الرق التى ضج العالم المتمدن بالتذمر من شرها حافزة له على العمل السريع فأرسل حملة عسكرية بقيادة «بيكر» أوغات فى السودان حتى بلغت غوندوكورو فى أقصى الجنوب على مسافة درجتين من خط الاستواء

وألحقت كل تلك الأقاليم الواقعة فى ما وراء السودان بمصر تحت اسم « الاقاليم الاستوائية » وفى جملتها منطقة بحر الغزال

ثم أرسلت حملة أخرى بقيادة « بيكر » وصلت الى بحيرة فكتوريا على حدود الاقاليم الاستوائية الجنوبية. وعلى أثر ذلك عين بيكر حكمداراً لهذه الاقاليم فأنقذها من شر الرق

وفى سنة ١٨٦٦ تخلى السلطان لاسمعيل عن مينائى مصوع وسواكن وكانا حتى ذلك الحين تابعين لولايتى الحجاز واليمن

وفى سنة ١٨٧٣ مرّ البرنس دي غال (الملك ادوار السابع) بمصر فى طريقه إلى الهند فاوعز الى الخديو أن يستبدل بيكر بغوردون فعينه حكمداراً لمنطقة الجنوب من الأقاليم الاستوائية

وفى هذه السنة نفسها استأذن الزبير اسمعيل باشا فى فتح دارفور وزحف على رأس حملة قوية وقاتل سلطان دارفور وكسره والحق بلاده بمصر فعينه اسمعيل حاكما عليها ثم عهد فى حكمها الى ابنه سليمان

وفى سنة ١٨٧٥ تخلى الباب العالى لمصر عن مدينة « زيلع » فاحتلها الجيش المصرى. ثم زحفت حامية زيلع على منطقة « هرار » فى بلاد الحبشة ولم تلق مقاومة تذكر من جانب أميرها فاحتلتها وألحقتها بمصر. وعنى المصريون باقليم هرار عناية خاصة لأنه اكثر أقاليم الحبشة خصباً فهو ينتج الدخن والذرة والقمح وسواها من الجنوب. والينابيع متوافرة فيه تجرى من جباله الى السهول فترويها وتحيي الزرع والضرع فيها. ومن أكبر قراه كولوبي وايرنا

وكوني . أما مدينة هرار فلا يقل عدد سكانها عن نحو ٤٠ ألفاً وكانت موطناً للرأس مكونين وله فيها قصر جميل أنشأه المصريون بعد أن احتلوا المدينة وحصنوها وأقاموا فيها مساجد ومنائر لا تزال قائمة الى اليوم . ولما جلوا عنها سنة ١٨٨٥ تخلف قوم منهم هناك واختلطوا بسكانها الذين هم من الغالا

وأراد اسمعيل أن يصل بين الاوقيانس والأقاليم الاستوائية بضم الصومال الجنوبي الواقع على نهر جوب اليها فأرسل سنة ١٨٧٥ حملة عسكرية بحراً بقيادة مكيلوب باشا نزلت الى البر في بروه بقرب مصب نهر جوبا وفي قسمايو عند مصبه . غير أن هذه الحملة اضطرت بعد ان جابت تلك المنطقة الى النكوص على أعقابها على أثر احتجاج انجلترا حامية زنجبار وهذا علاوة على أن الحرب كانت قد نشبت في بلاد الحبشة

ثم أرادت مصر أن تعين الحدود بين ممتلكاتها هناك وبلاد الحبشة ليتسنى لها أن تمتلك الأرض اللازمة لمد خط حديدي بين مصوع والخرطوم ففرضت على النجاشي يوحانس ملك الحبشة أن يكون مجرى نهر « خور الغاش » حداً فاصلاً بين مملكته والممتلكات المصرية فأبى ونشب القتال بين الجيشين المصري والحبشي . وكان الأحباش أكثر عدة وعدداً فدارت الدائرة على المصريين . واتصل نبأ هذا الخذلان بالخديو اسمعيل فأعد عدته للانتقام من الأحباش وجهز جيشاً كبيراً بقيادة راتب باشا يصحبه الجنرال لورنج باشا رئيس

أركان حربه والأمير حسن باشا ثالث أنجال اسمعيـل . وابحر هذا الجيش إلى مصوع ومنها سار الى غورا حيث انضم اليه كثيرون من الموالين لمصر. ووافاه النجاشي بجيش عظيم الى كيا كهور، وكان عثمان رفقى باشا أحسن تحصينها فامتنعت على النجاشي واستأنف هذا السير إلى غورا وهاجم الجيش المصرى وهزمه وكانت الخسارة بليغـة من الجانبين . فأوقفا القتال وتهادنا على شروط أهمها اطلاق حرية التجارة بين مصر والحبشة . وعقد الصلح بينهما فى شهر ابريل سنة ١٨٧٦

غوردون باشا

وفى سنة ١٨٧٧ عقد اسمعيل مع انجلترا ميثاقاً عاهدها فيه على الغاء الرق والقضاء على تجاره قضاء مبرماً . وعملاً برغبة الانجليز عهد فى هذه المهمة إلى غوردون باشا على أن تطلق يده فى إدارة السودان. واختص غوردون نفسه بادارة السودان القديم وقسم الأقاليم الاستوائية الى مديريتين : مديرية بحر الغزال ووكل أمرها إلى جيسى الايطالى الأصل ومديرية المنطقة الاستوائية وعهـد فى إدارتها الى امين باشا .

الرقيق

وأحسن جيسى سياسة البلاد التى كانت فى عهدته واشتدت وطأته على تجار الرقيق فثاروا عليه بزعامة سليمان بن الزبير فقمع جيسى ثورتهم وهلك ابن الزبير فى المعركة الأخيرة ووجدوا فى جيبه كتاباً

من أبيه يحرضه فيه على الثورة . اما غوردون فتابع خطته فى محاربة الرقيق حتى آخر عهد اسمعيل (١٨٧٩) . ولما جلس توفيق على الأريكة الخديوية اعتزل منصبه . وإذا صح رأى الكولونيل الاميركى شاليه لونغ الذى كان رئيساً لأركان حرب الجيش السودانى فى عهد غوردون فان هذا الحاكم لم يخلص لمصر بل كان يعمل على أثارة خواطر السودانيين ضدها تمهيداً لفصل السودان عنها . وهذا ما يؤيد رأى الذين عابوا على اسمعيل اناطته أمر الجيش الذى أعده لمحاربة الحبشة بضباط من الأوربيين كما يقول جعفر باشا مظهر حكمدار السودان (١٨٦٦ - ١٨٧٢) فى تقرير أرسله الى الحكومة المصرية.

على أن هذا الرأى لا يمكن أن يؤخذ به على اطلاقه فان الأجانب الذين عهد اليهم فى مهام عسكرية أو إدارية سواء فى السودان أو فى الأقاليم الاستوائية أو فى الحبشة نهضوا بعبء هذه المهام على خطورتها بما حقق الثقة التى وضعت فيهم ولا سيما جيسى الايطالى الذى عهد اليه فى مديرية بحر الغزال على نحو ما قدمنا . أما الانجليز أمثال غوردون وبيكر فمعظمهم كانوا يعملون بوحى من الحكومة الانجليزية وخصوصاً غوردون الذى جرى فى حكم السودان على سياسة معينة تمهيداً لفصل السودان عن مصر . وهذا ما يؤيده مجرى الحوادث حتى سنة ١٨٨٤ حيث تجلت السياسة الانجليزية بأجلى مظاهر فى الحاح الانجليز على مصر بالجلاء عن السودان وهو ما أكره شريف باشا على الاستقالة من منصب رئاسة النظار وحلول

نوبار باشا محله وفوز الانجليز على يده بحمل الحكومة المصرية على اقرار أمر الجلاء الذى تم فى سنة ١٨٨٥

ظهور المهدى والجلاء عن السودان

على أن جلاء قوات مصر العسكرية عن السودان عاد على هذا القطر بأسوأ النتائج . فان الامن اضطرب اضطراباً مشهوداً واشتدت وطأة الحكام على الشعب وكثر الاضطهاد واستحكمت حلقات الضيق وسادت الفوضى أنحاء البلاد . وفى أثناء ذلك ظهر المهدى وهو من أهل دنقله وقد ولد فيها سنة ١٨٤٣ . ولما شب ادعى النبوة وكثر اتباعه وعظمت ثروته فازداد نفوذاً ورفع لواء الثورة . وحاول رؤوف باشا حاكم السودان العام رده الى الطاعة فخبط مسعاه . وخلفه عبد القادر باشا حلمى فانتصر على الدراويش ولكنه عجز عن اخضاع المهدى . وفى سنة ١٨٨٣ استولى المهدى على الأبيض فجردت حملة لاخضاعه بقيادة هيكس باشا فهلكت عطشاً بين الدويم والأبيض . وحينئذ أشارت انجلترا على مصر بالتخلى عن السودان وتم لها ما أرادت .

مصرع غوردون باشا

وعهد فى مهمة الجلاء إلى غوردون فبرح القاهرة فى شهر يناير سنة ١٨٨٤ . وكان المهدى بسط سيادته على السودان الشرقى وعهد فى تدبير أمورها إلى عثمان دقنه ولم يبق هناك لمصر من القوات العسكرية

سوى حاميات سنكات وترنكتات وطوكر وسواكن على البحر الاحمر . وجدّ الجنرال بيكر فى انقاذ هذه الحاميات ولكن الدراويش كسروه وافنوا عسكره (فبراير سنة ١٨٨٤) . فجرد الانجليز قوة عسكرية كبيرة بقيادة جراهام فتغلب على قوات عثمان دقنه فى الطيب وطاماى

وفى شهر فبراير سنة ١٨٨٤ وصل غوردون إلى الخرطوم واستتب له الأمر فيها ولكنه أراد قبل الشروع فى أمر الجلاء أن ينقذ البلاد من شر المهدوية فاقترح على حكومة مصر أن تعين الزبير حاكماً على السودان بعد جلاء المصريين عنه . وفى أثناء ذلك كان المهدى استحوذ على بربر وقطع خط الرجعة على غوردون (مايو سنة ١٨٨٤) فأرسلت انجلترا حملة جديدة بقيادة اللورد ولسلى لانقاذ غوردون . وقبل أن تصل هذه الحملة استولى الدراويش على الخرطوم وفتكوا به (٢٦ يناير سنة ١٨٨٥) ووصل ولسلى فهاجم الخرطوم وقبل أن يتم مهمته استدعته حكومته

وفى ٢١ يونيو سنة ١٨٨٥ مات المهدى فى أم درمان وخلفه التعايشى على نشر دعوته وخطر له أن يفتح مصر فهاجمته القوات المصرية والانجليزية وكسرته شر كسرة (٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥).

وفى سنة ١٨٨٩ حاول ولد النجومى فتح مصر ولكنه لقى حتفه فى واقعة توشكى وهلك عشرة آلاف من أعوانه الدراويش

وتلا ذلك استظهار عسكر مصر عل الدراويش فى طوكر سنة ١٨٩١ وقرار عثمان دقنه

وفى ٢ مارس سنة ١٨٩٦ كانت وقعــة ادوا بين الايتاليان والأحباش . وكان للدراويش يد فى ما أحرز الأحباش من الفوز فشجعهم ذلك على تهديد كسله وطلبت إيطاليا من الانجليز أن ترسل حملة عسكرية إلى السودان تخفيفاً للضغط الواقع على مستعمرتها الجديدة فى مصوع والاريترة فنزلت انجلترا على رغبة التليان . وفى ١٣ مارس سنة ١٨٩٦ سارت الحملة بقيادة الجنرال كتشنر لفتح السودان باسم الخديو وانجلترا معاً فقضى عامين كاملين فى مهمته هذه حيث تم له فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ القضاء على قوات الخليفة واستولى على أم درمان عاصمة المهدى ثم على الخرطوم فى ٤ منه . وفى نوفمبر سنة ١٨٩٩ حاول التعايشى الاستيلاء على أم درمان ففشل وقتل وبذلك كان القضاء على المهدوية فى تلك البلاد

حادثة فاشودا

وفى أثناء ذلك كان الكبتن مرشان يجــد فى السير فى مجاهل افريقيا واجتاز النيجر إلى بحر الغزال ووصل إلى منطقة النيل العليا وبلغ فاشودا (١٨٩٦ – ١٨٩٨) . وفى ١١ سبتمبر وصل كتشنر الى فاشوده حيث التقى بمرشان . وبعد مفاوضات شاقة بين انجلترا وفرنسا جلا مرشــان عن فاشوده وعقدت معاهدة بين الدولتين (١٨٩٩) تحدد مناطق النفوذ بينهما فى القارة الافريقية وتؤيد حقوق مصر

على السودان . وعلى أثر ذلك عقد ميثاق بين انجلترا ومصر يخولها بحكم الفتح الذى تعاونا فيه حق الاشتراك فى إدارة السودان بالتساوى . و بمقتضى هذا الميثاق جعلت حدود مصر عند الدرجة ٢٢ من العرض الشمالى . غير أن الانجليز توسلوا بمقتل ستاك باشا حاكم السودان العام فى سنة ١٩٢٤ لاخراج المصريين من تلك البلاد والاستئثار بالحكم دونهم مخالفين بذلك أحكام ميثاق سنة ١٨٩٩

الخلاصة

وقبل أن نختم هذا الفصل لا بد لنا أن نبدى هذه الملاحظة وهى أن هذه الفتوحات المتوالية التى قامت بها مصر في عهد محمد على وخلفائه سواء فى السودان أو فى الاقاليم الاستوائية أو فى الحبشة كان لها شأنها فى إيقاظ شعور السودانيين وانعاش عاطفة الوطنية فى نفوسهم وتفتيح عيونهم على حسنات الحضارة العصرية لأنه بعد انقضاء زمن الفتح تمتعت هاتيك البلاد بنصيب من الرخاء والسلام لا عهد لها به ولا سيما بعد أن تولى الإنجليز والمصريون ادارة شئونها وأنشأوا المدارس والمستشفيات والمعاهد الخيرية والادبية وأقبل الاجانب عليها اقبالهم المعروف وراجت فيها التجارة ذلك الرواج المشهور . وكان من نجاح الاعمال والمشروعات العمرانية والزراعية فيها ما يسر أمورها وفتح أبواب الرزق فيها لعشرات الالوف من سكانها وسواهم مما أصبح أمره معلوماً للخاص والعام وكان له أثره فى توثيق

عن المودة بين الشعبين المصرى والسودانى وهى مودة ممزوجة بعاطفة دين مشتركة على ما هو مشهور

وهذه الفتوحات نفسها كان لها شأنها فى انشاء صلات وثيقة بين مصر والحبشة على رغم ما قام بينهما من النزاع والحروب فان احتلال المصريين لمقاطعة هرر فى عهد الخديو اسمعيل سنة ١٨٧٥ وبقاءهم هناك عشر سنوات أتاح لهم أن يعنوا بمصلحتها وخير سكانها وأفسح لهم المجال لترقية موارد الرزق عندهم واعدادهم لادراك مميزات المدنية الحديثة والخروج بهم من ظلمة الغباوة التى كانوا يتخبطون فيها الى نور العلم والمعرفة . ولا تزال آثارهم هناك بادية للعيان تنطق بعمل التمدين الذى قاموا به فى عهد احتلالهم لتلك البقعة من بلاد الاحباش ولا سيما فى مدينة هرر عاصمة المقاطعة على نحو ما ذكرنا

ومن المعلوم ان المصريين جلوا عن أرض الاحباش مكرهين بحكم السياسة الانجليزية لا بحكم الضغط عليهم من جانب الأحباش أنفسهم ولذلك فهم الى الآن يذكرون ذلك العهد مغتبطين بهذه الذكرى الطيبة ولو انها مؤلمة لمن تخلف منهم هناك لارتباطهم بروابط عائلية مع أهل البلاد . وتراهم شديدى الحرص على صلات المودة التى تربطهم بالحبشة بدليل الحفاوة التى قوبل بها فى مصر سمو الأمير اصفاوصن ولى عهد المملكة الحبشية منذ ثلاثة أعوام حيث أنفذه والده النجاشى هيلاسلاسى لشكر جلالة الملك فؤاد ملك مصر على ندب ممثل له فى حفلة تتويجه . وهذا ما يثبت أن علاقة مصر بالحبشة

انما هى علاقة متينة لا تشوبها شائبة ولا يعتورها أقل انحلال ولا سيما اذا ذكرنا أن هناك علاقة دينية أشد توثقاً وأعظم شأناً من العلاقة السياسية والتاريخية كما يرى فى ما يلى

الرابطة الدينية

ان بين مصر والحبشة رابطة دينية وثيقة العرى . نعم ان الاسلام الذى هو دين مصر الرسمى وتسعة أعشار المصريين يدينون به ليس له فى الحبشـة من الاهمية ما للدين المسيحى الذى هو الدين الرسمى هناك . فقد ذكرنا فى ما تقدم أن بعض امراء من المسلمين جاءوا الى الحبشة فى القرون الاولى للاسلام وأنشأوا فيها أمارات اسلامية فى حماسن وهرر واواسة وجيما وسواها غير أن هذه الامارات لم يطل أجلها فاندثرت ولكن الاسلام ظل منتشراً بين أهلها . والمسلمون اليوم فى الحبشة هم ربع سكانها

أما النصرانية فلم يكن هذا شأنها بل انها دخلت الحبشـة منذ أوائل القرن الرابع للميلاد وما زالت من ذلك التاريخ تنتشر فيها وتتغلغل فى أرجائها حتى شملت جانباً كبيراً من سكانها . ولما كان لبطريركية الاسكندرية شأن عظيم فى تنصير الحبشة وظلت محتفظة بصلاتها بها الى هذه الايام وأهل هذه البطريركية من القبط — مع انهم لا يزيدون على عشر عدد سكان مصر — يعدّون من أرقى طبقات الشعب المصرى كان لصلات هذه البطريركية بالحبشة أهمية خاصة تستغلها الحكومتان المصرية والحبشية لمصلحة البلادين وخيرهما . ولطالما

استعان حكام مصر ببطريركية القبط فى مصر على تحقيق أمانى لمصر لولا هذه الرابطة الدينية بين البلادين لتعذر تحقيقها . ولا غرو فالحبشة تعد أبرشية من أبرشيات مصر ولبطريرك القبط السيادة الدينية عليها وللمطران الذى ينوب عنه فيها السلطان المطلق فى الشئون الدينيـة والاحوال الشخصية حتى فى تولية الملك فانه لا يعترف به هناك ما لم يمسحه المطران . فلذلك لما استحوذ منليك الثانى على عرش الحبشة سأل أبونا متأوس وهو يومئذ أسقف بسيط أن يتولى تتويجه فابى طلبه بعد التردد لأن هذا الحق محفوظ لمطران الحبشـة . وعلى أثر ذلك طلب منليك الى غبطـة البطريرك فى مصر (الانبا كيرلس الخامس) أن يرقيه الى مقام المطرانية مكافأة له على جميله (١٨٨٩)

الانبا كيرلس الخامس بطريرك القبط الاسكندرى وهو الذى توج الامبراطور هيلاسلاسي سنة ١٩٣٠ في اديس ابابا



﴿ الرأس طفرى ﴾
(الامبراطور هيلاسلاسى)



جلالة الامبراطورة منن وكريمتها الأميرة تساهاى وقد زارت مصر سنة ١٩٣٣

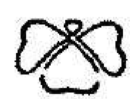
والانبا متأوس هو الذى أصدر قراراً بخلع لبج ياسو عن العرش أثر تآمره مع الالمان وأنصارهم على الحلفاء فى الحرب العظمى وجنوحه الى الاسلام وهو دين أبيه وجده ومهد لقرار الخلع باتهام الامبراطور بالكفر والحرم الكبير شافعاً ذلك بقرار آخر بتعيين اوزورو زاوديتو صغرى بنات الامبراطور منليك – وزوجة الرأس اريو سلاسي ابن الامبراطور يوحانس – امبراطورة على الحبشة والرأس طفرى ابن الرأس مكونين (ابن عم منليك) ولياً للعهد وكفيلاً للامبراطورية (٢٩ سبتمبر سنة ١٩١٦) . وتوفى الانبا متأوس فى ٤ دسمبر سنة ١٩٢٦) فنشرت صحف أوربا نبأ موته مكبرة خطب الحبشة فيه لأنه مثل دوراً عظيماً فى تاريخها الحديث فكان قبلة الانظار وكان له يد فى كل ما جلّ من أمورها

ولما تبوأ الامبراطور هيلاسلاسى عرش الحبشة لم يهدأ له بال حتى توجه غبطة الانبا كيرلس بطريرك القبط السابق فى حفلة رسمية شهدها معتمدو الدول وعظماء المملكة (١٩٣٠) . ولا نزال حديثي العهد بزيارة الامير اصفا وصن ولى عهد الحبشة لمصر وما قوبل مقدمه به من مظاهر الترحيب والتكريم وزيارة والدته الامبراطورة منن للقاهرة وما قرنت به زيارتها هذه من مجالى التعظيم والاجلال واحتفاء غبطة بطريرك القبط بها وتقبيلها ليده اعرابا له عن احترامها لشخصه السامى وما للانبا كيرلس مطران الحبشة الحالى من المقام العالى فى بلاط اديس ابابا الى آخر ما هنالك من الأمور الدالة على

عظم نفوذ كنيسة الاسكندرية فى الحبشة وما لها من الشأن فى توثيق عرى المودة بين مصر و بلاد الأحباش من أقدم عصور النصرانية الى اليوم



﴿ سيادة الأنبا كيرلس مطران الحبشة ﴾



تاريخ الحبشـــــة

الحبشة مملكة عريقة ترتقى فى نشأتها الى أقدم عصور التاريخ . على ان تاريخ الحقبـة الاولى من حياتها محاط بحجب الغموض والابهام وما دوّن فى كتب الاقدمين عنه باعتبار انه من الحقـائق التاريخية قائم على تخيلات وتكهنات لا تستند الى أدلة يحسن الوقوف عندها والتعويل عليها

ولقد وقفنا على جدول بأسماء الملوك الذين توارثوا الحكم فى بلاد الحبشة منذ قيام الملك فيها الى أيامنا هذه فاذا بهم ٣٣٤ ملكا منهم ٢١ ملكاً من سلالة الملك اودى وقد ملكوا منذ عهد الطوفان الى سقوط برج بابل ، و ٢٥ ملكاً من سـلالة الملك كام وقد ابتدأ ملكهم بعد سقوط برج بابل وانتهى عند قيام الملك اكيوناس ، و٥٢ ملكاً من سلالة الملك اكيوناس وقد امتد حكمهم الى عهـد منليك الاول ، و ٦٧ ملكا من سلالة منليك الاول امتد حكمهم حتى عهد المسيح . أما بعد المسيح فأول من آمن بتعاليمهِ من ملوك الحبشة الملكة صوفيا (آهيوا) وابنها الملك أبرهه على يد القديس فريمنتوس الذى نشر الايمان المسيحى فى الحبشة (٣٢٧ م) . وقد تعاقب على العرش من سـلالة ابرهة ٣١ ملكا آخرهم بازينا ايزانا . ثم قامت أسرة الامبراطور كالب وعدد ملوكهـا ٢٧ وآخرهم ديل نآد . وتلتها أسرة زاجى (مارا تكلا هايمانوت) فكان منها ١١ ملكا آخرهم هار باى .

ثم اغتصبت التاج أسرة اسرائيلية . وقام بعدها يكونو املاك فاسترجع العرش لاسرته السليمانية . وكان عدد ملوكها ٢٣ ملكاً آخرهم الملك داود الذى خلفه الملك لبنا دنجل .

وقامت بعد ذلك اسرة غوندار فكان منها ١٨ ملكاً آخرهم الملك تكله جيورجس . أما فى العصور الحديثة فقد تولى عرش الحبشة ٢٢ ملكاً اليك اسماءهم :

١٧٨٤ - ٨٨	ياسو	١٨٣٠ - ٣٢	اياسو الرابع
١٧٨٨ - ٨٩	تكلا هايمانوت	١٨٣٢	جبرا كريستوس
١٧٨٩ - ٩٥	اسكياس	١٨٣٢ - ٤٠	ساهالا دنجيل
١٧٩٥ - ٩٧	بايدا مريم	١٨٤٠ - ٤١	يؤانس الثالث
١٧٩٧	جونوس	١٨٤١ - ٥٥	ساهالادنجيل (ثانية)
١٧٩٧ - ٩٩	آديمو	١٨٥٥ - ٦٨	تيودورس
١٧٩٩-١٨١٨	اجوالا صهيون	١٨٦٨ - ٨٩	يوانس (يوحانس) الرابع
١٨١٨ - ٢١	جواس	١٨٨٩-١٩١٣	منليك الثانى
١٨٢١ - ٢٦	جيغار	١٩١٣ - ١٦	ليج ياسو
١٨٢٦	بايدا مريم الثالث	١٩١٦	زاوديتو
١٨٢٦ - ٣٠	جيغار (ثانية)	١٩٣٠	هيلاسلاسى

يتضح مما تقدم أن دولاً كثيرة تعاقبت على حكم الحبشة وتداول صولجانها كثير من الغزاة والفاتحين فتقلبت فى أدوار شتى

لا متسع للتبسط فيها . وحسبنا فى هذه النبذة أن نجمل تاريخها فى ما مرَّ بها من الحوادث منذ عهد الفراعنة الى اليوم . ويقسم تاريخها فى هذه الحقبة من الدهر الى دورين أو عصرين : عصر اثيوبيا وعصر الحبشة

مملكة اثيوبيا

إن الاثيوبيين والفراعنة تعاصروا حقبة طويلة من الدهر وكانت الحرب بينهم سجالاً ولم تضع أوزارها إلاَّ بعد انقراض دول الفراعنة . واذا كان هؤلاء الفراعنة أخضعوا اثيوبيا لسلطان مصر كما ذكرنا عند بسط العلاقات التاريخية بين المملكتين المتجاورتين فإن اثيوبيا تغلبت على مصر وأخضعتها لسلطانها نحو نصف قرن (٧١٥ — ٧٦٥ ق . م)

وأول من اجتاحها من ملوكهم بيونكى مياموف . وفى سنة ٧١٥ ق . م . جاءها الملك سباقون (سابالمون) الحبشى فاتحًا وفتك بملكها باكوريس آخر ملوك الدولة الصاوية وقبض على صولجان مصر . وكان مدبراً حكيماً فنظم البلاد وأحسن تدبير أمورها واستبقى حكامها على أقاليمهم تحت رقابة امراء اثيوبيين وأقام الجسور واحتفر الترع ورمم المعابد وأحدث كثيراً من الاصلاح . وبهذه السياسة الحكيمة أحرز ثقة المصريين فانقادوا له . وفى ذلك العهد كانت مملكة أشور أخضعت لسلطانها الفينيقيين والاسرائيليين والفلسطينيين وأراد هؤلاء خلع نيرها فاستنجدوا عليها سباقون واتصل نبأ هذا

التحالف بشلمنصر فاحتال على هوشع ملك اسرائيل واستأسره . ثم حمل على قومه فهزمهم وأكرههم على الاعتراف بسيادة أشور وحاصر السامرة ولـكنه لقى منيته قبل أن يحقق فى فتحها امنيته . وخلفه على عرش اشور سرجون كبير قادة الجيش الأشورى فتم له فتح السامرة ثم زحف على فلسطين وهزم جيش الملك يهو يد حليف سباقون وقتله

أما سباقون فزحف على الشام مستصحباً حانون ملك غزه يريد ردّ سرجون عن مصر ودارت رحى القتال فى رفح فانجلى عن انهزام الجيوش المصرية والشامية ووقوع حانون فى الأسر ونجا سباقون وأوغل فى الصحراء ثم اهتدى إلى طريق مصر . ثم ثار عليه سكان مصر السفلى بزعامة اسطيفانيتس أحد أقارب الملك باكوريس فانهزم سباقون إلى الصعيـد واستقل باكوريس بالوجه البحرى . ثم مات سباقون وخلفه ابنه سيخون فانتهز فرصة النزاع القائم وقتئذ بين طلاب السيـادة فى مصر السفلى واستحوذ عليها . ولـكنه لم يكد يستتب له الأمر فيها حتى قتله طهراق وتولى مكانه وانتزع مدينة منف من اسطفانيتس . ثم جاءه اشوراخى الدين ملك اشور فاتحاً ففر طهراق إلى النوبة واستولى ملك اشور على منف وطيبة (الاقصر) ونهب هيا كلها ثم أقر رؤساء الأقاليم فى مناصبهم وضرب عليهم الجزية . وعند عودته إلى نينوى مرّ بنهر الكلب فى ساحل لبنان فنقش على الحجر الذى كان نصبه رعمسيس الثانى هناك نقوشاً كثيرة ترمز الى تغلبه على المصريين والاثيوبيين

وفى سنة ٦٦٩ ق . م حاول طهراق استرجاع حكم مصر وكان اشوراخى مريضاً فتخلى عن عرش اشور لابنه الاكبر اشور بانيبال . فزحف هذا على مصر وانتزعها من يد الاثيوبيين وأقر رؤساء الأقاليم فى مناصبهم وعاد إلى بلاده . فتحالف طهراق مع بعض هؤلاء الرؤساء ضده . وعلم ملك اشور بذلك فعاقب الخائنين وأثار عمله هذا حفيظة طهراق فزحف على مصر واستحوذ على منف وطيبة وحظر على أهلها عبادة الصنم « ابيس » . وكان ملك اشور استبقى فى حيازته الذين خانوه من رؤساء أقاليم مصر وساقهم إلى بلاده فتودد اليهم واستمالهم إلى جانبه حتى إذا وثق بولائهم أرسلهم الى مصر لطرد طهراق منها فاستولوا على مصر السفلى ثم على مصر العليا . وظلت مصر هكذا كريشة فى مهب الريح تتداولها أيدى الاشوريين والاثيوبيين حتى قضت الأقدار بتخلى اشور عنها فدخلت فى حيازة ملك اثيوبيا على نحو ما هو منقوش بالهيروغليف على حجر وجد فى اطلال مدينة نبتة عاصمة اثيوبيا وهو محفوظ فى المتحف المصرى

والذى يستجلى من كل ذلك أن مصر واثيوبيا تجاورتا حقبة طويلة من الدهر . ولئن كانت صلة الجوار أدت بهما الى تنازع السيادة والسلطان وهو ما أفضى بهما الى الحرب والتنابذ فان هـذه الصلة ذاتها قضت عليهما بالتآزر والتعاون فى غير حقبـة من تاريخهما حتى ان اشور نفسها وهى سيدة العالم فى ذلك الحين لم يسعها بازاء تآزرهما الثبات على مناوئتهما فاضطرت إلى الجلاء عن مصر وتركها وشأنها.

مملكة الحبشة

دار الزمن دورته فانقرضت دولة الفراعنة ودخلت اثيوبيا فى دور من الانحطاط النسبى أدى بحكم الظروف الحرجة التى كانت محيطة بها وقتئذ الى انتقال السيادة فيهـا الى القسم الشرقى الجنوبى منها أى الى البقعة المعروفة اليوم ببلاد الحبشة .

ففى هذه البقعة قامت دولة الحبشة المعروفة اليوم . وترجع فى اعتبار الأحباش إلى عهـد سليمان الحكيم الذى يذهبون الى ان ملوكهم متحدرون منه . وأسرة هؤلاء الملوك تعرف بالأسرة السليمانية نسبة اليه .

وأول ملوكهم منليك الأول بن سليمان الحكيم من امرأته بلقيس ملكة العرب أو ملكة اليمن التى هى فى نظر الأحباش ملكة الحبشة . ذلك ان الملك سليمان استقدمها اليـه وعلق بحبها لجمالها ونظم فيها قصيدته نشيد الأناشيد . ثم عادت إلى بلادها وهى حامل فولدت غلاماً اسمته منليك . ولما ترعرع أرسلته الى اورشليم ليتعرف بأبيه فجعله هذا ملكاً على الحبشة فى حفلة رسمية أقامها فى الهيكل وأطلق عليه اسم داود تيمناً باسم جده وأعاده الى والدته سنة ٩٦٤ ق . م . وبعد وفاة والدته افضى العرش اليه سنة ٩٥٥ ق . م . وهو أول ملوك الأسرة السليمانية .

ويذهب الأحباش إلى أن هذه الأسرة حكمت زهاء ٢٩ قرناً

وحكمهم هذا ينقسم إلى ثلاثة أدوار تخللتها فترات خرجت السيادة فيها من أيديهم الى حين

الدور الأول — يبتدىء من عهد منليك الأول وينتهى عند دخول النصرانية الى الحبشة (٩٥٥ ق . م — ٣٤١ م)

الدور الثانى — يبتدىء بدخول النصرانية وينتهى بانتهاء حكم « الزاكوة » (٣٤١ — ١٣٣١ م) وهذا الدور تخلله حكم يوديت أو استير وهى امرأة يهودية انتزعت الحكم من يد الأسرة السليمانية سنة ٩٣٧ م وحكمت إلى سنة ٩٧٧ م ثم دخلت الحبشة فى حكم أسرة مسيحية تسمى « الزاكوة » واستمر حكمها ٣٥٤ سنة أى الى سنة ١٣٣١ م ومؤسسها « مارا تقلا هيانوت »

الدور الثالث — يبتدىء فى سنة ١٣٣١ م وهو قائم الى اليوم

على أن تاريخ هذه الأدوار لم يتجل للباحثين فى تاريخ الحبشة على حقيقته ومن أهم حوادثه دخول الدين المسيحى بلاد الحبشة فى سنة ٣٢٧ م عن طريق مصر وهى يومئذ فى حيازة الرومان والحبشة فى حكم الملك ابرهة الأول من الأسرة السليمانية (٣٢٨ - ٣٥٦ م) كما ذكرنا فى غير هذا المكان

لما اعتنقت الحبشة الدين المسيحى على يد كنيسة الاسكندرية كان ذلك باعثاً لهذه الكنيسة على نشره فى بلاد اليمن وهى يومئذ فى حيازة الحميريين وملوكها على دين اليهودية . وكان أهل نجران أول من تنصر من اليمنيين وجعلت كعبة نجران كرسى النصرانية .

وشق على اليهود أن يروا مواطنيهم من المسيحيين يزدادون عدداً ونفوذاً حيناً بعد حين فاضطهدوهم واشتدت المنافسة بين الفريقين الى أن جلس على عرش اليمن ذو نواس « دميانوس » وهو من اليهود فى أوائل القرن السادس فاشتدت وطأته على نصارى نجران وأمرهم باعتناق اليهودية فأبوا فأحرق فريقاً منهم فى اخدود وسموا لذلك أصحاب « الأخدود » وقتل فريقاً آخر بالسيف فكان عدد القتلى عشرين الفاً .

وفرّ رجل من أهل نجران يسمى « دوس » وراح يستنجد ملك الروم فى القسطنطينية . وكانت الحبشة يومئذ مملكة مسيحية فى أبان عظمتها فكتب هذا إلى النجاشى هداد يسأله أن ينجد اهل نجران فانجدهم بسبعين الف مقاتل بقيادة « ارياط » و « ابرهة » ووصل الجيش الحبشى الى اليمن وقاتل الحميريين فهزمهم واقتحم ذى نواس البحر بفرسه فغرق وأوغل ارياط فى اليمن وفتك بثلث رجالها واذل أهلها وأرسل الى النجاشى ثلث سباياهم واستأثر بعرش اليمن . وفى رواية أخرى ان الاحباش خرجوا لقتال اليمن وسأل ذو نواس اقيال اليمن أن ينجدوه فخذلوه فتظاهر بمسالمة الأحباش واستدرجهم إلى صنعاء بعد أن سلمهم مفاتيح على زعم أنها مفاتيح الخزائن وتفرقوا لأخذ الأموال ففتك بهم الاقيال منفردين . وعلم النجاشى بهذه الخدعة فجهز على اليمن ٧٠ الف مقاتل بقيادة ارياط وابرهة على نحو ما ذكرنا . ثم طمع القائدان بالملك وتبارزا فكان

الفوز لابرهة بعد ان شرمت أنفه وعيناه وسمى الاشرم وقتل ارياط واستتب الأمر لابرهة

وحدث ان ابرهة اختطف امرأة « ذو يزن » أحد ملوك اليمن الخاضعين له فنقم هذا عليه واستنجد كسرى ملك الفرس فخذله و بقى ذو يزن فى العراق حتى مات . وكانت امرأته لما اختطفها ابرهة حاملا فولدت ولداً اسمته « سيفاً » فلما كبر انبأته أمه ما كان من ابرهة مع أبيه . ثم مات ابرهة وله ولدان يكسوم ومسروق فخلفه على عرش اليمن أول الولدين ثم الثانى . وكان سيف ابن ذى يزن قد شب فهم بالانتقام لأبيه واستنصر ملك الروم فخذله ثم لجأ الى كسرى ملك الفرس فأعجب بذكائه و بسالته وانجده بالمساجين و بجند بقيادة « وهرز » من أبطال جيشه . و بعد وقائع كثيرة قتل الملك مسروق وخرجت اليمن من يد الحبشة بعد أن ظلت فى حيازتهم ٧٢ سنة . وقد توارث الملك منهم أربعة : ارياط وابرهة ويكسوم ومسروق .

وفى رواية مؤرخى اليونان انه لما تضعضعت أحوال اليمن كان الروم جادّين فى بسط نفوذهم على الشرق بواسطة النصرانية . وكانت اليمن ممراً لقوافلهم التجارية التى كانت تحمل تجارة الهند إلى مصر والحبشة . وأراد الفرس وضع العراقيل فى طريق الروم وهم أعداؤهم فانزلوا الجند فى شواطىء خليج العجم وطلب يوستين قيصر الروم الى بنى حمير أن يردّوا الفرس عنهم وطلب مثل ذلك من الأحباش . ولما تولى يوستنيان حذا حذو سلفه ولكن العرب عادوا الى معارضة

قوافل الروم وتكرر هذا التعدى فى أوائل القرن السادس . فشق ذلك على الأحباش وهم حلفاء الروم تجمعهم بهم صلة المعتقد فزحفوا بقيادة ملكهم هداد على اليمن وحاربوا الحميريين وفتكوا بملكهم ذى نواس المعروف بدميانوس وجددوا المعاهدة مع يوستنيان على شرط أن يعتنق أهل اكسوم أحد أقاليم الحبشة الدين المسيحى . وأرسل الاكسوميون وفداً الى الاسكندرية فى طلب كاهن يعمدهم فأرسل اليهم القس يوحنا الذى صار فيما بعد أسقفاً على اكسوم

ثم جلا الأحباش عن اليمن وعاد الحميريون الى التعدّى على تجار الروم فأعاد اليباس ملك الحبشة الكرة وفتح اليمن وعهد فى حكمها الى أمير مسيحى من امراء الحبشة يسمى اسياقيوس ، واستعان هذا الأمير بالاسقف « حريجنتوس » — وكان من كبار العلماء — على نشر الدين المسيحى فى اليمن ففاز هذا الأسقف بذلك بعد أن أفحم هربان كبير أحبار اليهود هناك . ثم ثار بنو حمير على الأمير اسياقيوس وخلعوه . وحاول الملك اليباس ردهم الى طاعته ففشل وأكره على مصالحتهم .

وفى رواية العرب أن السبب فى اقدام الحبشة على محاربة اليمن يرجع الى اضطهاد ذى نواس ملك اليمن لنصارى نجران فاستنجدوا ملك الروم وخاطب هذا ابرهة الثانى ملك الأحباش فى الأمر فهب لنصرتهم وفتح اليمن وشيد كنيسة فى صنعاء أسماها « القليس » . واشتدت وطأة الأحباش على الحميريين فاستنصر أميرهم سيف ابن

ذى يزن ملك الروم فخذله ثم استنصر كسرى ملك الفرس فنصره بجيش تحت قيادة « وهرز » وزحف القائد الفارسى على اليمن وطرد الأحباش منها وبعث ينبىء سيده كسرى بذلك وأرسل اليه شيئاً كثيراً من العنبر والجواهر والأموال والعود والزباد فكتب اليه كسرى يأمره أن يترك عرش اليمن لسيف بن ذى يزن فصدع بالأمر وانتقم سيف من الاحباش شر انتقام لكنه اتخذ جماعة منهم خولاً له فقتلوه وبذلك ختم حكم الحميريين الى أن كان الاسلام فانضووا تحت لواء المسلمين

وانقضى بعد ذلك ردح من الزمان لم ينفك اليهود والمسلمون فيه عن غزو سواحل الحبشة حتى تملكوها واستأثروا فيها بالحكم دون الاحباش . وما زال الامر كذلك حتى أوائل القرن الرابع عشر حيث قام الملك امدى تسيون من سلالة الملك ايكون عملق ملك شوا الذى يمت بصلة النسب الى منليك الاول فوطد دعائم الامن فى البلاد الحبشية وانتزع مدينة زيلع من يد المسلمين ودخلت الحبشة فى عهده وعهد خلفائه فى دور جديد من النشاط والقوة . ثم رجعت القهقرى بسبب توالى غزوات المسلمين لارجائها واضطرام نار الفتن الداخلية فيها . ومما زاد فى شقائها أن قام محمد غرانى فغزاها وفتح ممالكها وأنزل بها ضروب الرزايا والويلات . وطال أجل غزواته خمسة عشر عاماً حتى أشرفت على الانقراض . ولولا اقبال البورتغاليين

على مناصرتها لقاء سماحها بدخول الارساليات الكاثوليكية اليها والاقامة فيها لقضى عليها قضاء مبرماً

تاريخها الحديث

أما فى العصور الحديثة فأهم ما يخلق بالذكر من تاريخ الحبشة انه فى سنة ١٥٣٣ اجتاح المسلمون بقاعاً واسعة منها بقيادة أمير زيلع واحتلوا امحرا وتيغرى وفتحوا اكسوم عاصمتها . واستنجد الاحباش حلفاءهم البورتغاليين فأنجدوهم وأنقذوهم من نير العرب . و بذلك خلا لهم الجو فانصرفت رسالاتهم الدينيــة الى نشر المذهب الكاثوليكى بين الشعب الحبشى . فأثار ذلك ثائرة الأحباش المنوفيزيين عليها ودارت رحى الحرب الدينية بينهم و بين الكاثوليك . واستمر النزاع بين الفريقين قرناً كاملاً الى أن اسفر فى النهاية عن طرد الرسالات الكاثوليكية من الحبشة فى القرن السابع عشر ونقل عاصمة الملك إلى غوندار

وفى خلال ذلك غزت قبائل غالا وسواهم بلاد الحبشـــة وانتهزوا فرصة الفتن الداخلية التى نشأت عن النزاع الدينى الذى كان قائماً بين طوائفها فأوغلوا فيها وأصلوا الأحباش حرباً شعواء توطيداً لسلطانهم فى أرجائها ووقع تكلا ايمانوت ملك الحبشة فى الاسر . ولم تخمد جذوة القتال فيها حتى كانت قد أوشكت على الدمار . وانجلى فى النهاية عن فوز الاقاليم باستقلالها بحيث أصبح لكل منهـا ملك مستقل لا سيطرة لامبراطور الحبشة عليه

وعلى أثر طرد الرسالات الكاثوليكية من الحبشـــة قطع ملوكها عهداً على نفوسهم باغلاق بابها دون الاوربيين جميعاً . واستمر هذا الحظر قرناً ونصف قرن . ثم أبيح لهم دخولها واستأنفت الارساليات الكاثوليكية مهمة التبشير فاصطدمت بعقبات جديدة أقامها المنوفيزيون فى سبيلها (١٧٥٠) وأدى الأمر الى هبوب ريح الفتنة وتفاقم الشر . وما فتأت البــلاد تتخبط فى دياجي الفوضى حتى ظفر ملك تيغرى بقمع الثورة وتهـــدئة الخواطر (١٨٠٠) . على ان السكون النسبي الذى تمتعت به فى أيامه كان بمثابة السكون الذى يسبق العاصفـــة . وفى الواقع ما كاد يلفظ نفسه الأخير حتى عصفت ريح الفتنـــة فى مختلف انحاء الحبشة . وبزغ فجر القرن التاسع عشر والفوضى ضاربة أطنابها فى البــلاد . وفى اثناء ذلك كان الاوربيون آخذين فى اكتشاف مجاهل الحبشة واعدادها لقبول الحضارة العصرية فذهبت جهودهم ســدى وحالت تلك المنازعات دون ما كانوا يرمون اليه اصلاحاً لشأنها واستثماراً لثروتها المدفونة

الامبراطور تيودورس

وفى ذلك الحين انقسمت الحبشـــة الى ثلاث ممالك وهى شوا وتيغرى وامحرا . وفى مطلع النصف الثـــانى من القرن التاسع عشر لاح نجم تيودورس فى سماء الحبشة . وما لبث أن تألق نوره وانبسط رواق سلطانه حتى تناول الحبشة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . وكان

له شأن غير شأن أسلافه فى حكم مملكة الأحباش حتى عدّ بحق منشىء الحبشة الحديثة

تيودورس هو ابن فلاح فقير يسمى هايلو من قرية شرجيه فى اقليم امحرا . وأمه شقيقة آتو رافائيل الذى كسر الحملة العسكرية المصرية سنة ١٨٣٧ . ولد فى سنة ١٨١٨ (وقيل سنة ١٨٢٠) وسمى « كاسا » والظاهر انه فقد والديه وهو حديث السن فدخل أحد الأديار وترعرع فيه . ولما كان ينتسب الى إحدى الأسرات الملكية فيما يزعمون أحب الرأس على أن يعنى بأمره فعينه مديراً للاسطبل . وفى سنة ١٨٤٢ اعتزل وظيفته هذه وانحاز الى جانب الزعيم بيرو من أتباع الرأس آليو وانتظم فى سلك جنده ، فعهد اليه فى ادارة الاسطبل . ولفت نظره ما هو عليه من الجرأة والاقدام فقربه اليه . ولكن كاسا كان يتطلع الى ما هو أبعد من ذلك ولم يلبث أن ساقته أهواء نفسه الثائرة الى ركوب متن الأخطار فألف عصابة قوية من أعوانه . وخشى الرياشى (وقيل الرأس على) ملك امحرا شره فزوجه بنته وأقطعه جانبًا من مملكته . وطمحت نفس « كاسا » الى الاستقلال بالملك دون حميه فحاربه وانتزع الصولجان منه (١٨٥٠) وساءت جرأته هذه الامبراطورة منين والدة الرأس على وكان كاسا ساخطًا عليها فحاربها وأسرها وأساء معاملتها . واستنجد الرأس على صديقه الرأس غوشو فأنجده ولكنه خذل ولقى حتفه فى ميدان القتال . ثم واصل كاسا زحفه الى غوجام حيث كان الرأس على

يتأهب للقتال فكرّ عليه بجيشه وكسره فى واقعة أيشاب كسرة ضعضعت قواه ولم تقم له بعد ذلك قائمة ، وبعد أن استحوذ على اقليمى امحرا (١٨٥٢) وتيغرى (١٨٥٥) دبّ الذعر فى قلوب ملوك الاقاليم ولا سيما بعد أن حارب قبائل غالا وأخضعها لسلطانه فاعترفوا بسيادته عليهم وسموه « ملك الملوك » وهو لقب ملوك الحبشة إلى اليوم . وقد توج امبراطوراً فى سنة ١٨٥٥ باسم « تيودورس الثانى » . وكان للانجليز يد فى استيلائه على عرش الحبشة فانقاد اليهم واتخذ له مشيرين منهم كان لهم الكلمة العليا فى بلاطه .

وما كاد تيودورس يتبوأ العرش حتى الف جيشاً لجباً من ١٥٠ الف جندى على أمل أن ينظمه على الطراز الاوربى . ومما يذكره له رجال الدين انه على أثر انحياز « باباس سلامه » اليه أصدر مرسوماً يقضى على جميع سكان الحبشة باعتناق الدين المسيحى . وكان لمرسومه هذا وقع شديد فى نفوس الاحباش وبذلك أصبحت الأكثرية الساحقة فى البلاد تدين بالمسيحية

وأراد فى أول حكمه أن يظهر بمظهر المسيحى الحقيقى ولو أنه كان شديد الوطأة على الرعية فأصدر أمراً بتحريم تعدد الزوجات ثم اغضى عن المسألة وانصرف إلى الملاذ وبات قصره مصدراً للمفاسد والموبقات ومجتمعاً لمنحطى الأخلاق من أعوانه . وبلغ من استهتاره وغروره انه أصبح يرى جميع الناس حتى الملوك والأمراء والاشراف

دونه قدراً وإدراكاً ومعرفة . واضطهد الكهنة حتى باباس سلامة نفسه الذى كان من أعوانه . واشتهر بكرهه للاجانب وتعمد الحاق الأذى بهم . وبالاجمال كان هذا الامبراطور فزاعة الناس حتى فى الأقطار المجاورة للحبشة .

على أن تيودروس هذا كان على جانب عظيم من الفطنة والذكاء وسعة المدارك والبسالة والأقدام فاستخدم مواهبه هذه لأحداث انقلاب كبير فى الحبشة كان له شأنه فى تأليف وحدتها السياسية بعد ان كانت ممزقة الأوصال لا جامعة تجمعها ولا رابطة وثيقة تربط مختلف أقاليمها وممالكها . فكان عمله هذا خير تمهيد للاصلاحات التى أحدثها منليك الثانى فيما بعد وعدّ من أجلها منشىء الحبشة الحديثة ومحيي مجدها السالف .

ومما يذكر لهذا الامبراطور العظيم الغريب الأطوار أنه رأى فى التعاون مع الأوربيين ما يسهل له مهمة الاصلاح التى انتواها رفعاً لشأن بلاده فالغى القانون القاضى بمنعهم من دخول الحبشة . ورأى من جهة أخرى أن الحروب انهكت قوى البلاد وضعضعت الجيش فأراد الاستعانة بانجلترا وفرنسا على انهاض البلاد وتعزيز وحدة المملكة . وكان شديد الثقة بودة الانجليز له،وخيل اليه أن تقربه منهم يسمو به الى مصاف الملوك العظام فحاول تعيين سفيرين له فى لندرا وباريس فخيط مسعاه . ذلك أنه خاطب الحكومتين الانجليزية والفرنسوية فى هذا الشأن فكان جواب نابوليون الثالث مرضياً ولو

أنه لم يشر بكلمة فيه إلى مسألة السفارة . أما الحكومة الانجليزية فلم تكترث للكتاب الذى وجهه الى الملكة فكتوريا بهذا الصدد . فشق عليه سكوتها هذا وأثار حفيظتـه على الأجانب جميعاً فالغى الأمر الصادر بالسماح لهم فى دخول الحبشة وأمر بمن كان فى بلاطه منهم فسجنوا فى « مجدلا » . ولم يقف عند هذا الحد بل أهان السر دونكن كمرون قنصل انجلترا والسر هورموزد راسام الذى كانت حكومة لوندرا ندبته فى مهمة سياسية لدى البلاط الحبشى وزجهما فى السجن (١٨٦٤) . وبالغ فى تعذيب المسجونين . ثم اكرهته انجلترا على إطلاق سبيل الانجليز منهم فى سنة ١٨٦٦ ، ولكنه أبى الافراج عن المسجونين الآخرين . فجردت عليه فى سنة ١٨٦٨ حملة عسكرية بقيادة اللورد نابيه واستعد هو للدفاع . واذ اقترب الانجليز من مجدلا طار صوابه ودنا من السجن فسمع صراخ المسجونين فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم وأخرجت جثثهم الى البرية لتكون طعاماً للوحوش . ثم استعاد رباطة جأشه وعزز الحصون . ثم امتطى جواده واقتحم ميدان القتال فى مقدمة جيشه . وتخلى عنه رأس تيغرى ورأس شوا برجالهما فدارت الدائرة عليه (١٠ ابريل سنة ١٨٦٨) وفر معظم رجاله . وأراد التسليم بشرط أن تحفظ كرامته فأبى عليه اللورد نابيه ذلك . وفى ١٣ ابريل جمع فلول جيشه يريد المغامرة بها وخير الجند بين المجازفة بأرواحهم والفرار فانفضوا من حوله ولم يبق منهم سوى ١٦ رجلاً آثروا الموت فى الدفاع عن الامبراطور على الحياة فى ذل

الانكسار فاعتصم بهم فى القلعـــة فحصدتهم مدافع الانجليز ولم يسلم سوى تيودورس وخادمه الأمين والدا جابرا فآثر الانتحار على التسليم للانجليز . وقبل أن يقتحموا القلعة أطلق غدارته فى فمه فخرّ صريعاً . وذهب عمله هذا مثـلا فى الشمم والبسالة والبطولة . ورفع الانجليز رايتهم على القلعة . وجاءوا بامرأة تيودورس وابنه وعمره ثمانى سنوات فحمله الجنرال نابيه إلى لندرا



﴿ الامبراطور تيودورس الثانى ١٨٦٨ — ١٨٥٥ ﴾

ودخلت الحبشة فى دور جديد من الفوضى ودارت رحى القتال

بين ملوك الأقاليم . ورأت انجلترا أن لا فائدة ترجى من وراء اكتساح الحبشة مع أنها لو قامت لسيطرت على البحر الأحمر الذى كان يومئـــذ على وشك أن يصبح بفضل قنال السويس طريق التجارة العالمية فأوعزت الى الجنرال نابيه بمغادرة الحبشة فجلا بجيشه عنها (١٨٦٩) بعد أن عقد ميثاقاً مع الرأس كاسا امير تيغرى



الجنرال نابيه وأركان حربه امام جثة تيودورس فى حصن غوندار

ولم يطل المطال على تلك الفوضى التى نشـأت عن مصرع تيودورس فآل العرش الى وج شوم غوبيزيه امير امحرا ولاستا وتُوّج امبراطوراً باسم تكلا جيورجس (١٨٦٨ – ١٨٧١) فنازعه الصولجان منايك ملك شوا والرأس كاسا ملك تيغرى واستظهر كاسا عليه وأسره واستولى على العرش (١٨٧٢) وتوج امبراطوراً باسم يوحانس (يوأنس) . ولم يكد يستتب له الأمر حتى نازل الجيش

المصرى واستظهر عليه غير مرة (١٨٧٦ - ١٨٧٤) وقضت الأقدار بخلع اسمعيل باشا خديو مصر وتلا ذلك اضطرام نار الثورة العرابية ثم ثورة مهدى السودان فشغلت كل هذه الحوادث المصريين عن الانتقام من يوحانس فانصرف إلى اخضاع قبائل اذيبو غالا لسلطانه وحاول مهاجمة منايك ملك شوا فبادر هذا بتقديم الطاعة اليه فتركه وشأنه. وخيل اليه أن الأمر استتب له نهائياً فجاءت غارات الدراويش اتباع المهدى على الحبشة من جهة ومناوأة الطليان له من جهة أخرى مخيبة لأمله. وفى أثناء ذلك كان منايك آخذاً في تعزيز سلطانه وتحرش بالملك تكله هايمانوت واسره. ورأى يوحانس أن فوز منايك هذا يزيده غروراً وقوة وهذا ما لا يتفق مع مصلحته فانتزع منه نصف مملكته عقاباً له على محاربة هايمانوت بغير إذنه وأطلق هايمانوت.



الامبراطور يوحانس (يوأنس) ١٨٨٩-١٨٦٨

من الأسر ثم حسب حساباً لانتقام منليك منه فصالحه واتخذ بنته زاوديتو زوجة لابنه اريوسلاسى .

ثم حالف منليك الملك تكلا هايمانوت واتفق الاثنان على محاربة النجاشى يوحانس وخلعه عن العرش

وفى سنة ١٨٨٢ ابتاعت الحكومة الايطالية ميناء عصب من شركة روباتينو الايطالية التى كانت قد احرزت امتيازه سنة ١٨٦٩ . وجاءت ثورة المهدى فى السودان ممهدة السبيل لموافقة انجلترا على مطالب إيطاليا فى مصوع التى كانت ملحقة بمصر منذ عهد محمد على باشا . ولم تقف المسألة عند هذا الحد بل أن مصر أكرهت وقتئذ على التخلى للدولتين عن مصوع وزيلع وبربره وهرر واوغندا . وفى سنة ١٨٨٤ احتل الانجليز زيلع وبربره وتملكوا من الصومال البقاع المقابلة لعدن وحملوا فرنسا وإيطاليا على الاعتراف لهم بمستعمرتهم هذه الجديدة . أما ايطاليا فاحتلت فى سنة ١٨٨٥ ثغر مصوع وحاول يوحانس اجلاءها عنه فخيط مسعاه مع أن رأس الولد قائد الحملة التى كان جردها الامبراطور على الطليان أحرز بعض الفوز فى معركة دوغالى . وفى سنة ١٨٨٨ عقدت انجلترا وفرنسا معاهدة فى شأن مصالحهما فى خليج تاجورا والصومال . وفى سنة ١٨٨٩ جرد يوحانس جيشاً لجباً لمقاتلة الدراويش عملاً بنصيحة انجلترا وهاجمهم فى القلابات على حدود السودان (١٠ مارس سنة ١٨٨٩) وكاد يظفر بسحقهم وتمزيق جموعهم ولكنه قتل فى ليل ذلك اليوم نفسه برصاصة

طائشة . وجاء مصرعه مشدداً لهزيمة إيطاليا فمضت فى طريقها غير حافلة بمناوأة الأحباش لها إلى أن اصطدمت بالعقبات التى أقامهـا منليك فى سبيلها مما سنبينه فى ما يلى .

منليك الثانى

وعلى أثر مصرع النجاشى يوأنس عادت الفوضى الى شر مما كانت عليه . وكان منليك ملك شوا وهو من الأسرة السليمانية الملكية يطمع بعرش الحبشة وهو أقوى ملوكها ورؤوسها فاغرى الانبا متأوس بمنصب المطرانية ان هو مسحه امبراطوراً فلبى أشارته وأصبح منليك امبراطوراً على الحبشة (١٨٨٩ — ١٩١٣) وسمى منليك الثانى ووافق غبطة البطريرك كيرلس بطريرك الاسكندرية أو الكرازة المرقسية على ما فعله الانبا متأوس ارضاء لمنليك فرقاه الى مقام المطرانية

ومما يستوقف النظر من نشأة منليك أن اباه هايلى مليكوك ملك شوا وابن ساهلا سلاسى من أشهر ملوك الحبشة مات وعمره ١٢ سنة واسمه ساهلا مريام فاغتصب النجاشى تيودورس الثانى عرش شوا واعتقل الغلام سبع سنين فى حصن مجدلا . ثم رأى أن يستميله اليه فزوجه من بنته . وتظاهر ساهلا مريام بالارتياح إلى معاملة الامبراطور له حتى إذا خفت وطأة الرقابة عليـه فر هارباً تحت جنح الظلام بمساعدة أحد الخصيان الموكل اليه أمر حراسته . والتف حوله اعوان أبيه فاشتد ساعده واسترجع عرش آبائه (١٨٦٦) ونسج على منوالهم فى السعى إلى احراز ثقة الشعب فكثر أنصاره ووفق فى فتوحاته

توفيقاً أكسبه حب الأحباش له وانقياد كثيرين من الرؤوس اليه.
فلما اعتلى يؤانس عرش الحبشة وشاقه ما رأى من بسالته وصفاته العالية حتى اتخذ بنته زواديتو زوجة لابنه اريو سلاسي كان ذلك مما عزز مكانة منليك وسما به إلى مقام الرؤوس العظام وكان خير تمهيد لتمكنه من العرش بعد مصرع يؤانس وبعد أن تخلى له عنه عمه الرأس دارغه وناصره الرأس غوفانا واقترن ذلك بموافقة الرأس مكونين والرأس أولدا جورجس والرأس تساما وهم أبناء أعمامه .

وأول ما فكر فيه بعد أن قبض على صولجان الحبشة أن ينقذها من نير الدراويش فوجه نداء إلى الشعب يحرضه فيه على الانضواء تحت رايته لطردهم من البلاد وختم نداءه بقوله : « كل من يتخلف عن تأدية هذا الواجب لا يستحق أن يسمى رجلاً بل يعدّ من النساء وتصادر أملاكه لمصلحة امرأته »

وما كاد يستتب له الأمر حتى أصدر مرسوماً بابطال النخاسة وتحرير الارقاء ولكن بلاداً نظير الحبشة الفت الرق منذ العصور القديمة وليس فى طبائع سكانها وأخلاقهم وتقاليدهم ونظام الحكم الاقطاعى الذى يخضعون له منذ قرون ما يستعان به على تحرير الارقاء والقضاء على النخاسة – لا يستطاع إدراك هذه الغاية فيها بين عشية وضحاها بل و بعشرات السنين . ولكن حالة الارقاء فى عهده تحسنت تحسناً بيناً عما كانت عليه فى القرون الوسطى على نحو ما بيناه فى ما تقدم (ص ٦٤)

ولئن كان منليك عجز عن ابطال الرق فانه لم يعجز عن إدخال الإصلاح إلى الحبشة.



النجاشى منليك الثانى (١٩١٣ — ١٨٨٩)

وقد وفق فى ذلك توفيقاً ملموساً فأدخل التلغراف والتلفون وشق الطرقات وأقام الجسور ومد خطاً حديدياً بين جيبوتى وادبس ابابا عاصمة ملكه على يد شركة فرنسوية. وعنى بالأمور الصحية وأنشأ دائرة مخصوصة لها فى العاصمة. وأصلح نظام الجندية. وجعل تعليم الذكور إلزامياً (١٩٠٧) إلى آخر ما هنالك من الاصلاحات التى أحدثها فى بلاده تمشياً مع روح العصر وحباً فى ترقية شعبه تدريجاً الى مصاف الشعوب المتمدنة

ولكى يبرهن لأوربا على رغبته فى احتذاء مثالها والاستعانة بها على ترقية بلاده وفتح أبوابها فى وجه الحضارة الغربية عقد مع غير دولة من الدول العظيمة سلسلة من المعاهدات تخولهن حقوقاً معينة فى بلاده لقاء ما كان يمنى النفس به من معاونتهن له معاونة صادقة تمكنه من المضى فى سبيل الاصلاح الى آخر مراحله. واليك أهم هذه المعاهدات :

مع فرنسا

١ — معاهدة ٢٠ مارس سنة ١٨٩٧ تأييداً لمعاهدة سنة ١٨٤٣ التى عقدت بين لويس فيليب ملك فرنسا وساهلاسيلاسى ملك شوا وهو جد منليك

٢ — معاهدة ٢٠ مارس سنة ١٨٩٧ وهى ذيل للمعاهدة الاولى وتتعلق بتعيين الحدود الفاصلة بين الحبشة والصومال الفرنساوى أو المنطقة الساحلية

٣ — معاهدة ١٠ يناير سنة ١٩٠٨ وهى عبارة عن ميثاق صداقة مشفوع بمعاهدة تجارية

مع انجلترا

١ — معاهدة ١٤ مايو سنة ١٨٩٧ وهى عبارة عن ميثاق صداقة تنص المادة الخامسة منه على أن « المعدات الحربية على اختلاف أنواعها التى ترد إلى الحبشة باسم جلالة امبراطورها يرخص بمرورها فى الأراضى التابعة لصاحب الجلالة البريطانية بشرط أن لا يخالف ذلك منطوق مؤتمر بروكسل المعقود فى ٢ يوليو سنة ١٨٩٠ »

٢ — معاهدة ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ فيما يتعلق بالحدود بين السودان والحبشة

٣ — ملحق بمعاهدة ١٠ يوليو سنة ١٩٠٠ فيما يتعلق بالحدود بين الحبشة ومستعمرة الأريترة ومعاهدة ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ فيما يتعلق بالحدود بين السودان والأريتره .

٤ – معاهدة ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٧ فيما يتعلق بالحدود بين افريقية الشرقية البريطانية واوغندا والحبشة

مع ايطاليا

١ – معاهدة ٢ مايو سنة ١٨٨٩ وهى عبارة عن ميثاق صداقة واتفاق تجارى تنص المادة ١٧ منه على ما يأتى : « إن جلالة ملك ملوك الحبشة يقبل أن يعهد إلى حكومة جلالة ملك إيطاليا فى مفاوضة الدول والحكومات الأجنبية فى كل شأن من الشئون التى يريد أن يخاطبها فيها » . وهذه المادة التى تعد بمثابة بسط حماية إيطاليا على الحبشة كانت موضعاً لكثير من الحوار والجدل بين الفريقين . وفى ١٢ فبراير سنة ١٨٩٣ أعرب منليك عن رغبته فى فسخ هذه المعاهدة وهذا ما كان له أثره فى تمهيد السبيل الى الحرب التى انتهت بمعركة أدوا الشهيرة .

٢ – معاهدة الصلح التى عقدت بين الحبشة وإيطاليا فى ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٩٦ وجاء فى المادة الثانية منها : « ان معاهدة ٢ مايو سنة ١٨٨٩ وملحقاتها تعد ملغاة نهائياً لا مفعول لها البتة » . » وتنص المادة الثالثة على أن « تعترف ايطاليا بغير أقل تحفظ بالاستقلال التام المطلق للامبراطورية الحبشية .

٣ – معاهدة ١٠ يوليو سنة ١٩٠٠ فيما يتعلق بتعيين الحدود بين الأريترة والحبشة من جهة وبين السودان والأريترة من جهة

أخرى . وهذه المعاهدة ألحقت بها معاهدة تفسيرية فى ١٥ مايو سنة ١٩٠٢

٤ — معاهدة ٢١ يوليو سنة ١٩٠٦ وهى معاهدة صداقة مشفوعة باتفاق تجارى .

٥ — معاهدة ١٦ مايو سنة ١٩٠٨ فيما يتعلق بتعيين حدود بينادير أى الممتلكات الايطالية فى الصومال

٦ — معاهدة ١٦ مايو سنة ١٩٠٨ فيما يتعلق بتعيين حدود الاريترة

مع الولايات المتحدة الامريكية

١ — معاهدة تجارية فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣

مع المانيا

١ — معاهدة تجارية فى ٧ مارس سنة ١٩٠٥ وقد جاء فى المادة الثالثة منها : « ان كل من الدولتين تخول رعايا الدولة الثانية جميع الحقوق والامتيازات المعترف بها لرعايا الدول الأخرى سواء فى ما يتعلق بالمعاملات الجمركية أو الضرائب أو المسائل القضائية . »

مع النمسا والمجر

١ — معاهدة تجارية وميثاق صداقة فى ٢١ مارس سنة ١٩٠٥

مع بلجيكا

١ — معاهدة تجارية فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٠٦

مع شركة سكة الحديد الفرنساوية الحبشية

١ – اتفاق ٩ مارس سنة ١٨٩٤ فى ما يتعلق بمد خط سكة حديد بين هرار وجيبوتى

وعلاوة على ذلك فان دول الاستعمار الغربية عقدت فى عهد منليك عدة معاهدات فيما بينها ترمى الى صون مصالحها فى الحبشة والمستعمرات الأوربية المحاذية لها واليك بيانها :

١ – معاهدة عقدت فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ بين فرنسا وانجلترا وإيطاليا فيما يتعلق بمصالحهن فى الحبشة . وهذه المعاهدة تنص على الاحتفاظ بالحالة الحاضرة فيما يتعلق بأراضى الحبشة والسياسة الدولية المتبعة فيها طبقاً لنصوص المعاهدات والمواثيق التى أشرنا اليها فى ما تقدم . والمادة الرابعة من المعاهدة تنص على اتفاق هذه الدول :

ا – على صون مصالح بريطانيا العظمى ومصر فى مجرى النيل وروافده ولا سيما فيما يتعلق باستخدام مياهه استخداماً منظماً بشرط أن تراعى فى ذلك المصالح الايطالية المبينة فى ما بعد :

ب – مصالح إيطاليا فى الحبشة وهى المصالح التى أصبحت لها لمجرد استعمارها لمنطقتى الأريترة والصومال وفى جملته بينادير وبنوع أخص ما يتعلق بوحدة مستعمراتها الجغرافية غربى اديس أبابا

ح – صيانة المصالح الفرنساوية فى الحبشة وهى التى تتمثل فى الصومال الفرنساوى وفى المنطقة اللازمة لمد خط سكة حديد من جيبوتى إلى اديس أبابا

٢ – معاهدة ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ وقد عقدت بين انجلترا وفرنسا وايطاليا فيما يتعلق بتهريب الأسلحة فى سواحل الصومال. وفى هذا الاتفاق تعاهدت الدول الثلاث على منع تهريب السلاح والذخائر الحربيـــة ووضع رقابة شديدة على المهربين كل دولة فى أراضيها المحاذية للحبشة

على أن هذه المعاهدات فتحت باب الاستعمار على مصراعيـه وكانت من أعظم العوامل فى ارتباك أمور الحبشة ارتباكاً تجلى على أتمه فى غير حادث من الحوادث التى طرأت فيما بعد على أثر شروع هذه الدول فى تطبيق المعاهدات . واشتدت المنافسة فيما بينها بصورة تنذر بأوخم العواقب . فعملت انجلترا من جهة — وهى صديقة الأحباش — على توسيع نطاق نفوذها هناك . وحذت حذوها فرنسا وايطاليا وهما جارتان قويتان عزيزتا الجانب ولهما مستعمرات متاخمة للحبشة تريدان مد حدودها إلى أبعد مدى مستطاع . وكانت ايطاليا أسبق هاتين الدولتين إلى العمل فعقدت مع منليك الثانى معاهدة يعترف لها فيها ببعض المصالح ولـكنها رأت ذلك دون ما كانت تمنى النفس به من مدّ مستعمرتها الواقعة على ساحل الصومال غرباً وأوغلت فى الأريترة وأطراف التيغرى فنشأ بينها و بينــه خلاف أفضى إلى توتر العلاقات بين الفريقين ولا سيما بعد أن رغب منليك فى فسخ معاهدة سنة ١٨٨٩ بأغراء روسيا وفرنسا.وافضت هذه الحالة الى الحرب (١٨٩٥) وأقبل الدراويش من السودان فاشتد بهم

ساعد الأحباش وانجلت الحرب عن فوز الأحباش فى معركة امبالاغى (دسمبر سنة ١٨٩٥) ثم فى معركة ادوا (أول مارس سنة ١٨٩٦) وخروج الحبشة منها بخسارة بليغة حتى قدر عدد قتلاهم بعشرين الفاً وكانت معركة ادوا هذه مجزرة هائلة انتقم فيهـا الأحباش للذين هلكوا من رجالهم انتقاماً مريعاً . ووقع آلاف من جيش التليان أسرى فاجهز الاحباش على جرحاهم وساقوا الآخرين إلى اديس أبابا عاصمة الحبشة فلم يسلم منهم غير طويل العمر .



هضاب « امبا اراجى » في ادوا حيث جرت المجزرة التى بها ختمت الحرب بين ايطاليا والحبشة سنة ١٨٩٦ .

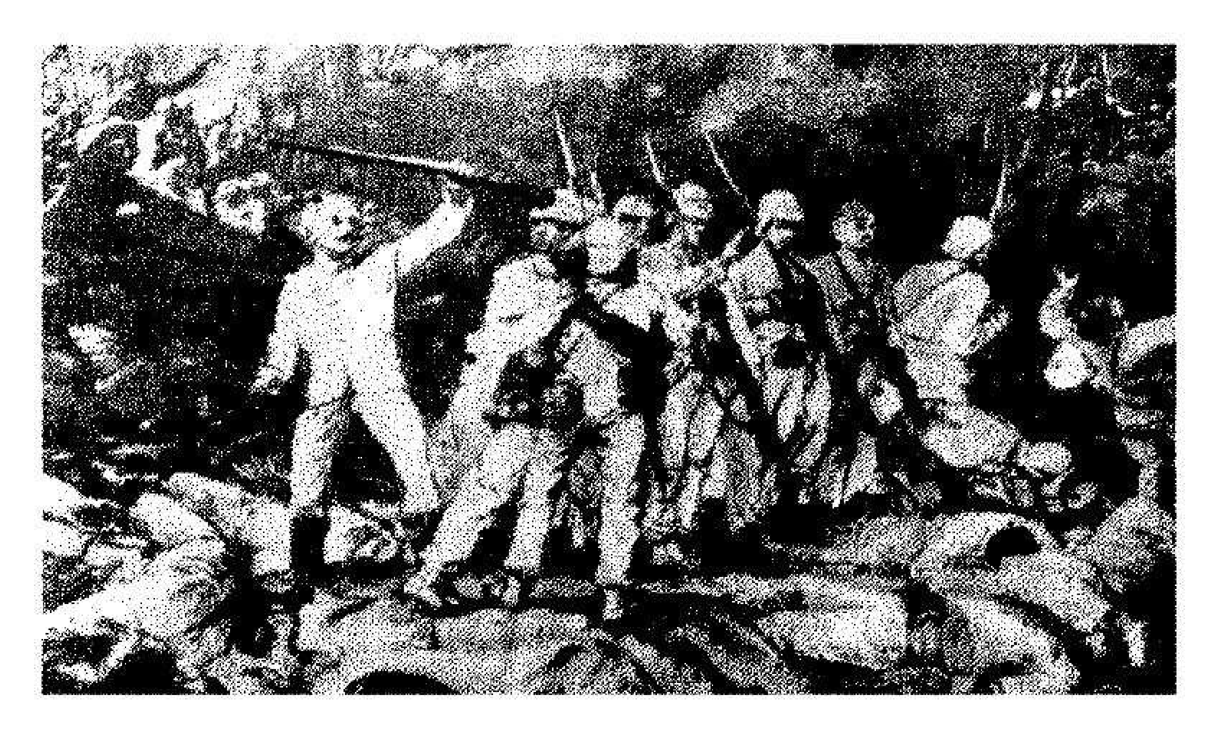
وقد بسط حالة هؤلاء الاسرى غبطة السيد كيرلس مقار بطريرك القبط الكاثوليك حيث أوفدته قداسة البابا لاون الثالث عشر فى ربيع سنة ١٨٩٦ الى اديس ابابا لمفاوضة النجاشى منليك والتفاهم معه فى شأنهم وشئون أخرى هامة نشأت عن الحرب . وقد عاد غبطته

من رحلته هذه بعـد ان كانت مساعيه بالنجاح وانشأ محاضرة عنها ألقاها فى الجمعية الجغرافية فى القاهرة فى ١٦ دسمبر سنة ١٨٩٦ قال فيها عن هؤلاء الاسرى ما ملخصه :

« . . . وقد قابلنا فى اديس ابابا اسرى التليان وبينهم عدد كبير من الضباط وهم فى حالة يرثى لها من جراء المعاملة السيئة التى يعاملون بها فضلا عما يعانونه من ضروب الحرمان ولـكنهم يتحملون كل ذلك بصبر وشجاعة يبعثان على الأعجاب . وا كثرهم من الشبان تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين وقد قصوا علينا حكاية وقوعهم فى الأسر وسوقهم من أدوه الى اديس ابابا سيراً على الأقدام من غير طعام حتى ان كثيرين منهم اكرهوا على أن يقتاتوا بالأعشاب وبينهم نحو ١٥٠ أسيراً هلـكوا فى الطريق جوعاً أو متأثرين بجراحهم . ومنهم من فتك بهم الحراس لعجزهم عن الجد فى السير . وهذا علاوة على ماكان غداة مجزرة أدوه من أجهاز الأحباش والدراويش على جرحى التليان وأقدامهم على التمثيل بجثث القتلى تمثيلا فظيعاً وحرق الضبـاط أحياءً الى غير ذلك من الفظائع التى تقشعر لها الأبدان . . . » إلى أن قال : « غير أنه بعد أن وصل الأسرى الى اديس ابابا أصدر منليك أمره بأن يعاملوا معاملة حسنة وبذلك خفت وطأة الاضطهاد عنهم واعرب النجاشى عن أسفـه لعدم تمكنه من اطلاق سبيلهم قبل أن يعقد الصلح رسمياً »

وفى ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٩٦ عقد الصلح فى اديس ابابا بمقتضى

معاهدة تقضى بالغاء معاهدة سنة ١٨٨٩ والاعتراف للحبشة بالاستقلال التام . وقد تركت هذه الحرب المشئومة أسوأ ذكرى فى نفوس الطليان



صورة تاريخية لمعركة ادوا التى كانت خاتمة الحرب بين الطليان والاحباش في سنة ١٨٩٦

أما الذين انحازوا الى الطليان وحاربوا فى صفوفهم من أبناء الحبشة فقد كان منليك يريد أن يرأف بمن وقع منهم فى الأسر غير أن الامبراطورة طاتيو أبت إلا أن يعاقبوا بقسوة متناهية جزاء لهم على خيانتهم وقد عوقبوا بقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى .

وقد أجمع الذين عرفوا منليك وخبروه أنه كان رجلاً عظيماً أحرز من الصفات ما سما به الى أرفع منزلة . ووصف غير واحد من

السياح أخلاقه فاتفقت آراؤهم على اطراء مناقبـه ولفت الانظار الى ما امتاز به من توقد الذهن والفطنة والذكاء النادر و بعد النظر والحزم والشجاعة . ومما قالوه عنه انه كان يدرب الجند على القتال واقتحام المخاطر ومن امتـاز منهم على أقرانه كافأه وخلع عليه جلد أسد . وللأحباش مقدرة عجيبة على احتمال المشاق وهم قوم أشـداء يميلون بفطرتهم الى الحرب والنزال ولذلك لم يكن يلقى صعوبة فى تدريبهم عليها . وكان يعنى بمصالح شعبه عناية خاصة فيقضى ساعات فى مراقبة حركات النـاس من برج عالٍ فى قصره مستعيناً بنظارة مزدوجة ويتعهد أعمال حاشيته و بلاطه حتى المطبخ

ولكن مع انه يعد من كبار المصلحين لم يستطع أن ينهض بشعبه النهوض الأدبى والعقلى الذى كان يرمى اليـه من وراء الاصلاح الذى أدخله على البـلاد . وظلت الحبشة فى عهده كما كانت فى عهد سلفائه موسومة بالانحطاط ليس من الوجهة العلمية والادبية فقط بل من الوجهتين التجارية والصناعية أيضاً . واليك ما قاله المونسنيور مكاريوس المشار اليه آنفاً فى هذا الصدد :

« ... لا يميل الأحبـاش إلا إلى الحرب ففى نفوسهم نزعة فطرية اليها دون الزراعة والتجارة والصناعة والفنون والعلوم . والأميون منهم هم السواد الأعظم من الشعب حتى ان كثيرين من الـكهنة يجهلون القراءة والكتابة . ولا غرو فليس فى الحبشـة سوى مدرسة واحدة فى العاصمة . أما مدرسة غوندار القديمة – وكانت

تعد مصدر العلوم الاثيوبية – فقد درست معالمها و باتت فى خبر كان بسبب المنازعات الدينية »

والذى يسترعى الانتباه من أطوار النجاشى منليك ومبادئه انه كان شديد الولاء للانجليز ولو انه كان شديد الحرص على استقلال بلاده وجعل بلاطه فى معزل عن كل نفوذ أجنبى . وكان يثنى عليهم و يعدّهم أكثر النـاس مودة له وأهلاً لثقته . وكان يحمل وسامين من أعظم أوسمتهم . على ان ذلك لم يكن يمنعه من أن يعدّ نفسـه صديقـاً للفرنسويين

ومع ان منليك كان يتمتع بسلطة واسعة لا حد لها وله السيطرة المطلقة على الأرواح والأموال و يباشر أعمال الحكومة بنفسـه فلا تفوته واردة أو شاردة منهما جليلة كانت أم حقيرة ولا يأخذ برأى لا يكون مطابقاً لرأيه الخاص وليس لرجال بلاطه أقل نفوذ عليه – مع كل ذلك كان للامبراطورة طاتيو الكلمة النافذة فى البلاط ودوائر الحكم لا يجرى شىء بغير علمها ورأيها

وكانت طاتيو هذه جميلة الطلعة وعلى جانب عظيم من الفطنة والدهاء . تزوجها فى سنة ١٨٨٣ بعد أن دخلت الدير وترملت للمرة الرابعـة ولم تلبث أن عظم نفوذها فى الدولة وكثر أنصارها وأعوانها من الرؤوس والزعماء ورجال البلاد المعدودين حتى خاف الناس عاقبة ذلك ولا سيما أن منليك لم يعقب ولداً فكان يخشى أن يؤدى موته

الى فتنة تتناول البلاد برمتها من جراء تنازع الطامعين بالعرش من الرؤوس ورجال الدولة



الامبراطورة طايتو

وقد جاءت الأيام محققة لذلك فما كاد منليك يزحزح تحت وطأة السنين ويشعر بدنو أجله على أثر العلة التي انتابته وعانى ما عانى منها قبل موته حتى جعل حفيده ليج ياسو (تييج يسوع) ولى عهده على رغم معارضة الامبراطورة والاهلين (١٩٠٩) وليج ياسو هذا هو ابن بنته الثانية « شوارقاد »[1] من زوجها الرأس ميخائيل وهو أمير مسلم نصره منليك بعد أن أخضعه لسلطانه وكان اسمه الرأس على فأسماه ميخائيل

---

(١) ليج ياسو له أخ يسمى الرأس اويزنديحيد من أم ثانية

ذلك ان منليك حارب هذا الرأس وكسره و بدلاً من أن يحقد عليه اتخذه صهراً له وأعاد اليه عرشه فاستأنف حكم الاقليم (كولو) الذى كان فى عهــدته وأحسن التصرف مع الامبراطور حتى أحرز ثقته وحمله على تعيين ابنه ليج ياسو خليفة له .

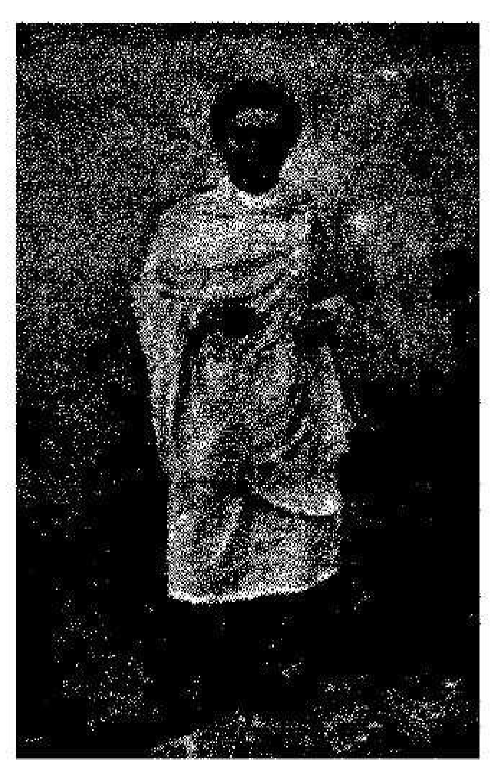
أما الامبراطورة طانيو فكانت ترشح لولاية العرش ابن اختها الرأس جوجسا — وهو الذــى انحاز الى جانب الطليان فى حربهم الأخيرة ضد الاحباش — وكانت فى اثناء مرض منليك الطويل قد احتفظت بالسلطة لنفسها تصرف الامور كما تشاء وقد جعلت أقاربها حكاماً للاقاليم وفى جملتهم شقيقهــا الرأس اوليه الذى كان من ألد أعداء الرأس ميخائيل وكان حاكماً لاقليم مجاور لاقليمه و بذلك اشتد ساعدها وتعاظم نفوذها وخصوصاً ان الانبا متاوس كان من أكبر أنصارها . واذ تحرج الموقف بعد أن جعل ليج ياسو أباه قائداً عاماً للجيش واشتد النزاع بين الرؤوس والزعماء عرضت الامبراطورة على انجلترا أن تجعل الحبشة تحت حمايتها فأبت لاعتبارات قيل أن أهمها حرصها على معاهدة ســنة ١٩٠٦ المعقودة بينها و بين فرنسا وايطاليا والقاضية بالاحتفاظ بالحالة التى تنص عليها المعاهدات السابقة سواء من الوجهة السياسية أو من جهة سلامة الاملاك الحبشية

ليج ياسو

مات منليك ســنة ١٩١٣ وحالة الحبشة على أشد مايكون من الاضطراب فتبوأ ليج ياسو العرش والبلاد تغلى كالمرجل ولــكن

انحياز الرأس مكونين ملك اقليم هرر والرأس تساما ابن عمه إلى جانبه – وهما من أبناء أعمام منليك ومن أقوى أمراء الحبشة – من جهة ، وشد والده الرأس ميخائيل لأزره ولا سيا بعد أن جعله ملكاً على وولو وتيغرى ونائباً عاماً للملكة الحبشية من جهة أخرى، وتضاؤل نفوذ الامبراطورة طاتيو من جراء انصراف أكثر مناصريها ومريديها عنها من جهة ثالثة ،كل ذلك مما سهل على الامبراطور الجديد مهمته فجمل رؤوس الأقاليم من الزعماء الموالين له وأحسن اختيار رجال بلاطه ونسج على منوال جده منليك فى معاملة رعاياه بالحلم والتؤدة وتصريف الأمور بالحكمة والتأنى مما برهن للملأ على فطنته وحدة ذهنه وتعقله و بعد نظره وهو ما لم يكن يتوقعه أحد من شاب نظيره لم يعركه الدهر ولم تصقله التجارب ولم يعانِ ماعاناه جده فى بدء حياته من مرارة الأسر والاضطهاد ، لأنه فى واقع الأمر لم يكن يعرف من الحياة قبل أن يصبح ولياً للعهد ثم امبراطوراً سوى ما شهد فى قصر أبيه و بلاط جده من نعمها وآلائها . فالتف حوله الأنصار والاعوان من عارفى فضل منليك العظيم ومريدى الرأس ميخائيل الذى كان قد أصبح عماد المملكة وملاذها ، وكف المعارضون عن مناصبته العداء جهاراً . و بذلك اشتد ساعده وتوطدت أركان عرشه وأمن شر المناوئين له من أنصار الامبراطورة طاتيو ، حتى أنه فكر فى السفر إلى أوروبا وشرع فى اعداد معدات الرحيل ، ولكن شهر الحرب العالمية حال دون مرامه . وفى سنة ١٩١٦ تأهب الرأس ميخائيل للسفر إلى

مصر ليسأل غبطة بطريرك الاسكندرية الذهاب الى اديس ابابه لتتويج ابنه



الامبراطور ليج يادو
١٩١٦ — ١٩١٣

على أن تساهله مع المسلمين وتصرفه فى معاملتهم تصرفاً يشف عن صدق رغبته فى مناصرتهم وتعضيدهم وهو ما تجلى على أتمه فى مجاملته لزعمائهم — وهو ابن رأس من رؤوسهم وامرأته تدين بدينهم — فتح العيون عليه ومس الوتر الحساس من قلوب القوم ، فهاج التعصب الدينى فى نفوس الكهنة ونظرائهم من الرؤساء المتعصبين لمذهبهم المسيحى .

واتفق فى ذلك الحين أن الحبشة كانت قد أصبحت ميداناً للدسائس ونشط الألمان وأنصارهم للعمل وحاولوا استمالة الامبراطور الشاب إلى جانبهم بسلسلة من المناورات السياسية التى لا عهد له بها حتى كاد يرسخ فى ذهنه ان الانجليز يعملون على ضم المنطقة الحبشية المحاذية للسودان إلى أملاكهم توطئة لإنشاء امبراطورية افريقية . تتناول مصر والسودان والحبشة وما يليها من

الأقطار حتى جنوب افريقيـة وهذه الامبراطورية كان يريدها ليج ياسو إسلامية يتولى أمرها هو بنفسه وليس الانجليز أو سواهم . فانتهز أعداؤه الفرصة السانحـة لاتهامه بمناصرة الألمان وحلفائهم والتوسل بذلك إلى الايقاع به وذلك عرشه بمساعدة الانجليز والفرنسويين . وخوطب الأنبا متاؤس فى الأمر — وهو أعلى رئيس دينى فى الحبشة وله من النفوذ والسلطان مايخوله الحق فى خلع الامبراطور تحقيقاً لأمنية الحلفاء وأعوانهم من المناوئين — فافتى بخلعه. وفى المرسوم الذى أصدره فى ٢٩ سبتمبر سـنة ١٩١٦ أمر بمبايعة اوزارو زاوديتو بنت منليك الصغرى — وزوجة الرأس اريو سلامى ابن الامبراطور يوحانس — امبراطورة على الحبشة . واذ كان الرأس طفرى ابن الرأس مكونين الذى هو ابن عم منليك فى اعتبار الأساقفة وعظماء البلاد اكثر الرؤوس كفاءة لتقلد زمام المملكة اختير كفيلاً لها ووليًا للعهد .

الامبراطورة زاوديتو

جلست الامبراطورة زاوديتو على عرش آبائها وهى ترجو أن تسمو ببلادها الى منزلة البلدان الراقية ولكن وجود الرأس طفرى إلى جانبها غل يديها فخلا له الجو واستأثر بالحكم دونها وكانت طوع أشارته فلم يسعها معارضته فى شىء وأدار شئون المملكة على ما يشاء

أما ليج ياسو فحاول استرداد عرشه بقوة السلاح فاضطربت

أحوال المملكة وحبط مسعاه بعد أن كان قد أدرك شيئاً من النجاح وأفضى الأمر الى اعتقاله فى أحد الحصون [١] .



﴿ الامبراطورة زاوديتو ﴾
(كريمة الامبراطور منليك الثانى)

---

(١) فى شهر اكتوبر سنة ١٩٣٥ نقل ليج ياسو الى حصن آخر فى الجنوب الغربى من الحبشة على حدود كينيا الانجليزية خشية أن تقع هرر بيد الطليان فينقذوه من الاسر وينادوا به امبراطوراً انتقاما من الامبراطور هيلاسلاسى (الرأس طفرى) .

وفى سنة ١٩٢٩ فرّ من سجنه ولكنه اعتقل مرة أخرى فى حصن غراموليتا بقرب هرر .

واذا رأى الرأس طفرى أن الأمر استتب له على ما يهوى شد الرحال الى أوربا لتفقد معالم الحضارة العصرية فيها والتعرف بأقطابها ورجالها وزار وقتئذ مصر (١٩٢٤) ولندرة فقوبل بالحفاوة والاكرام وأخذت له صورة فوتوغرافيــة مع دوق يورك وعاد إلى الحبشة يحدث بما شهد فى العواصم الأوربية من مجالى العظمة والابهة وما رأى من آيات المدنية الحديثة متمنيًا أن ينسج فى حكم بلاده على منوال يسمو بها الى مصاف الاقطار الراقية التى شهد فيها تلك الآيات البينات .

على أن تصرفه فى معاملة الامبراطورة زاوديتو على نحو ما أشرنا اليه فى ما تقدم أثار ثائرة زوجها الرأس اريوسلامى فعارضه واجتمع اليه المريدون والاتباع يريدون القضاء على الرأس طفرى ودارت رحى الحرب بين الفريقين وتفاقم الشر حتى اضطر الرأس طفرى أن يجرد جيشًا لجبًا لقمع الثورة واكراه خصمه على الاخلاد الى السكون. وشاءت الأقدار أن يصرع زوج زاوديتو فى إحدى المعارك (١) فتفرق اتباعه وخلا الجو للرأس طفرى . وحزنت الامبراطورة على موت زوجها فاعتلت صحتها ووافاها القدر المحتوم فى ٣ ابريل سنة

---

(١) شاع وقتئذ ان الرجل لم يقتل فى المعركة بل جرح ووقع في الاسر ثم اجهزوا عليه



﴿ الرأس طفرى (الامبراطور سيلاسلاسى) ﴾
اثناء وجوده فى لندرا سنة ١٩٢٤ و بجانبه دوق يورك

١٩٣٠ . و بعد موتها آل العرش إلى الرأس طفرى ونودى به امبراطوراً على الحبشة باسم الامبراطور هيلاسيلاسى

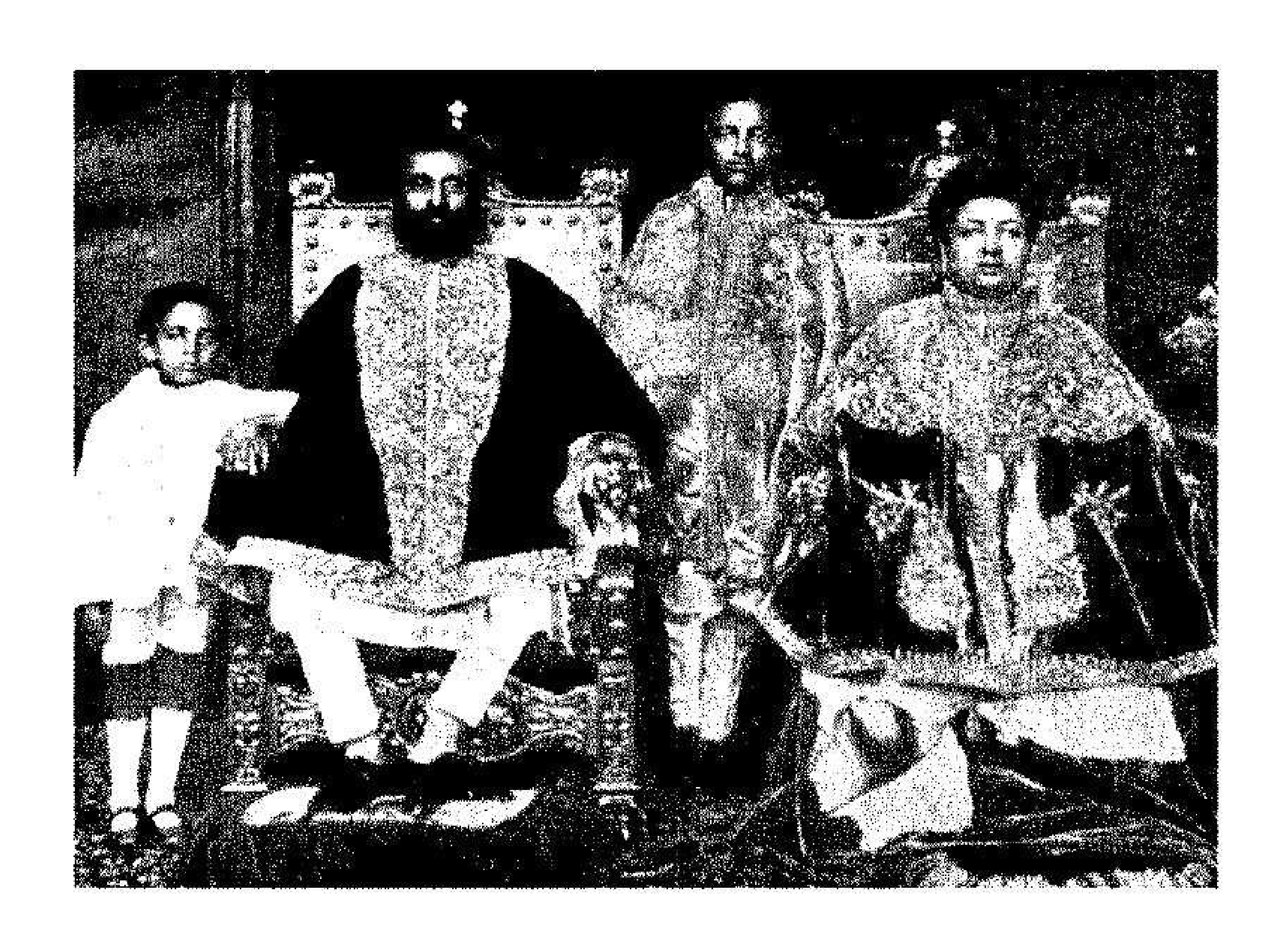
الامبراطور هيلاسلاسى

ولد هذا الامبراطور — وهو الامبراطور الحالى — فى سنة ١٨٩١ [١] وتلقى العلم على أساتذة من الرهبان الفرنسويين وأتم دروسه فى مدرسة اديس ابابا حيث كان يطلب العلم ايج ياسو حفيد منليك . و بعد أن أتم دروسه اسندت اليه ولاية سيدامو ثم ولاية هرر . و إذ خلف ايج ياسو جده منليك على عرش الحبشة حقد عليه زميله القديم طفرى وعمل على خلعه عن العرش ، وكان ماكان من جلوس زاوديتو على العرش واسناد وصاية المملكة إلى طفرى . وفى سنة ١٩٢٨ توج ملكاً حتى اذا قضت نحبها على نحو ما ذكرنا نادى بنفسه امبراطوراً وتولى تتويجه غبطة البطريرك كيرلس الخامس بطريرك الاسكندرية السابق فى حفلة عظيمة شهدها ممثلو الدول العظمى وسفراؤها وجمهور كبير من أمراء الحبشة وعظماؤها (٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠) . و بعد انقضاء حفلات التتويج أرسل ابنه الأمير اصفا وصن إلى مصر وأوربا لشكر الدول باسمه على الاشتراك فى حفلة تتويجه ونزل ولى العهد ضيفاً على الحكومة المصرية فأكرمت مثواه ورحب جلالة الملك فؤاد به و بالغ غبطة

---

(١) مما يجدر بالذكر من أمر هيلاسلاسى ان أباه الرأس مكونين رزق ١١ ولداً ماتوا جميعا ولم يبق منهم فى قيد الحياه سواه

بطريرك القبط ومطارنتهم وأعيانهم فى الحفاوة به . وفى سنة ١٩٣٢ مرت جلالة الامبراطورة ويزيرو منن بمصر فى طريقها الى القدس الشريف فكانت موضعاً للتجلة والاكرام وغادرت مصر شاكرة حامدة لملكها وحكومتها وعظمائها حفاوتهم بها واكبارهم لشأنها



الامبراطور هيلاسلاسى والامبراطورة منن ومعهما والداهما الاميران اصفاوصن ودوق هرر على أثر حفلة تتويجهما سنة ١٩٣٠

وقد تزوج هيلاسلاسى من الامبراطورة منن فى سنة ١٩١٢ وله منها ٣ أولاد ذكور و ٣ بنات أكبرهم اصفاوصن وهو ولى العهد وقد ولد فى ٢٧ يوليو سنة ١٩١٦ ، وثانيهم ماكونن أو دوق هرر وقد ولد سنة ١٩٢٣ ، ويقال أنه المرشح لولاية العهد بدلاً من الأمير اصفاوصن الذى نشأ نشأة لايرتاح اليها والده .



الامبراطور هيلاسلاسى بملابس التشريفة

والامبراطور هيلاسيلاسى يعد من أكبر ملوك الحبشة ، ومما يذكر له أنه أدخل إلى الحبشة على حداثة عهده بالملك كثيراً من الاصلاح الذى كان يمنى النفس به ترقية لبلاده ، من ذلك عنايته قبل كل شىء بأمر التعليم فأنشأ كثيراً من المدارس ، وفى عاصمته نحو عشر منها . و بعث البعثات الى مصر واوربا واميركا منها بعثة الى اوربا لتعلم فن الطيران بحيث تكون نواة لسلاح الطيران الذى أنشأه حديثاً



الامبراطورة وازارو منن امبراطورة الحبشة



الامير ماكونين دوق هرر وهو ثاني
أنجال الامبراطور وقد بلغ الرابعة عشرة



الامير اصفاوسن
ولي عهد الحبشة

وعهد فى قيـادته الى طيارين فرنسويين . واقتدت به الامبراطورة منن فعنيت بتعليم الفتاة وأنشأت لذلك مدرسة بعد تتويجها امبراطورة وذلك علاوة على المدارس الأجنبيـة ومعظمها تابع للارساليات اللاتينية . والخلاصة أن النهضة العلمية سارت فى عهده شوطاً بعيداً بعد أن كانت فى عهـد سلفائه فى حكم العدم . ذلك لأنه هو نفسه يعد من رجال الأدب وهو يجيـد العربيـة والافرنسيـة علاوة على اللغة الامحرية



الامبراطور هيلاسلاسى بملابسه الرسمية

وقد حظر المقامرة ومنع الاتجار بالرقيق ولو ان هذا المنع لن يكون له التأثير المطلوب لما يحول دونه من العقبات على نحو ما ذكرنا فى باب « الرق » . ومن حسناته أنه ديمقراطى الطبع إذا جاء موعد الحصاد سار فى مقدمة رجاله يقطع سنابل القمح بمنجله

ويحذو هؤلاء حذوه وهم فى الغالب من كبار ضباط الجيش ورجال البلاط .

ومن ذلك أيضاً انه استن قانوناً يحظر على الأجانب شراء الأراضى لأن الاراضى رخيصة الثمن فاذا أبيح لهم الشراء ابتاعوا معظم أراضى الحبشة وفى ذلك ما فيه من الخطر على استقلالها الاقتصادى الذى يؤدى حتماً الى ضياع الاستقلال السياسى

ومن المأثور عنه انه فخور بنسبه شديد الرغبة فى ترقية بلاده وتحضيرها شديد التسامح فى أمور الدين فلا يميز بين مذهب ومذهب ويعنى بمصالح شعبه على السواء . وفى طوافه فى شهر مايو سنة ١٩٣٥ فى انحاء هرر صرح علناً بمبدأه هذا على مسمع زعماء المسلمين والوثنيين مؤكداً لهم أنه يعطف عليهم عطفه على المسيحيين أنفسهم . ولكى يبرهن لشعبه على عنايته بمصلحته أصدر على أثر هذه الرحلة مرسوماً بالغاء القانون القديم القاضى على الممولين بدفع عشر محصولهم نقداً علاوة على ما هو مفروض عليهم من تقديم جانب من المحصول الى الهيئة الحاكمة . ولم يكتف بذلك بل الغى قانون السخرة وقضى على الرؤوس وحكام الاقاليم بالكف عن جباية الضرائب والرسوم الجمركية من الاهلين والاحتفاظ بها لأنفسهم . وحرم الوزراء من امتيازاتهم القديمة التى كانت تخولهم الحق فى تعيين قضاة فى دوائر اختصاصهم للقضاء بين الناس فى مقابل رسوم معينة يتقاضاها هؤلاء الوزراء . ولقاء هذا الحرمان جعل للوزراء وحكام الاقاليم مرتبات

شهرية أسوة لهم بموظفى الدولة على أن تكون جباية الرسوم الجمركية من حق وزير التجارة الذى نيط به تعيين موظفى الجمارك وعمالها .

وهو آخذ فى القضاء تدريجاً على نظام الحكم الاقطاعى . فشرع أولاً فى تنظيم شؤون الحكومة المركزية بحيث جعل لكل من الادارات الست القائمة بالأمر وهى الحربيـة والحقانية والداخلية والتجارة والزراعة والخارجيـة اختصاصات معينة لا تتخطاها ولها موظفون اداريون فى الاقاليم ينوبون عنها فى تصريف الامور بحيث لا يكون للحاكم أو العمـدة ما كان له قديماً من النفوذ والتأثير على هؤلاء الموظفين .

والامبراطور هيلاسلاسى من أكثر الناس الماماً بالشئون السياسية وهو على رغم مشاغله الكثيرة يتتبع سير السياسة الخارجية باهتمام عظيم . والمقربون اليه يقولون انه شديد الثقـة بنفسه وعلى جانب عظيم من الفطنة والدهاء بعيد الهمة مقدام لكنه عاقل رزين غير متهور يدير دفة الاحكام بحكمة وروية ويصرف الامور بحنكة ومعرفة وهو أكثر رجال الدولة همة ينشط للعمل عند مطلع الفجر ولا ينقطع عنه إلا فى ساعة متأخرة من الليل

وقدا شتهر البلاط الامبراطورى بكثرة ما يحاك فيه من الدسائس التى يقوم بها رجاله ونساؤه ورجال الدين ، فعمـل على إزالة هذه الدسائس جهد طاقته . وهو يستشير وزراءه ورجال بلاطه فى شئون

الحكم ولكنه يتمتع بسلطة دكتاتورية عظيمة وارادته نافذة فى كل شأن من الشئون



﴿ جلالة الامبراطور هيلاسلاسى بملابس قائد ﴾

ولما كان يعدّ الجيش سياج البلاد وحصنه المنيع فقد عنى بأمره عناية خاصة فأصلح نظام الجندية واستقدم بعثة عسكرية بلجيكية لتنظيم الجيش تنظيماً عصرياً فانشأت فرقة الحرس وجهزتها بالأسلحة الحديثة والدبابات . وعزز الحصون وأقام الاستحكامات فى انحاء البلاد . وحيث أنه القائد الأعلى للجيش فهو فى الحروب يسير فى

طليعة الجند ويعيش عيشتهم ولا يمتاز عليهم إلا بخيمــته ذات اللون الاحمر وهو الشعار الامبراطورى

وجميع سكان الحبشة يباح لهم حمل السلاح والعادة أن يسير الرؤوس ركباناً وحولهم مئات من الرجال الأشداء المدججين بالسلاح وكلما عظم مقام الرأس كثر رجاله وإذا نشبت حرب هبَّ الجميع الى سلاحهم حتى الـكهنة والامبراطور فى مقدمتهم .

وقد أنشأ مدرسة حربية فى أحد قصور منليك على مسافة ٤٥ كيلو متراً من اديس ابابا يتقلد زمامها ضباط اسوجيون والتعليم فيها يجرى على نظام مدرسة سان سير الحربية الفرنسوية ومعظم طلابها من أبناء الكبراء والعظماء الذين تلقوا العلم فى المدارس الأهلية التى يتولى التعليم فيها أساتذة من الأوربيين بينهم ثلاثة من أقارب الامبراطور

أما الجيش النظامى فقد عهد فى تدريبه منذ ثلاث سنوات إلى ضباط بلجيكيين واسوجيين وفرنسويين ويابانيين وأشهرهم الجنرال فرجن الاسوجى والماجور وتلين السويسرى وانضم اليهم فيما بعــد الجنرال وهيب باشا التركى (ص ٣٧) .

وعلى ذكر الجيش نقول أن الحبشى كما ذكــرنا فى ما تقدم (ص ٣٦) مفطور على حب القتــال وسفك الدم يخوض غمار الحرب مستقتلا وتراه يهاجم الوحوش الضارية ويصارع الأسد فيصرعها وليس لديه من الأسلحة سوى حربته وترسه . وله فى طبيعة

بلاده الجبلية الوعرة المسالك الكثيرة الادغال والغابات ما يجعله صعب المراس شديد البأس فظ الخلق شجاعاً باسلاً صبوراً على المكاره جلوداً فى القتال ومقارعة الخطوب إلى حد الأعجاز ، وهذا هو السر فى امتناع هذه البلاد على الغزاة والفاتحين فى ما سلف من القرون واحتفاظها باستقلالها إلى اليوم حتى أيقن رجال الحرب والخبيرون فى الشئون العسكرية ان محاربة مثل هذه البلاد والتغلب عليها يقتضى استعداداً حربياً هائلاً ونفقات طائلة قد تستنزف موارد الدولة الغازية وتنهك قواها ولو استخدمت فى هذا السبيل كل ما أوجده العلم من معدات التدمير والتقتيل التى تجهز بها الجيوش الحديثة

ومما يذكر أيضاً لهذا الامبراطور انه إذ رأى أن القضاء الاهلى فى الحبشة يعتوره نقص كبير ومعايب كثيرة والاجانب كثيرون فى بلاده أنشأ محكمة مخصوصة لتقضى بينهم و بين الوطنيين وجعل مقرها فى وزارة الخارجية وهى مؤلفة من عدة قضاة برئاسة صهره الرأس دستا وهو من كبار العلماء

وللامبراطور ثروة واسعة تقدر بنحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وهو ينفق عن سعة فى سبيل البر والعلم والمصلحة العامة .

على ان ما بذل الامبراطور من جهود فى سبيل الاصلاح لم يتناول الى اليوم سائر مرافق الحياة فان الصحة العامة مثلاً لا تزال على ما كانت عليه فى عهد خلفائه من الانحطاط واهمال ولاة الأمور لشأنها اهمالاً تاماً يتجلى فى ما هو مشهود من قلة الأطباء

والمستوصفات والمستشفيات وكثرة الدجالين الذين يعتمــد عليهم الأهلون فى معالجة عللهم وأسقامهم وانتشــار الأمراض المعدية وفى مقدمتهــا الزهرى والبرص وداء الكلب انتشاراً مريعاً وخصوصاً فى الطبقة السفلى من الشعب حتى قيل – والقائلون من الاطباء الذين زاروا الحبشة وساحوا فيها – أن عدد المصابين بالزهرى يقدر بنحو ٧٥ فى المئــة من السكان الوطنيين لعدم وجود أطباء يعالجون هذا المرض ولأن المصابين به يكتفون بالاستحمام فى ينابيع المياه الكلسية الكاوية غافلين عن هذا الاعتبار الجوهرى وهو أن معالجة الزهرى بغير العلاجات الطبية الحديثة التى اكتشفها العلم وأقرها جهابذة الطب لا تجدى صاحبها نفعاً ولا ترد عنه غائلة المضاعفات الخطرة التى تنتهى حتماً بالموت فضلاً عما فى هذا الاغفال والتهاون من استهداف الاصحاء لخطر العدوى وهو ما يجعل الداء فى هذه المنزلة من الانتشار ولا سيما أن جودة المناخ تشجع القوم على قلة الاكتراث له والقعود عن معالجته .

وهناك أمور أخرى كثيرة ذات صلة وثيقة بالقضــاء الأهلى والعادات والأخلاق والرق وسواه مما يتعلق بالحالة الاجتماعية على العموم لم تتناولها بعد يد الاصلاح . ولعل هذا الملك المصرى يفلح فى معالجتها والمضى فى طريق الاصلاح الى أقصى مراحله خصوصاً إذا استعــان بالخبراء والعلماء من الاوربيين الذين يريدون الخير لبلاده محتذياً فى ذلك مثــال غير قطر من الاقطار الشرقية التى

استندت فى اصلاح شئونها وترقيـة مرافقها الى علوم الاوربيين ومعارفهم واختبارهم .

منافسات الدول فى الحبشة

أشرنا فى ما تقدم الى ما كان من اشتداد المنافسة فى الحبشة بين دول الاستعمار ولا سيما فى عهـد النجاشى منليك حيث كانت ايطاليا أسبق هذه الدول الى العمل المثمر . غير أن الدول المنافسة لها كانت واقفة لها بالمرصاد فأثارت حفائظ الاحباش عليها حتى كانت حرب سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٥ التى انتهت بمعركة ادوا الشهيرة

على أن المنازعات فى هاتيك البلاد بين الدول المستعمرة لم تنته بهذه الحرب بل استمرت على أشدها وعادت فرنسا الى تهـديد منليك . أما انجلترا فما برحت تصانعه وتتودد اليه حتى فازت باستمالته إلى جانبها مستعينة على ذلك بذكرى ما كان بينها و بين أسلافه من المودة والثقة المتبادلة . وكانت قد سبقت فاحتلت السودان بالاشتراك مع مصر وضمنت لنفسها السيطرة عليه بالمعـاهدة التى عقدتها مع الحكومة المصرية فى شأنه فبقى عليها أن تستأثر بالنيل الأزرق الذى ينبع فى جبال الحبشة لإرواء ما يصلح من أرض السودان للزراعة . وما برحت تسعى فى هذا السبيل حتى كانت سنة ١٩٠٢ فأطلق منليك يدها فى حصر مياه بحيرة تسانا التى يخرج النيل الازرق منها تحقيقاً لغرضها هذا فأثار عمله هذا سخط فرنسا وايطاليا — وهما الدولتان المنافستان هناك لانجلترا . وما زالت المنافسة قائمة بين الدول الثلاث

حتى كان اتفاق سنة ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا - وهو الاتفاق الذى أطلق يد انجلترا فى مصر مقابل اطلاق يد فرنسا فى المغرب الأقصى - فجاء ممهداً السبيل الى ميثاق سنة ١٩٠٦ الذى تعاهدت الدول الثلاث بمقتضاه على احترام حياد الحبشة فى الظاهر واقتسام مناطق النفوذ فيها فى الباطن

ووقفت ايطاليا بعد ذلك تتتبع مجرى الحوادث وترقب الفرص السانحة حتى كانت الحرب العالميـة العظمى فتربثت الى شهر مايو سنة ١٩١٥ حيث خاضت غمارها الى جانب الحلفاء بعد أن عاهدوها على اطلاق يدها فى تصحيح حدود مستعمراتها الافريقية تصحيحاً يحقق بعض ما كانت تعلل النفس به من توسيع نطاق مصالحها الاقتصادية وعملها التمدينى فى القارة السوداء . وتم للحلفاء النصر فى هذه الحرب فذكرتهم بالعهـد الذى قطعوه لها بموافقتها على تحقيق مطالبها هناك ، وفى جملة هذه المطالب أن يكون النفوذ الاقتصادى فى غرب الحبشة لها دون سواها . فأبت عليها انجلترا ذلك لأن معاهدة سـنة ١٩٠٦ لا تخولها فى اعتبار الانجليز حق الاستئثار بالنفوذ الاقتصادى فى تلك المنطقة . وانقضت سنة ١٩١٩ فى الأخذ والرد ومر ردح من الوقت وايطاليا تتذمر شاكية ناعية على حلفائها نكث العهود وخصوصاً بعد أن أقرت جمعية الأمم انتداب انجلترا لفلسطين وشرق الاردن والعراق وانتداب فرنسـا لسورية وحوران ولبنان وبلاد العلويين من غير أن يجعل لايطاليا نصيب من تلك الغنيمة ،

إلى أن كانت سنة ١٩٢٢ وقامت دكتاتورية موسوليني — ذلك الرجل الحديدي النابغة المنقطع النظير — وشجر بين تركيا وبريطانيا خلاف على الموصل ، وشعر الانجليز بالحاجة إلى اداة دولية يتخذونها سلاحاً لهم فى حمل الترك على الاذعان لمشيئتهم ، وهم يعرفون أن ايطاليا فزاعة تركيا . فاجتمع السر أوستن تشمبرلن وزير خارجية انجلترا بالدكتاتور موسوليني فى ربالو واتفق الوزيران على تسليم انجلترا بمطالب ايطاليا فى الحبشة مقابل تسليم ايطاليا بترك انجلترا تحقق مشروعات الري على بحيرة تسانا . وعلى أثر ذلك حملت الصحف الايطاليــة حملة شعواء على الحكومة التركية مهددة باحتلال ايطاليا لأهم موانيها واكتساحها لبقاع واسعة من تركيا إن هى أصرت على تعنتهــا فى مسألة الموصل فأذعن الترك لقرار جمعية الأمم فى ما يتعلق بهذه المسألة تحقيقاً لرغبة الانجليز .

وتسرب الشك إلى نفس الحكومة الحبشية فى ما يتعلق باتفاق ربالو فارسلت اليها الحكومة الانجليزية فى ٩ يونيو سنة ١٩٢٦ على يد معتمدها فى اديس ابابا مذكرة تبلغها فيها أنها على استعداد لأن توافيها بالايضاحات اللازمة نفياً لكل شبهة فى معنى هذا الاتفاق الذى لا يرمى الى مس سيادة الحبشة وحقوقها . وفى الوقت نفسه تلقى الرأس طفرى كفيل مملكة الحبشة مثل هذا التأكيد من معتمد ايطاليا فى اديس ابابا

على أن الحكومة الحبشية لم تقتنع بذلك . وفى ١٩ يونيو ســنة

١٩٢٦ أرسلت الى جمعية الأمم — وهى من أعضائها منذ سنة ١٩٢٣ — احتجاجاً على المذكرتين الانجليزية والايطالية . وفى ٢٢ منه تلقت من سكرتير الجمعية رداً يبلغها فيه أنه أرسل احتجاجها الى الحكومتين المختصتين . وفى ٢ اغسطس من تلك السنة صرح المستر تشمبرلن فى مجلس العموم بأن اتفاق ربالو لا يرمى الى غرض سياسى ولا ينطوى على شىء يمس حقوق الحبشة . وفى ٣ منه أرسل الى جامعة الأمم مذكرة بهذا المعنى

وفى شهر سبتمبر اجتمع مجلس جامعة الأمم وطرحت مسألة اتفاق ربالو على بساط البحث وتبودلت الآراء فيها . وكان الرأس طفرى أرسل الى المجلس مذكرة قال فيها « ان الحكومة الحبشية تحتفظ بالتفسير الذى علقت به الحكومتان الانجليزية والايطالية على معاهدة ربالو على أن ترجع اليه ان هى رأت فى أعمالها ما يناقضه »

والذى يستخلص من اتفاق ربالو ان انجلترا تنشىء على بحيرة تسانا فى منطقة النفوذ الايطالى خزاناً لحجز المياه التى تفتقر اليها لرى أراضى السودان ومصر ويكون لها الحق فى فتح طريق للسيارات بين هذه البحيرة والسودان مقابل اعتراف انجلترا لايطاليا بحقها فى مد سكة حديدية بين حدود الأريترة وحدود الصومال الايطالى واستغلالها على ما يتفق مع مصالحها والاحتفاظ بحق التبسط الاقتصادى فى غرب الحبشة والبقاع التى يجتازها خط سكة الحديد

وبحق القيام بكل ما يبدو لها أن تقوم به من المشروعات العمرانية والاقتصادية فى هذه المنطقة

شرعت ايطاليا فى العمل تحقيقاً لمطالبها هذه . ولم تقف الحكومة الحبشية مكتوفة اليدين . وطالت المفاوضة بين الدولتين حتى افضت الى معاهدة سنة ١٩٢٨ التى تنص على مسألة الحدود والمرافق الاقتصادية وفى جملة ما جاء فيها أن كل خلاف يقع بين الفريقين يعهد فى حله الى لجنة تحكيم دولية . غير أن ما طرأ بعد ذلك من الحوادث التى ترجع إلى التنافس الدولى فى هاتيك البلاد قضى بتوتر العلاقات بين الدولتين . وتطورت الحالة تطوراً لم يكن العالم ينتظر أن يتفاقم أمره الى الحد الذى سنبسطه فيما يلى .

بين ايطاليا والحبشة

إذا رجعنا الى معاهدة ربالو وما خولت كلا من الدولتين الانجليزية والايطالية من الحقوق وجدنا أن الانجليز خرجوا منها فى الظاهر بصفقة المغبون على غير ما ألفوا فى ما مضى من تاريخهم الحافل بالأمثلة الناطقة بفوزهم فى حلبة السياسة والاقتصاد . فان مشروع الخزان الذى كانت انجلترا قد انتوت انشاءه على بحيرة تسانا — وهو مطلبها الاقتصادى الوحيد الذى اقرته معاهدة ربالو — اجل تحقيقه إلى أجل غير مسمى لاعتبارات كثيرة أهمها معارضة الحكومة الحبشية له وقيام النزاع عليه بين الأحزاب السياسية فى مصر وظهور عوامل أخرى اقتصادية ومالية حالت دون التمكن من تدبير المال

اللازم لتحقيقه . وللانجليز فى بلاد الحبشة مطامع أخرى ناشئة عن متاخمتها للسودان غرباً ولمستعمرة كينيا جنوباً وللصومال الانجليزى فى الجنوب الشرقى ، فلم يهن عليهم ترك ايطاليا تتمتع وحدها بثمار الفتح الاقتصادى الذى مهدوا له بمعاهدة ربالو هذه . ومع أنهم اعترفوا لها صريحاً بمصالح اقتصادية معينة ووافقوها على توسيع نطاق هذه المصالح لم يفسحوا لها مجال العمل على تحقيق مقاصدها الاستعمارية وتركوا الأحباش يحيكوا لها الدسائس وينصبوا المكايد ليعرقلوا مساعيها ويغلوا يدها عن العمل بغية الوصول الى غرضها

وللسياسة الانجليزية فى بلاد الحبشة اهداف مخصوصة ومرام معلومة تجلت للعيان فى الحقبة الأخيرة ولا سيما بعد أن قام الخلاف بين التليان والاحباش بسبب حادثة والوال الشهيرة على حدود الحبشة وهو الخلاف الذى ما فتأ يتفاقم شره حتى افضى الى امتشاق الحسام

وأول ما يستطاع الاستشهاد به على اتجاه السياسة الانجليزية اتجاهاً معارضاً لأمانى ايطاليا ومقاصدها أن هناك اعتبارات جوهرية تحول دون تسليم الانجليز بمجاورة دولة قوية لهم على الحدود الشمالية من مستعمرة كينيا البريطانية . فليس من المعقول وهذا شأنهم أن يدعوا ايطاليا توغل على نهر جوبا غرباً لتكتسح الحبشة لأن مجاورتهم للحبشة وهى دولة ضعيفة نسبياً خير فى نظرهم من مجاورتهم لايطاليا القوية سواء من الوجهة الاقتصادية أو السياسية . ثم أن إيغال ايطاليا فى الاوغادين مما لا يتفق مع مصلحة الصومال البريطانى هناك ،

ذلك لأن الصومال البريطانى ممتد فى شرق افريقية على الأوقيانس الهندى تجـاه بلاد العرب امام عدن وعدد سكانه نحو ٣٥٠ الف نفس وهم أصحاب مواش ، والبلاد قاحلة قليلة المراعى ولكنها متاخمة لبقعة من الحبشة غنية بمراعيها . ولذلك بعد أن فرغت لجنة الحدود بين الانجليز والأحباش من عملهـا اتفقت الدولتان على أن يرخص لأهل الصومال البريطانى بانتجاع الكلأ فى داخل بلاد الحبشـة حتى « وال وال » من جهة و « دجج بور » غرباً من جهة أخرى ، ولا تقل مساحة هذه المراعى عن ٤٠ الف كيلو متر مربع وهى من أغنى مراعى الحبشة ، وارتفاعها عن سطح البحر يتراوح بين ٥٠٠ والف متر ، وهى غزيرة المياه على خلاف الصومال الانجليزى فان مياهه قليلة وأكثر ينابيعه كبريتية ومالحة . فلو أصبحت هذه المراعى فى حيازة الطليـان تخشى انجلترا أن يحتكروها لأنفسهم ويلحقوا ضرراً بمصالحها هناك

أسباب الخلاف

والخلاف الذى وقع بين إيطاليا والحبشة يرجع الى هذا الأمر وهو ان لجنة المراعى المؤلفة من الانجليز والأحباش وصلت الى « وال وال » والايطاليون فيهـا فحدث ما حدث من الاحتكاك الذى أكره اللجنة على نقل مضاربها إلى « عادو » على مسافة ٣٥ كيلو متراً من « وال وال » . وفى ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٤ وقع القتال فى « وال وال » وتقهقرت القوة الحبشية الى عادو واستنجدت لجنة

المراعى قائد قوات الصومال البريطانى فأرسل فصيلة من الجند رابطت على الحدود . ثم تفاقم الخلاف بين التليان والأحباش وتوالت الحوادث على الحدود وطال الأخذ والرد بين الفريقين حتى أدى الأمر بعد توسط جمعية الأمم الى احالة المسألة الى لجنة تحكيم دولية . وعالجت اللجنة موضوع الخلاف بما يتفق مع روح السلام الذى كانت تنشده جمعية الأمم حيث حكمت باخلاء الفريقين من كل تبعة حباً باحلال السلام محل الخصام . وخيل الى الرأى العام أن المسألة تقف عند هذا الحد ولكن الحبشة كانت قد لجأت إلى جامعة الأمم باعتبار أنها من أعضائها راجية أن تنصفها من التليان وعقدت كل أملها على مساعدة الانجليز لها وشدهم لأزرها ، وقد بدا من الانجليز ما حقق حسن ظنها بهم . ولا غرو فانحيازهم الى جانبها بديهى فى مثل هذا الأمر لأنه يؤول فى اعتبارهم الى صون مصالحهم فى هاتيك البلاد . فلذلك لم تسفر الخطة التى انتهجتها لجنة التحكيم عن نتيجة يرتاح اليها ضمير الانسانية . وتطورت الحالة تطوراً غير منتظر قضى على ايطاليا تجاه ما شهدت من تصلب الحبشة وعدم اذعانها لمطالبها بالشروع فى ارسال الجند والعتاد الحربية الى الأريترة ارهاباً للأحباش وحملاً لهم على التسليم (١١ فبراير سنة ١٩٣٥)

كل ذلك وجمعية الأمم آخذة فى درس الحالة وابتكار العلاجات لها ، وامبراطور الحبشه يواليها باحتجاجاته البرقية ، والسنيور موسولينى يتابع ارسال الجند فرقة بعد أخرى ، ورجال السياسة فى أوربا

وخصوصاً فى فرنسا وانجلترا يعملون نهاراً وليلاً فى سبيل السلام وما زال هذا شأنهم حتى اعيتهم الحيل



﴿ السنيور موسولينى بملابسه العسكرية ﴾

رأى الامبراطور وخطته

ومما زاد فى تحرج الموقف ان امبراطور الحبشة موقن ان ايطاليا تطمع ببلاده وأنها على اتفاق إلى حد معين مع انجلترا وفرنسا فيما يتعلق بتحقيق مطالبها فى الحبشة وان هاتين الدولتين تناصراها فى

إدراك ما لا يلحق ضرراً بمصالحهما من الأغراض التى تتوخاها حرصاً على علاقتهما بها ورغبـة منهما فى استبقائها الى جانبهما فى الشئون الأوربية. فكان لذلك راغباً فى مجاراتهما لو اقتصر الأمر على التخلى لإيطاليا عن منطقة يختارها هو فى مقابل تخليها للحبشة عن ميناء على البحر الاحمر. وقد عرضت عليه انجلترا أن تتخلى للحبشة عن ميناء زيلع على أن يظل هذا الميناء تحت أشرافها. وفى مقابل ذلك يقطع ايطاليا بقعة من الأرض فى وسع الحبشة الاستغناء عنها. وعلى أثر ذلك أفضى فى ١٧ يوليو الى مكاتب التيمس الانجليزية فى اديس ابابا بحديث صرح فيه بما ترجمتـه: « ان الحبشة لا يسعها البتة أن تسلم بالتخلى عن جانب من أراضيها إلا بطريق المقايضة كأن تعطى مثلاً ميناء زيلع الذى وعدت انجلترا بالتخلى لها عنه لقاء بقعة من الأرض بين والوال ودلو تعطى لايطاليا. أما أروسى وغالا وبالى وليبان وبوران أو بقاع أخرى من منطقة الشمال فمن المحال أن تتخلى عنها الحبشة مهما يكن من الأمر. فالحبشة مفتقرة إلى ميناء على البحر الاحمر، وافتقارها اليه أشد كثيراً من افتقارها الى المال لأن حرمانها منه هو الباعث الرئيسى على انحطاطها وتقهقرها. أما الرقـ الذى تتوسل به ايطاليا لاكتساح الحبشة فغير مقتصر عليها دون سواها بل أنه موجود فى الأريترة وطرابلس الغرب » وتطرق الامبراطور إلى ذكر التسليح وعتب على بلجيكا وتشكوسلوفاكيا لاحجامها عن توريد الأسلحة التى كان قد اتفق معهما عليها طبقاً لمعاهدة سنة

١٩٣١ التى تخول الحبشـــة الحق فى إبتياع الأسلحة التى تحتاج اليها لصون وحدتها والدفاع عن استقلالها

وفى اليوم التالى لحديثه هذا ألقى فى البرلمان خطبـــة حماسية فى جملة ما جاء فيهـــا قوله : « اذا اقدمت إيطاليا على محاربتنا هبت الحبشة برمتها للدفاع برجالها ونسائها وشبانها وشيوخها لأن هذه الحرب ستكون بالنسبة الينا مسألة حياة أو موت . وامبراطوركم نفسه يسير فى مقدمة الجيش ويكون أول مـن يضحى بنفسه فى سبيل مجد الحبشة » .

وله أحاديث أخرى فى هذا الصدد يؤخذ منها أن مطالب إيطاليا انما هى على زعمه توطئة لخطوة واسعة تخطوها فى سبيل القضاء على استقلال الحبشة وأن الحبشة لا تبيع استقلالها رخيصاً .

ومع أنه ناشد شعبه أن يتحد ويتآزر دفعاً للخطر مبيناً ما هو مفروض عليه من الواجبات نحو الوطن — وهو ما ألهب نفوس الشعب حماسة وحمله على القيام بمظاهرات عدائية ضد ايطاليا فى أكثر انحاء الحبشة — عاد فذكر أن الميل الى الحرب فى الأحباش نزعة فطرية فخشى سوء العاقبة إن هو أكثر من التحرش بالتليان ، وأصدر أمراً إلى الشعب بالتزام جانب السكينة والهدوء والوقوف موقف الرقيب المحاذر مبيناً له ما فى اتباع خطة التحرش من المضار وفى انتهاج خطة التريث والانتظار من المنافع ولا سيا أن عصبة الأمم لن تدع ايطاليا تمضى فى طريق العدوان الى آخر مراحله وان للدول مطامع فى

الحبشة وهى تتحين الفرص للايقاع بها واقتسامها كما فعلت بتركيا

على أن الامبراطور برغم انتحائه هذا النحو فى معالجة الأمور واقدامه على المسالمة — وهو مايعزى الى اشفاقه على عرشه إن هو حارب التليان وافسح بذلك للرؤوس والزعماء المناوئين له طريقاً للجهر بعدائهم والعمل على خلعه — فانه وجه اهتمامه الى الجيش والحصون وخصص نحو عشرة ملايين جنيه لشراء الذخائر والمعدات الحربية . وتعاقدت الحكومة الحبشية مع غير مصنع من مصانع الأسلحة فى أوربا وأميركا على شراء مقادير عظيمة من الأسلحة و بينها مصانع ألمانية وانجليزية و بلجيكية وسواها .

تطور الحالة

أما فى ايطاليا فان مارآه السنيور موسولينى عميد التليان ومعبودهم من تحمس الأحباش وتحيز غير دولة من الدول الاوربية والشرقية لهم وتشديد عصبة الأمم النكير عليه وأخذها بناصر الحبشة عملاً باشارة بعض الدول العظيمة التى لها فى هاتيك البلاد مصالح جوهرية تريد أن تصونها وتغامر بالغالى والرخيص دونها — كل ذلك كان من أهم البواعث على مضيه فى سبيل التأهب للحرب إلى أقصى حد وقيام الشعب الايطالى بمظاهرات حماسية رائعة تتجلى فيها روح الوحدة بأجلى مظاهرها .

وأشفقت فرنسا أن تؤدى هذه الحال إلى مالا تحمد عقباه وخصوصاً بعد زيارة الجنرال غاملان لروميه واتفاقه مع هيئة أركان

حرب الجيش الايطالى على تخفيف العبء الملقى على كاهله فى أوربا لينصرف الى الدفاع عن مصالح دولته فى افريقيا الشرقيـــة . وكانت انجلترا من جهة أخرى تريد تجسم عود الحكومة الفرنسوية لترى هل هى مستعدة للقيام بنصيبها من التبعة الملقاة على عاتقها باعتبار انها عضو فى عصبة الأمم إذا نشبت الحرب بين ايطاليا والحبشة ، ومعنى ذلك أن الانجليز كانوا مصممين على اتخاذ تدابير شديدة تحول دون أقدام ايطاليا على هذه الحرب . فكان ثمت لا بد من اتفاق الحكومتين الانجليزية والفرنسوية على انتهاج خطة واحدة بازاء الموقف الذى وقفته ايطاليا من الحبشة . وبعد أن بحثت جمعية الأمم مسألة والوال ملياً واحالتها إلى لجنـــة خاصة لمعالجتها واصدار قرار فيها ورأت أن لا مناص من درس موضوع الخلاف برمته تمهيداً لوضع تسوية يقبلها الفريقان عهدت الى الحكومتين الانجليزية والفرنسوية فى درس الموضوع والجرى فى معالجته على خطة تؤدى إلى الوفاق

وفى ١٧ اغسطس سنة ١٩٣٥ عقد مؤتمر فى باريس اشترك فيه المستر إيدن بالنيابة عن انجلترا والمسيو لافال بالنيابة عن فرنسا والسنيور الويزى بالنيابة عن ايطاليا . ولكن هذا المؤتمر انفرط عقده سريعاً من غير أن يسفر عن نتيجة ترتاح اليها النفوس . فان السنيور موسولينى رفض اقتراحات المؤتمر لأنه رآها دون ما كان يمنى النفس به من المطالب التى كان قد أعد المدة اللازمة لتحقيقها بقوة السلاح بعد أن رأى ان المفاوضات الدوليـــة فيها لا تجدى نفعاً . فهو يريد

بسط سيادة ايطاليا العسكرية والسياسية على الحبشـــة فى حين ان النجاشى يريد الاقتصار على إقرار الاستعمار الايطالى ومنح التليان امتيازات اقتصادية وفى جملتها البحث عن المناجم واستغلالها وانشاء الخطوط الحديدية والطرقات وتحقيق مشروعات زراعية . والمؤتمر لم يرد أن يتخطى فى مباحثاته نطاق الأمور الاقتصادية البحت فانهار وعاد أعضاؤه مخذولين

انفرط عقد المؤتمر وحبطت آمال الحبشة وجمعية الأمم فيه وعاد الامبراطور هيلاسلاسى إلى استنجاد جمعيـــة الأمم وواصلت ايطاليا إرسال الجند والعتاد الحربية إلى افريقية الشرقية ونشأت من جراء كل ذلك حالة خطرة ليس فيها ما يتفاءل به المتفائلون المحبون لخير الانسانية .

ومما زاد الموقف ارتباكاً وزاد ايطاليا تشبثاً بموقفها أنها كانت قد قدمت إلى عصبة الأمم مذكرة ضافية بما تشكو منه وما تطلبه انصافاً لها من الحبشة . وردت الحكومة الحبشية على مذكرتها هذه بما زاد السنيور موسولينى تشبثاً برأيه . واليك خلاصة هذه المذكرة :

المذكرة الايطالية

« لم تقم الحبشة بواجباتها نحو عصبة الأمم كعضو فيها ، ولا حق لها فى طلب حماية بقية الدول بمقتضى عهد العصبة . ولا ينبغى لاية دولة أن تخول نفسها الحق المكتسب من عهد عصبة الأمم بينما هى نفسها لا تقوم بالواجبات التي يفرضها عليها ذلك العهد

وجاء في المذكرة أيضاً أن الحبشـة أظهرت أنها لا تحرز المؤهلات اللازمة لعضوية عصبة الأمم كما أنها مفتقرة إلى دافع واف يحملها على بذل جهود من تلقاء نفسها لترفع مكانتها الى مستوى الأمم الأخرى المتمدنة

وتتهم المذكرة الحبشة بأنها خالفت عمـداً جميع المعاهدات ، وتصرح بأن الحبشة هي خطر دائم حيال ايطاليا لأنها تهدد سلامة الايطاليين في المستعمرات الايطالية بشرق افريقية

وتقول المذكرة أن الحبشة بمسلكها هذا أخرجت نفسها علانية من عهد عصبة الأمم وأصبحت غير أهل للثقة التي وضعت فيها عندما قبلت في عضوية العصبة

فايطاليا بحملتها على هذا الموقف الذي لا يطاق انما تدافع عن سلامة أملاكها وعن سمعتها وكرامتها كما أنها تدافع عن سمعة عصبة الأمم وخيرها

واستطردت المذكـرة الى التنديد بحالة الفوضى في الحبشة وصرحت بأن بلاداً تكون شئونها الداخلية في مثل ذلك الارتباك وتكون نظمها السياسية والاقتصادية والثقافية رجعيـة كما هي الآن لا يمكنها أن تقوم وحدها باصلاحات أساسية تحول دون بقائها خطراً دائماً على المستعمرات الايطالية

والحروب الداخلية تجعل أسواق الحبشة غير مأمونة . ويتضح

من تاريخ السنوات العشر الأخيرة أن القلاقل الداخلية المستمرة فى الحبشة وحالة الفوضى المزمنة فيها كانت من العوامل التى حملت الأمم المجاورة لها على تأمين مصالحها بالمعاهدات والاتفاقات .

و بناء عليه قسمت الحبشة الى مناطق نفوذ لايطاليا فيها الجانب الأكبر

و بعد ما أوردت المذكرة حججاً عززتها بالأدلة على أن الحبشة ليست أهلا لعضوية عصبــة الأمم قالت أن الحبشة خالفت المادة الأولى من عهد العصبة التى تنص على أن من واجب الحكومة أن يكون لها السلطة على جميع انحاء بلادها .

والواقع أن حكومة الحبشة المركزية لا سلطة لها على مناطق الحدود التى تصفها بأنها مقفرة من السكان

وتتهم المذكرة حكومة الحبشة أيضاً بأنها خالفت أحكام المادة الثالثة والعشرين من عهد العصبة التى تنص على أن الحكومة يجب أن تضمن المساواة لجميع رعاياها وان تكفل سلامة المواصلات

وتتهم الحبشة أيضاً بأنها خالفت تعهداتها لعصبــة الأمم وعلى الأخص فيما يتعلق بتجارة الرقيق وتستشهد المذكرة فى هذه المناسبة بتقرير اللورد لوجارد عن الرقيق فى الحبشة الذى لم ينشر بحذافيره نظراً لما يحتويه من الفظائع . واقتبست المذكرة أيضاً ما كتبته اللادى سيمون عن هذا الموضوع

وتصرح المذكرة بأن حكومة الحبشة لا تقتصر على الاعتراف

بالرقيق ولكنها تشترك فى هذه التجارة مباشرة ، وتقول أن همجية الأحباش لا تتمشى مع مبادىء عصبة الأمم ولا تؤهلهم لعضويتها . مثال ذلك مسألة التعقيم فانها ليست مقصورة على البالغين رشدهم بل تتناول الأحداث وذلك لتوريد خصيان لتجارة الرقيق . وهناك فظائع أخرى مثل أكل لحوم البشر وعدم الاكتراث لحياة المصابين بالبرص والمسجونين والمكبلين بالاغلال

فلا يتسنى للحبشة الاحتفاظ بمقعدها فى عصبة الأمم من دون أن تودى بسمعة هذه العصبة والأمم المتمدنة

ونددت المذكرة بالمحاباة التجارية فى الحبشة وقالت أن حرية التجارة فيها معرقلة بمنح امتيازات للمحتكرين ، واستشهدت باحتكار الكحول الممنوح لبلجيكا عام ١٩٢٢ واحتكار الملح المعطى لفرنسا عام ١٩٣٠ . وتدعى ايطاليا فى مذكرتها أيضاً أن الحبشة تحابي البضائع البريطانية الواردة عليها من بلاد الصومال البريطانية وان ذلك يضر بالبضائع الواردة من الصومال الفرنسوى والصومال الايطالى والبلدان الأخرى »

قنال السويس

وبعد أن بلغت الحالة الى هذا الحد من التفاقم اجتمع مجلس جامعة الامم فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٥ واستأنف معالجة النزاع بين ايطاليا والحبشة فخبط مسعاه . وتطورت الحالة تطوراً جديداً ينذر بالحرب . وكانت المقامات السياسية والأندية الرسمية قد بحثت مسألة

العقوبات التى استقر القرار على انزالهـا بايطاليا منعاً لها من محاربة الحبشة ، وخاضت الصحف فى موضوع هذه العقوبات ذاكرة فى مقدمتها اقفال قنال السويس وما يترتب على ذلك من التبعة تجاه العالم المتمدن . ومسألة اقفال هذا القنال أو تركه مفتوحاً فى وجه السفن التجارية والمراكب الحربية انما هى مسألة قانونية دقيقة تتلخص فيما يأتى : —

إن قنال السويس وقناة بناما و بوغاز جبل طارق والدردنيل كل هذه المجازات البحرية مرتبطة بقوانين خاصة وخاضعة للرقابة الدولية فلا يستطاع اصدار أى قرار فى شأنها إلا بموافقة جميع الدول التى أبرمت المعاهدة المتعلقة بها وهى المعاهدة التي عقدت فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ بين الدول التسع الآتية : فرنسا و بريطانيا العظمى والمانيا والنمسا والمجر وايطاليا واسبانيا وروسيا وهولاندا وتركيا . والمادة الرابعة منها تنص على أن : « قنال السويس يجب أن يظل مفتوحاً فى أيام السلم والحرب على السواء . . . وتوافق الدول المتعاقدة على عدم فرض أى رسم حربى أو القيام بأى عمل عدائى أو أى عمل آخر من شأنه أن يحول دون الملاحة فى القنال أو الموانىء المؤدية اليه فى دائرة قطرها ثلاثة أميال بحرية حتى ولو كانت الدولة العثمانية نفسها داخلة فى الحرب . »

وفى فقرة أخرى من هذه المادة نفسها : « إن البوارج الحربية التابعة للدول المحاربة لا يجوز لها أن تأخذ من المؤن من منطقة القنال

وموانيه إلا المقدار الذى لا غنى لها عنه كما انه لا يجوز لها أن تبقى فى هذه المنطقة سوى ٢٤ ساعة . ولا يسمح لها بانزال الجنود والذخائر الحربية إلى البر . وإن لكل من الدول المتعاقدة الحق فى الاحتفاظ ببارجتين فى أحد مينائى القنال . ولكن لا يسمح لها بذلك فى مياه القنال نفسه » .

والمادة الثامنة تنص على تأليف لجنة للرقابة تؤلف من ممثلى الدول المتعاقدة فى مصر .

والمادة التاسعة تنص على أن يعهد الى الحكومة العثمانية فى اتخاذ التدابير اللازمة تنفيذاً لهذه المعاهدة .

ومعاهدة فرساى لم تدخل تعديلاً على معاهدة سنة ١٨٨٨ هذه إلا فيما يتعلق بتركيا التى فقدت حقوقها فى القنال ومصر وانتقلت هذه الحقوق إلى بريطانيا العظمى .

وهذه المعاهدة تجيز تحصين القنال ولكنها لا تجيز حظر المرور فيه مهما كانت الأسباب الباعثة على ذلك . وبريطانيا العظمى وهى فى الواقع حارسة القنال تدرك ما لتركه مفتوحاً فى وجه السفن على أنواعها من الأهمية وعظم الشأن عند الدول جمعاء ، فلا تستطيع لذلك أن تقفل القنال لئلا يعد عملها هذا سابقة تتوسل بها غير دولة من دول الاستعمار لتحقيق أغراضها .

وقد عنى المستر ريمون لسلى بيول من كبار الثقات فى التاريخ

ورئيس جمعية السياسة الخارجية الاميركية بمعالجة الموضوع من الوجهة التاريخية فقال ما ملخصه :

« ان القوات البريطانية نزلت فى الاسماعيلية سنة ١٨٨٢ واقفلتها بضعة أيام . ولكن فى الحرب الفرنسوية البروسية (١٨٧٠) سمح لبوارج الدولتين المتحاربتين بأن تجتاز القنال . ولما نشبت الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ بعثت حكومة بريطانيا الى حكومة روسيا بمذكرة فى ٦ مايو من تلك السنة حذرتها فيها من أن كل سعى للتدخل فى شؤون القنال تحسبه الحكومة البريطانية تهديداً للهند . فردت حكومة روسيا بأنها لن تمس القنال بأذى

كان هذا قبل معاهدة سنة ١٨٨٨ فلما نشبت الحرب الاميركية الاسبانية سنة ١٨٩٨ سمحت الحكومة المصرية للاسطول الاسبانى الذاهب وقتئذ الى مانيلا عاصمة جزائر الفيلبين بأن يتموّن فحماً من مرافىء القنال بعد أن وعد بالعودة الى اسبانيا . وفى الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ — ١٩٠٥) سمحت الحكومة البريطانية للاسطول الروسى باجتياز القنال مع انه كان فى طريقه الى مقاتلة اسطول حليفة لها . وفى الحرب التركية الايطالية سنة ١٩١١ جازت البوارج الايطالية القنال مع ان مصر كانت حينئذ جزءاً من الامبراطورية العثمانية . وفى بدء الحرب الكبرى أصدرت القيادة العسكرية البريطانية أمراً يحظر على أى سفينة من سفن الأعداء دخول القنال

ولكن تركيا اعترضت بأن هذا الأمر يعد انتهاكاً لحرمة معاهدة ١٨٨٨ فسوغته السلطات البريطانية بأنه لا مندوحة عنه للدفاع عن سلامة القنال نفسها

فالحقائق الأساسية فى موضوع القنال هى :

أولاً — ان ادارة القنال فى يد شركة خاصة مصرية تملك الحكومة البريطانية جانباً من أسهمها ولكن أساس هذه الشركة امتياز منحته الحكومة المصرية وينتهى سنة ١٩٦٨

ثانياً — ان معاهدة الاستانة (١٨٨٨) تنص على أن القنال مجاز حر فى زمن الحرب وزمن السلم لكل سفينة حربية أو تجارية بصرف النظر عن العلم المرفوع عليها ، وان موضوع الدفاع عن القنال يجب أن يرفع فى آخر الأمر الى مجمع الدول

ثالثاً — أعلنت الحكومة البريطانية حمايتها على مصر سنة ١٩١٤ وأقفلت القنال فى وجه سفن الاعداء . ولكن الحماية الغيت سنة ١٩٢٢ وكان موضوع القنال أحد التحفظات الأربعة

رابعاً — ان مصر صاحبة السيادة على القنال والأرض التى تجتازها ، ولكنها ليست عضواً فى جامعة الأمم ولا هى اعترفت بمعاهدة سنة ١٨٨٨

خامساً — لم تعقد مصر معاهدة ما اعترفت فيها ابريطانيا بحق الدفاع عن القنال

ويرى المستر بيول فى نتيجة بحثه انه إذا قرر مجلس جامعة

الأمم أن يفرض عقوبات على ايطاليا وعهد الى الحكومة البريطانية في اقفال القنال وفقاً للمادة العشرين من عهد الجامعة فللحكومة الايطالية حينئذ من الوجهة القانونية الدولية أن تعارض في ذلك أمام محكمة العدل الدائمة في لاهاى مدعية أن معاهدة سنة ١٨٨٨ لاتزال نافذة المفعول وان السيادة على القنال هى لمصر لا لبريطانيا

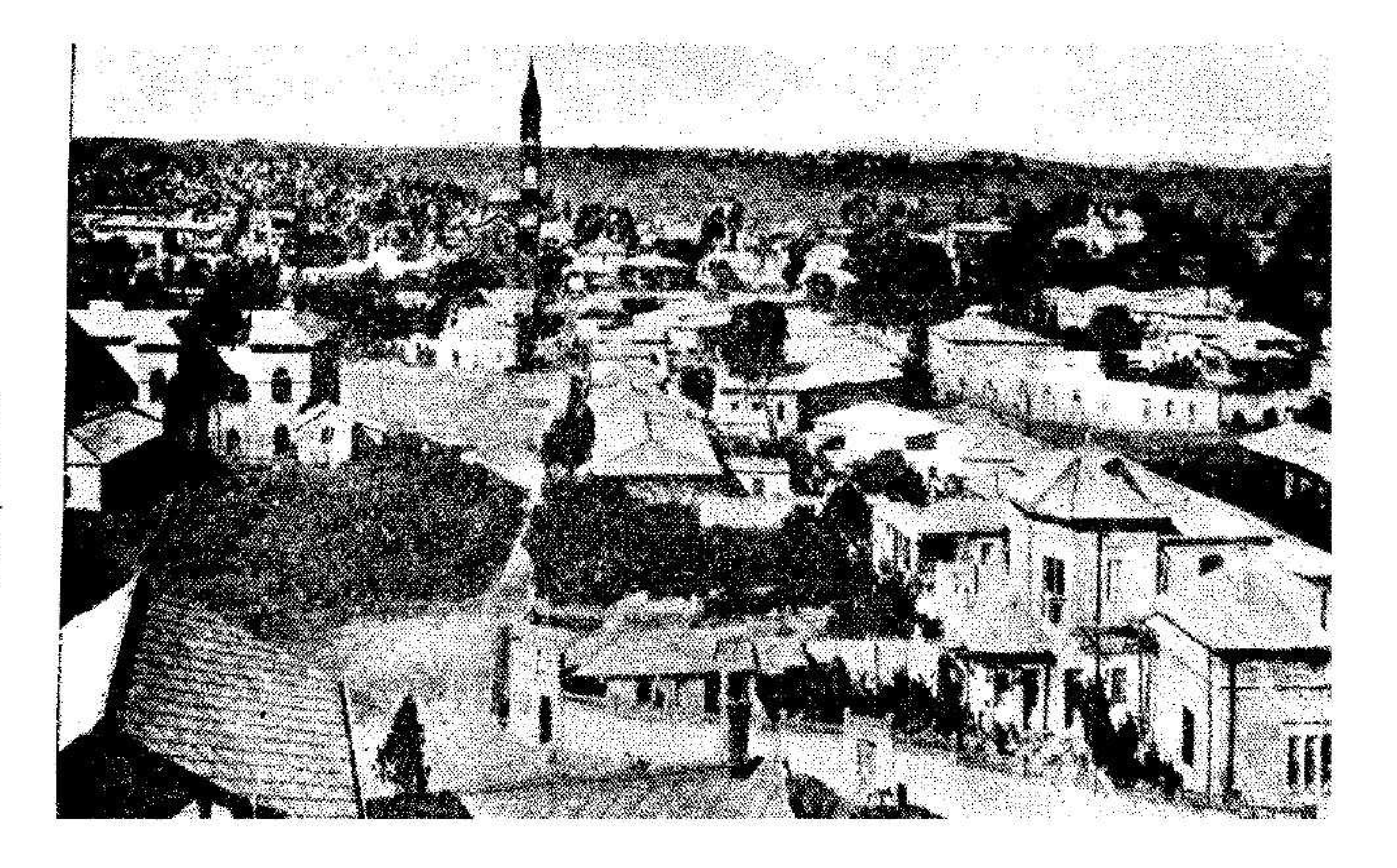
وطال البحث والحوار في صدد القنال وأقفاله إلى أن استقر قرار شركة القنال بعد مفاوضة المقامات العالية والمراجع الرسمية في أوربا على عدم اقفاله وتركه مجاراً بحرياً حراً للسفن التجارية والحربية على السواء عملاً ببروتوكول سنة ١٨٨٨ .

اعلان الحرب

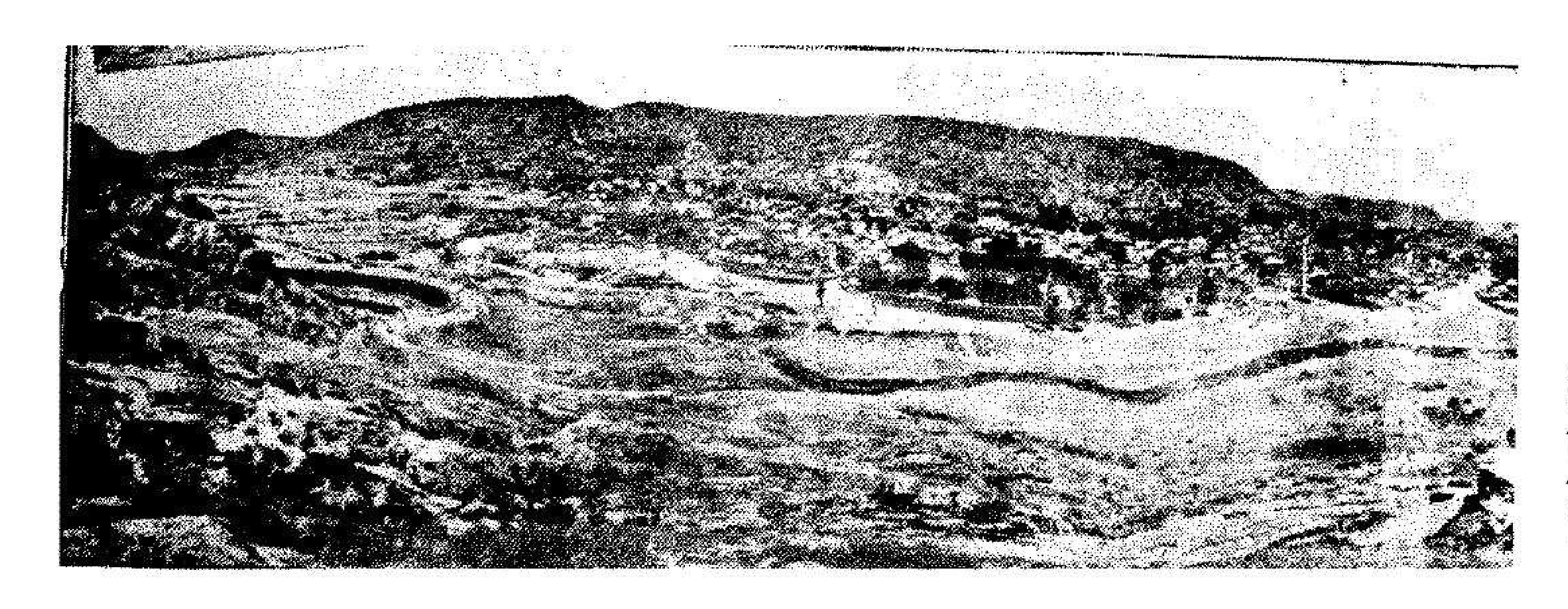
دخل شهر اكتوبر سنة ١٩٣٥ وايطاليا تغلى كالمرجل لأن جامعة الأمم أحبطت كل أمل كان لها في تحقيق امنيتها على يدها ورأت أن لا مفر لها من الحرب . وفى ٣ اكتوبر اخترقت الجيوش الايطالية حدود الحبشة وفى أقل من أسبوع كانت قد اوغلت فيها وبلغت اهدافها ووقعت بيدها عدة بلدان أهمها ادوا واكسوم واوجادين وسواها . ثم استولت فيما بعد على ما كال وجوراهاي وساسابانه وغيرها ، وأصبحت مقاطعة تيغرى برمتها في حيازتها . وشرع المهندسون في استثمار منجم الذهب في شيوماجلي . وكان لسقوط ادوا صدى عظيم في ايطاليا فقام الشعب الايطالى بمظاهرات عظيمة كان الهتاف فيها لعميده موسوليني يشق أجواز الفضاء .



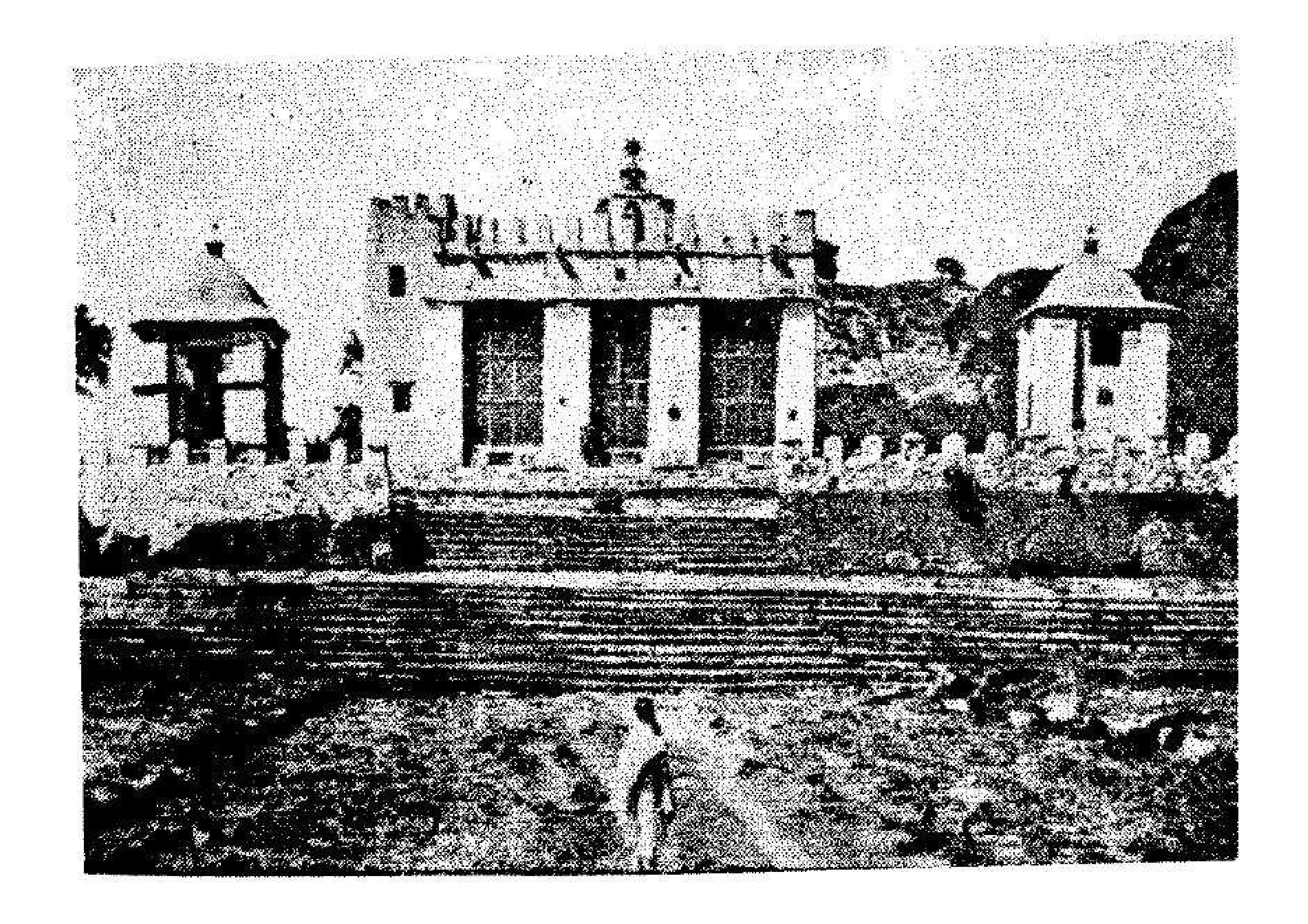
مظاهرة فاشستية عظيمة جرت في يوم ٢ اكتوبر سنة ١٩٣٥ في ميدان بلازو فينيسيا
على أثر النداء الذى وجهه السنيور موسوليني الى الامة الايطالية قبل هجوم الجيش الايطالي على ادوا



منظر عام لمدينة أسمرا عاصمة الاريتره الايطالية وقد اتخذت معسكراً عاما للجيش الايطالي



﴿ منظر عام لمدينة اكسوم وهى فى نظر الأحباش مدينة مقدسة ﴾
وقد استحوذ عليها الايطاليون بغير قتال



واجهة كنيسة عذراء صهيون في اكسوم وهى في اعتبار الاحباش أهم كنائسهم
وقد ادخرت فيها الذخائر المقدسة التي ترتقي الى عهد الملك مليك الاول وامه بلقيس ملكة سبا

خطة ايطاليا الحربية

ومما يذكر فى هذه المناسبة أن السنيور موسوليني أرسل صهره ونجليه لمشاطرة الجيش الفاشيستي جهاده فى سبيل الفتح. ومر الاخوان ببورسعيد حيث استقبلهما الفاشيست فى هذه البلاد بحفاوة عظيمة. ووالت ايطاليا إرسال الجند الى الحبشة حتى ناهز عددهم فى آخر شهر اكتوبر ربع مليون مقاتل



فيتوريو وبرونو نجلا السنيور موسوليني وقد التحقا بسلاح الطيران الايطالي في حرب الحبشة

وقد عهد فى القيادة العامة الى الجنرال دى بونو قائد القوات الايطالية فى افريقية الشرقية . وهناك نخبة من قادة الجيوش الايطالية يعاونونه فى مهمته أخصهم الدوق برجايو والجنرال مونتانيا والجنرال غرازياني والجنرال مارافينا والجنرال سانتيني والجنرال بيرولى والجنرال دلجنيري . وفى أوائل نوفمبر انضم اليهم الجنرال ارتيليو وقد جاء فى معية الدوق دى بنشويا ابن عم ملك ايطاليا وهو يتولى قيادة فرقة القمصان السوداء

أشهر قادة الجيش الايطالي في الحبشة



الجنرال برسيو بيرولي

الجنرال رودولفو جرازياني
حاكم الصومال
الايطالي

وخطة التليان فى حربهم هذه تقضى بمعاملة سكان البلاد التى يحتلونها بالحسنى لئلا تنفر منهم القلوب فتزداد العقبات القائمة فى سبيلهم شدّة . وقد اتهم سلاح الطيران الايطالى هناك بأنه يلقى على المدن والقرى قنابل محشوة بالغازات السامة أو برصاص دمدم المحظور استعماله فى الحروب الحديثة . ولكن هذا كله لا يخرج عن نطاق الحدس والتخمين وقد كذبه غير مصدر من المصادر التى يعول على صدق رواياتها .



《 الجنرال اميليو ديبونو القائد العام للجيش الايطالى 》

وقد كان لخطة المسالمة التى انتهجها الجنرال دى بونو القائد العام للجيوش الايطالية أحسن أثر فى نفوس كثيرين من زعماء الأحباش

حتى انحاز منهم الى جانبه عدد غير قليل منهم الرأس جوكسا صهر الامبراطور ومن سلالة النجاشي يوحانس [1] وعبد الكريم محمد ابن الملا المفتون المتوفى وهو من زعماء الصوماليين

---

(١) الرأس جوكسا (أو الدجاز هيلاسلاسي) هو ابن الرأس بوكسا حاكم مقاطعتي تيغرى ومكالى وابن اخت الامبراطورة طايتو زوجة النجاشي منليك وهو — أي جوكسا — الذى كانت تريد أن تجعله وليا للعهد بدلا من ليج ياسو حفيد منليك لخبط مسعاها . وبعد وفاة الرأس بوكسا قسمت منطقة حكمه الى قسمين فعهد فى حكم تيغرى الى الرأس سيوم واسندت ولاية مكالى الصحراوية الى الرأس جوكسا هذا تحت أشراف الرأس سيوم. فشق ذلك على جوكسا لأن أباه لم يكن أقل شأنا من الرأس سيوم وهو وريثه . ولكن الامبراطور استرضاه بتزويجه من كريمته الكبرى الأميرة زيتوريك التى كانت أحب أولاده اليه

ولجوكسا هذا حكاية مع الامبراطور هيلاسلاسي ملخصها ان زوجته الاميرة انحرفت صحتها انحرافا شديداً مزعجا وهي فى الشهر السابع من حملها . وأبى الكهنة الا أن يعالجوها على طريقتهم الروحية المأثورة عنهم فساءت حالتها وكانت تريد استشارة الطبيب الايطالى الذى كان يعالج زوجها فأبوا عليها ذلك . واستغاثت بأبيها سراً فكاد يطير صوابه وعهد الى الدكتور زار فوس اليونانى طبيبه الخاص وكاتب أسراره فى معالجتها . وركب الطبيب طيارة الى تيغرى الشرقية بقرب ادوا حيث كانت تقيم الأميرة . ولكن الداء كان قد استعصى فلم يفد فى معالجته دواء على رغم الجهود التى بذلها الدكتور زار فوس والطبيب الايطالى لانقاذها ، وفاضت روحها وهي فى ريعان صباها فحزن أبوها الامبراطور حزنا شديداً ولطم زوجها لطمة كانت حديث القاصي والدانى ، ودفنت من غير أن يسمح لهذا الزوج بحضور دفنها . فكان بديهيا والحالة هذه أن يحقد على الامبراطور وينتهز الفرصة السانحة الانضمام الى العدو ولا سيما أنه لم يكن له يد فى موت الأميرة لان سلطة الكهنة — وهم الذين تولوا معالجتها — فوق كل سلطة فى هاتيك البلاد وخصوصا فى الاقاليم.



جلالة ملك ايطاليا عندما زار مدينة « موجاديشو » عاصمة الصومال الايطالى
في سنة ١٩٣٤ . وبجانبه الجنرال دى بونو قائد الجيش الايطالى
فى افريقية الشرقية

والجيش الايطالى فى هذه الحرب يلتزم فى زحفه جانب الحذر الشديد فيمهد له أولاً باستطلاع دقيق يعهد به إلى الطيارات ثم باستكشاف يقوم به الجنود الوطنيون لأنهم أدرى من الطليان بطبيعة البلاد وطرقاتها ومسالكها وكهوفها ، وبهذا يأمن القادة على الجيش من مكائد الأحباش وشراكهم ويسيرون به الى أهدافهم وهم على بصيرة مما يقوم فى طريقهم من العقبات ويصادفهم من الصعوبات

غرض ايطاليا من الحرب

أما غرض ايطاليا من الحرب فقد ألمعت اليه صحفها الكبرى



الفيلد مارشال بادوليو
رئيس هيئة أركان الحرب العامة للجيوش
الايطالية قبيل رحلته الاخيرة الى الحبشة



الرأس جوكسا
وهو الذى انحاز الى الجيش الايطالى
مع جانب من أعوانه

غير مرة وفى مقدمتها التريبونا وجورنالى ديتاليا وجورنالى دور يانتى والرأى الغالب فيه يتلخص فى هذا وهو : « ان الحبشة ليست من البلدان التى يدل التاريخ على انهـا بلاداً متجانسة العناصر وان الاقاليم التى فتحها منليك الثانى فى شرق اديس ابابا لا تزال رجمية يمكن أن تحكم من غير أن تمس سيـادة الامبراطور الذى ينسنى له

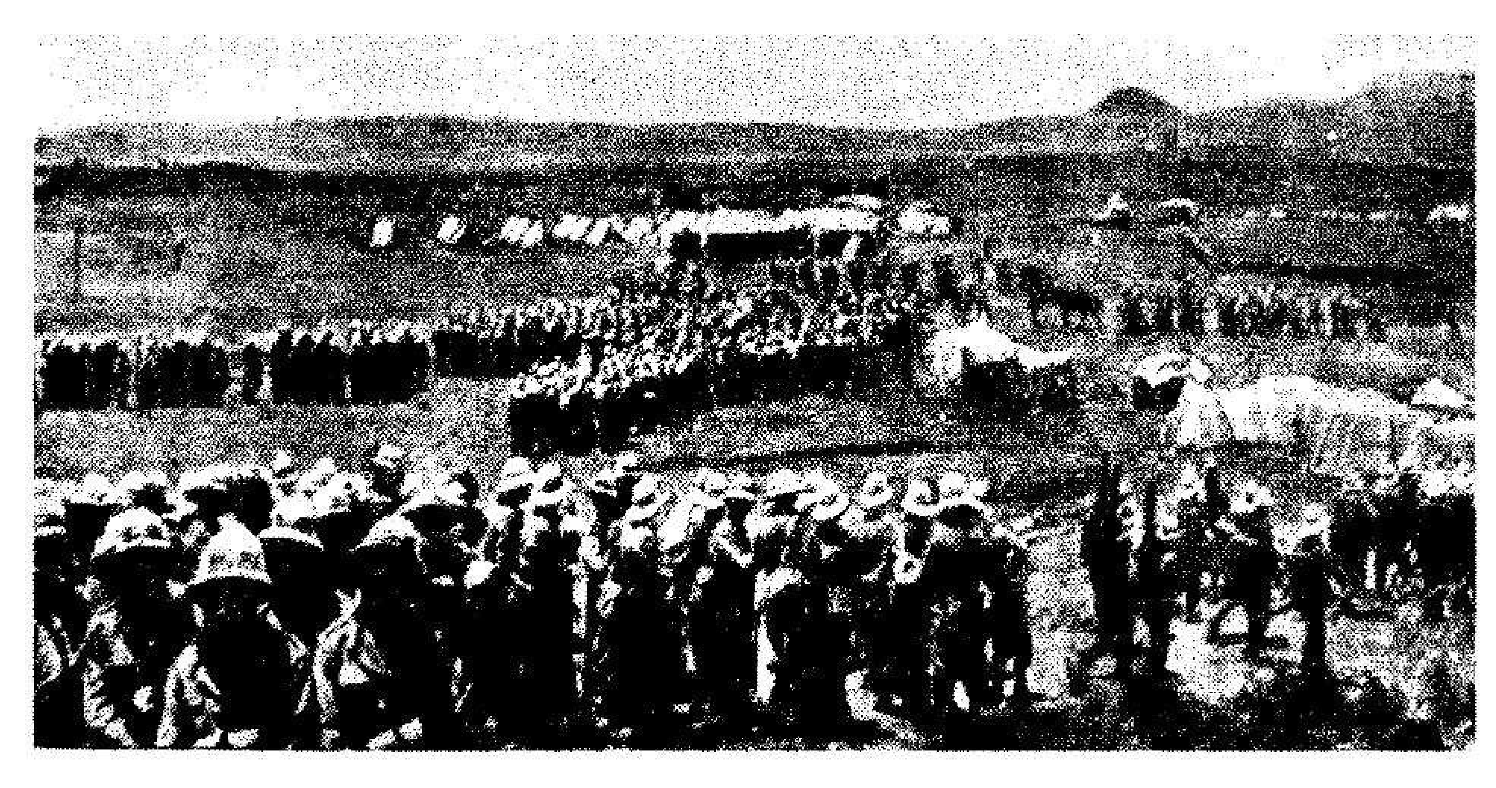
الاحتفاظ بسيادة ممتلكات أسلافه بمساعدة مستشارين من الاجانب أو من غير مساعدتهم . وان هذه المسألة يجب أن يبت فيها في مفاوضات تدور بين الدول المختصة سواء كانت مقاطعة هرر جزءاً من المملكة الحبشية المركزية أم لم تكن » . وهذه الأقاليم التى أشير اليها فى ما تقدم مبينة فى الخريطة المنشورة فى غير هذا المكان

وهذا الرأى الذى تبديه المصادر الايطالية العليمة لم يستغرب أو يستنكر حتى فى بريطانيا نفسها بدليل أن المستر تشرشل — وهو من أقطاب الانجليز — القى فى ٢٥ اكتوبر خطبة ضافية أعرب فيها عن عطفه على الأحباش فى دفاعهم عن استقلالهم وحريتهم ثم استطرد وقال : « . . . ولكن لا ينبغى لأحد أن يظل مصراً على الادعاء بأن الحبشة تليق بأن تكون عضواً فى جمعية الأمم المتمدنة ولا بد من تعليم الأحباش إصلاح شئونهم وتنظيم بلادهم »

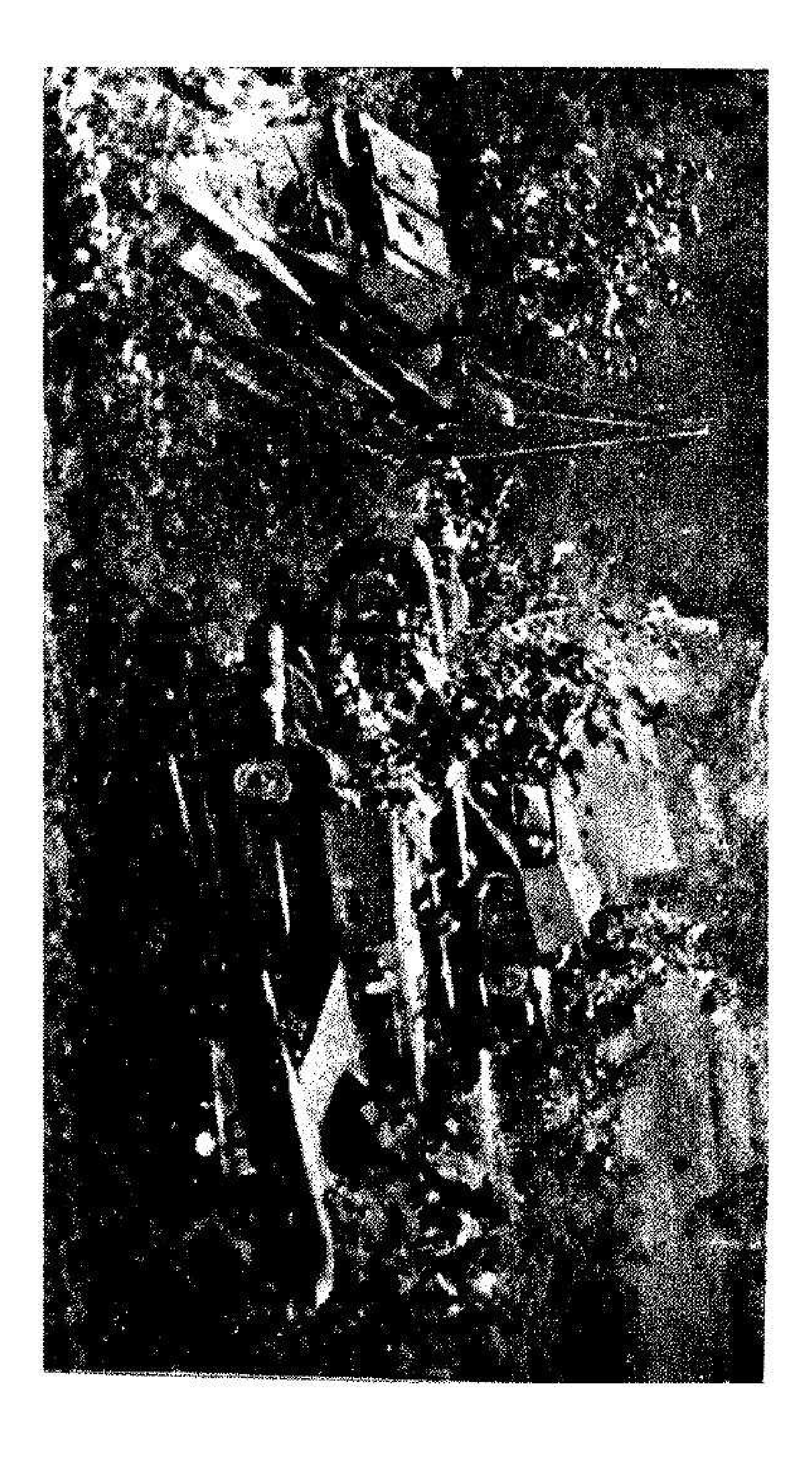
وعذر ايطاليا فى السعى لتحقيق مطالبها فى الحبشة ان هناك معاهدات دولية أهمها معاهدة سنة ١٩١٥ التى عقدت بين الحلفاء قبل دخولها الحرب الى جانبهم، ومعاهدة سنة ١٩٠٦ التى تخولها حقوقاً معينة فى المنطقة الفاصلة بين الأريتره والصومال الايطالى . واذا ذكرنا ان معظم الأراضى فى المستعمرتين مجدبة قاحلة وان بين مصوع واسمره لا نجد فداناً واحداً من الأرض الزراعية فى حين ان جنوب الحبشة حافل بالبقاع الخصبة وشمالها يفيض لبناً وعسلاً لأن الأرض هناك تعطى ثلاثة محاصيل فى السنة — اذا ذكرنا كل



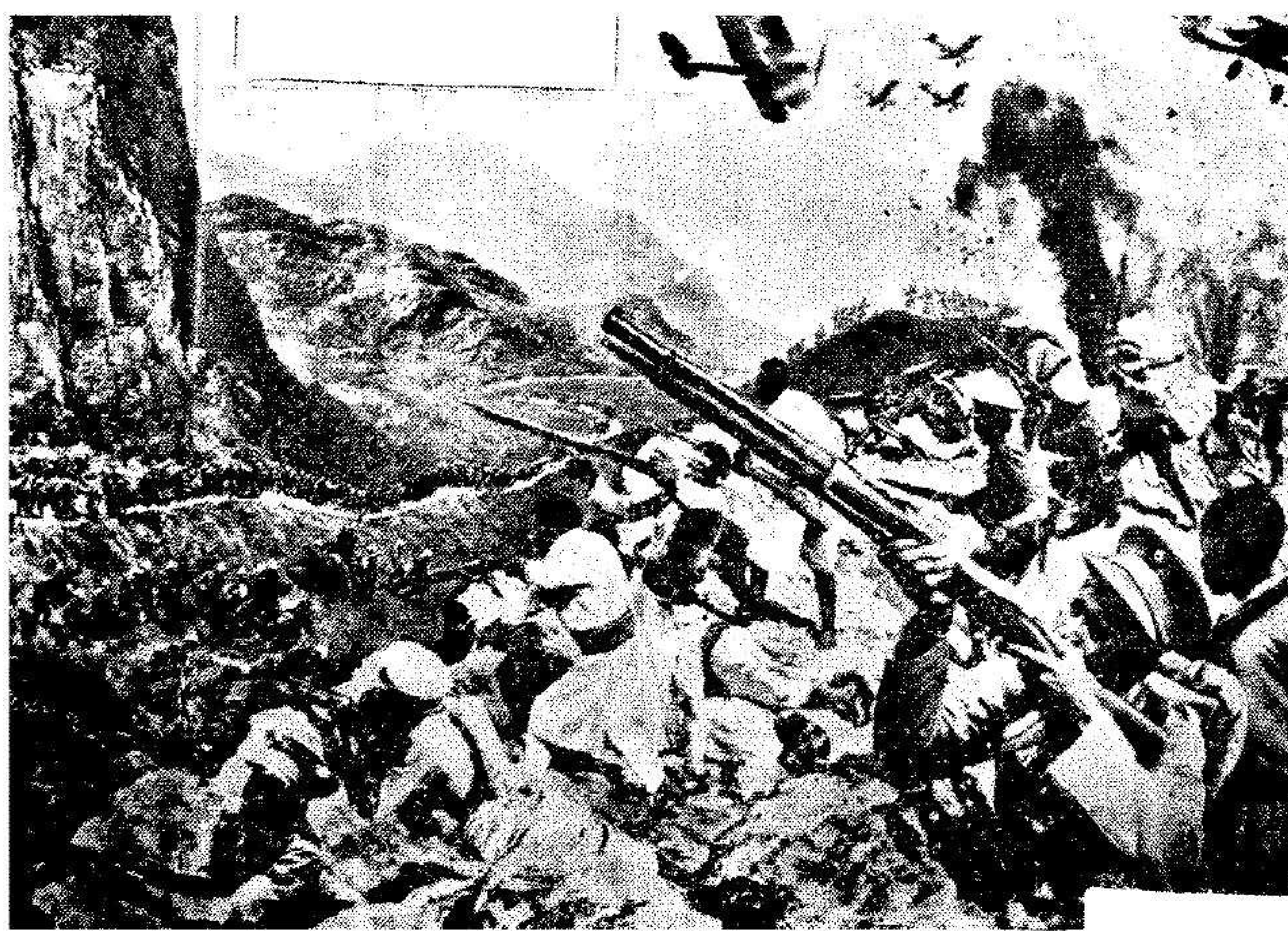
(فصيلة من المشاة الايطاليين خرجت تستطلع ومعها جنديان يحملان جهازاً لاسلكياً لمخاطبة القيادة العليا)



﴿ فرقة ايطالية على هضبة فى الاريتره تتأهب للزحف على ادبجرات ﴾



(الدبابات الايطالية تتأهب للقتال)



منظر عام للمعركة التى دارت رحاها بين الجيشين الايطالى والحبشى فى طريق جبلى بالميدان الشمالى
قبل استيلاء الايطاليين على ادیجرات



الاحباش يزحفون على بطونهم بين الاشجار حماية لانفسهم من نيران المدافع الايطالية

ذلك وذكرنا معه ما وقع من الجفاء بين الحلفاء أنفسهم من جراء مطالبة ايطاليا بما خولتها المعاهدات من الحقوق وتغافلهم عنها بعد اعترافهم لها بها أدركنا عذر القوم وحجتهم ولو اننا لا نلوم الحبشة على تمسكها باستقلالها وذودها عن حريتها .

خطة الحبشة وموقف الدول

أما الأحباش فقد عبأوا جيوشهم ونظموا صفوفهم ووزعوها على مختلف ميادين الحرب فكان منهم جيش عظيم يعد بعشرات الألوف أو مئاتها كما يزعمون . وعهد الامبراطور فى قيادة هذا الجيش العظيم الى أشهر القادة المحنكين نظير الرأس دستا صهره ويرابط بجيشه فى الجنوب والرأس نسيبو ويرابط فى جيجيجيا بقرب هرر والجنرال وهيب باشا وقد نيط به الدفاع عن هرر والرأس ابيبار مشو قائد جيش اوجادين . والرأس كاسا والرأس سيوم[1] وهما أعظم

---

(١) الرأس كاسا من اشهر امراء شوا واغناهم وهو ابن الرأس درجي نسيب النجاشى منليك . أما الرأس سيوم فهو ابن الرأس متغاشا الذى ثل منليك عرشه وحفيد النجاشى يوحانس . وكانت صلته بالامبراطور على أسوأ ما يكون ذلك لأن نجله الوحيد كان شديد الغرور يفاخر بنسبه وحسبه مجاهراً بأن أباه أحق من الامبراطور بالعرش لانه متحدر من صلب النجاشى يوحانس مباشرة فسخط الامبراطور عليه وسجنه فى بيت أبيه على أن تتولى أخته « ويسير واستر » أمر حراسته ولكنه غافل أخته وفر من سجنه وادركه الجنود فقتلوه . وخشى الامبراطور أن يثير مصرع الشاب — وهو وحيد — سخط الرأس سيوم فاتخذ كريمته « ويسير واستر » زوجة للامير اصفاوصن ولى عهده . وقد رزقت كريمته هذه طفلا جاء بلسما لجرح قلبه الدامي فتناسى مصابه بمصرع ابنه الوحيد وانحاز الى جانب الامبراطور قلبا وقالبا .

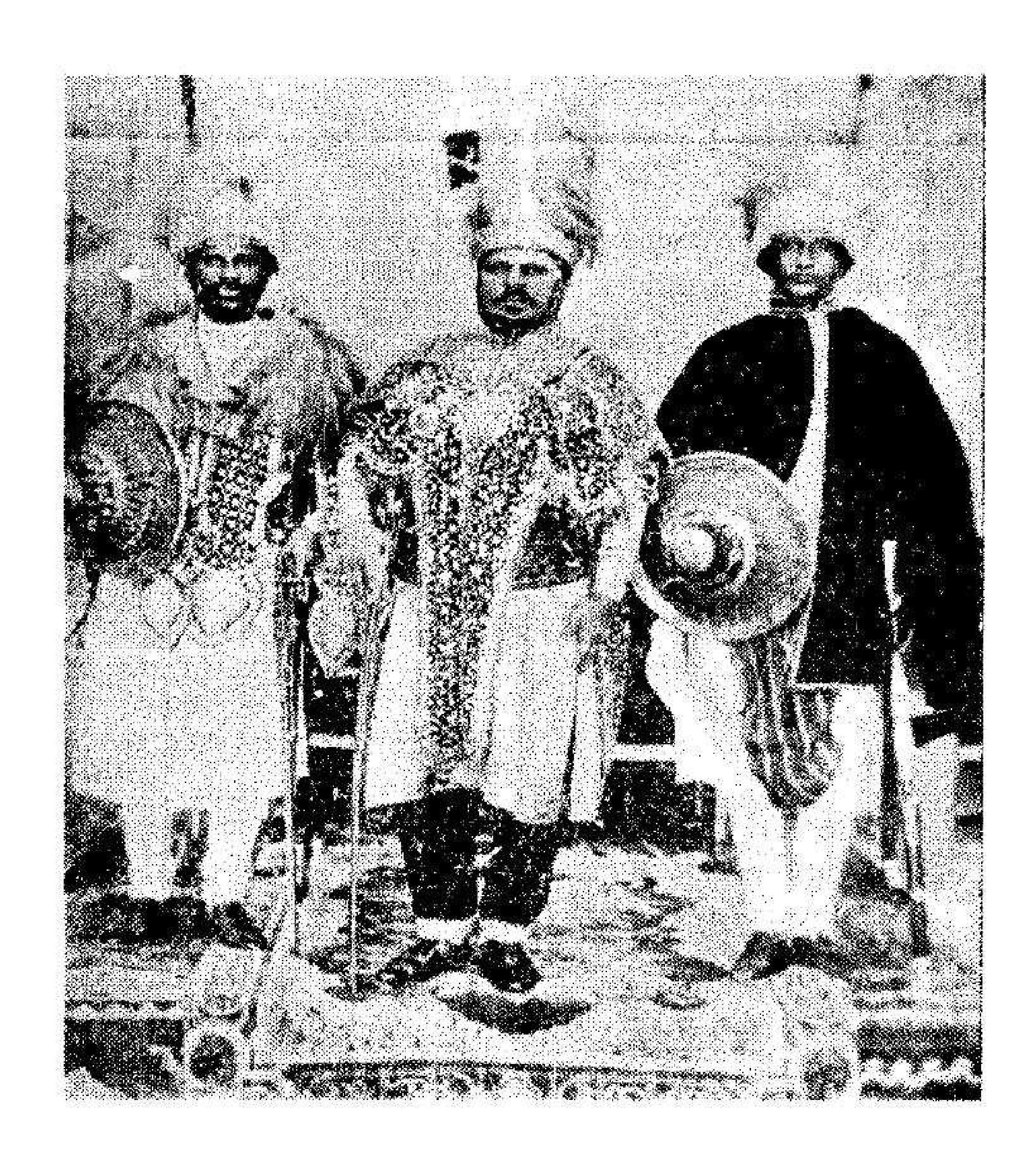
رجال الحرب فى الحبشة . أما الحرس الامبراطورى فقد عهد فى قيادته الى الجنرال كابالا من أشهر القادة وأبسلهم وهو مؤلف من



(الجنرال وهيب باشا)

قائد الجيش الاسلامى الحبشى فى مقاطعة اوجادين

أربعين الف جندى نظامى ومهمته الدفاع عن الامبراطور والسير فى ركابه مع رجال حاشيته التى تؤلف من مطران الحبشة حاملاً إحدى الذخائر المقدسة وعدد من الكهنة وجميع الوزراء ما عدا وزير الخارجية . ويحيط بالحرس جيش مؤلف من مئة الف مقاتل والقيادة



(الرأس سيوم بين اثنين من رجاله)
وهو حفيد الامبراطور يوحانس ويعد من اكبر قادة الأحباش

العليا ومركزها هرر يتولاها الامبراطور بنفسه وقد جعل معسكره فى
ديسى بجوار هرر حيث وافاه قسم من الحرس وذلك بعـد أن

حصنت هرر وعززت حاميتها أثر ما شاع من أن الطليان جعلوها مع دير داوا أهم أهدافهم لعزلها عن جيبوتي وقطع المدد عن الجيش الحبشي بسكة الحديد .



الرأس سيوم حاكم تيغرى وقائد الجيش الحبشي في الميدان الشمالي ويعد من أعظم رجال الحرب في الحبشة



بلاتا أنحيتا وزير خارجية الحبشة

وفى أوائل نوفمبر فتح الكهف الذى خبئت فيه كنوز منليك فاذا هو يحتوى ثمانية ملايين ريال و ١٣٥ مليون فرنك من سبائك الذهب والبلاتين . وقد كان منليك ادخره للأيام العصيبة ليستعان

به على درء الخطر عن البلاد عملاً بالقول المأثور : « القرش الابيض لليوم الاسود » تخفيفاً للعبء الملقى على عاتق الحبشة فى محنتها الحاضرة .



الرأس كاسا حاكم غوندار
ومن اكبر قادة الجيش الحبشي

ومما يذكر عن تحمس الأحباش للصراع القائم فى بلادهم ان الرجال والنساء سواء فى التضحية والاستبسال حتى ان كثيرات من الأميرات ونساء الاشراف تطوعن لمعالجة المرضى والعناية بهم وانشأن لذلك مستشفيات مركزية ونقالة يتولى أمرها أطباء من الاوربيين والمصريين

أما فى الاقاليم فقد بلغت الحماسة عند النساء مبلغها عند الرجال . ومن ذلك ما جاء فى برقية من اديس ابابا بتاريخ ٧ نوفمبر وهو ان الأميرة الجميلة وازيرو التى تعيش عيشة البدو فى حصن فى الشمال الغربي من ماكال التى وصلت الجيوش الايطالية فى زحفها اليها الفت عصابة من أهل تيغرى لشن الغارات على مخافر الايطاليين المتطرفة هناك . وانضم اليها فيما يزعمون عدد كبير من نساء تيغرى

المتزوجات اللواتى أرسلن أولادهن الى ميدان الحرب وأقسمن ألاّ يعدن الى بيوتهن قبل أن يغادر آخر ايطالى بلادهم .



« الديجاز مرجام حاكم اوجادين الجنوبية »
وهو حفيد الامبراطور تيودورس ومن اكبر قادة الجيوش
الحبشية الاحتياطية

ومما زاد فى تحمس الأحباش وزادهم ايماناً بالنجاح شعورهم بعطف الدول عليهم وثقتهم بأن بريطانيا تؤيدهم وتشد أزرهم حرصاً على مصالحها ومقامها الخاص فى افريقية وعلى سواحل البحار المؤدية الى الهند . على ان بريطانيا تعول على ثباتهم فى النزال ولن تقدم

على عمل خطير قبل أن ينجلى هذا الصراع عن نتيجة حاسمة ولو ان مسألة العقوبات الاقتصادية لها عندهم منزلة خاصة لما يرجى أن يكون لها من الشأن فى تقصير أجل الحرب وحسم النزاع خصوصاً أن بيدها مفتاح التموين العالمى ولها السيطرة على معظم المواد الخام التى تصدر الى اوربا من مختلف أنحاء العالم[1]

على ان الاحباش انتهجوا فى منازلة التليان نهجاً جديداً غير مألوف عندهم ولا يلتئم مع طباعهم وأخلاقهم ذلك انهم عمدوا بايحاء المستشارين الفنيين من الاوربيين وسواهم الذين يرسمون لهم الخطط

---

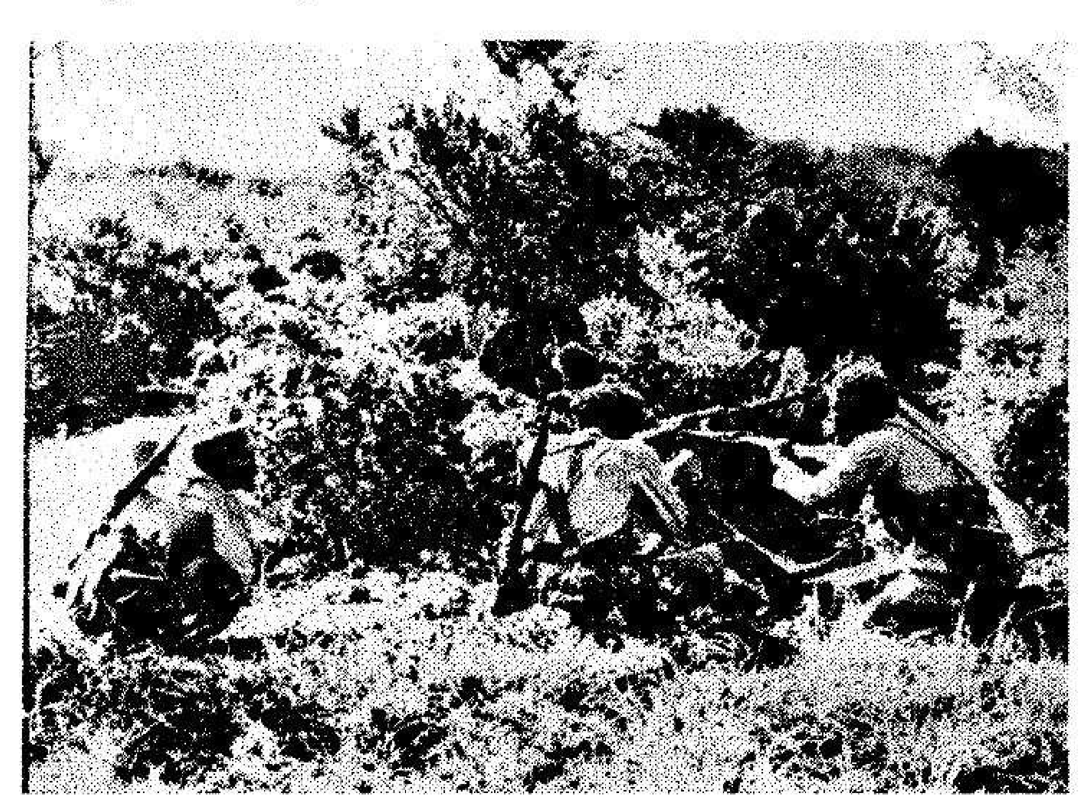
(١) قالت جريدة تريبونا الايطاليـة فى عدد ٦ نوفمبر — وهى من أهم الصحف الاوربية — ما يأتي : ان انكلترا تملك ربع الكرة الارضية و ٥١١ مليونا من سكانها منهم أربعمئة مليون تقريبا يعيشون فى الهنـد وأحوالهم لا تمتاز كثيراً عن الرقيق في الحبشة وفوق ذلك تتمتع انكلترا بالسلطة على ٦٤ر٧ في المئة من ذهب العالم و ٢٣ر٤ فى المئة من حبوبه و ٥٥ فى المئة من الكاكاو و ٢٤ر٤ فى المئة من القطن و ٥٩ر٩ فى المئة من الصوف و ٩٩ر٥ فى المئة من القنب و ٥٨ فى المئة من الكوتشوك و ٢٥ر٤ فى المئة من الفحم

وهنالك دول استعمارية كبرى بعدها كفرنسا وهولندا وبلجيكا والولايات المتحدة تملك من هذه الأشيـاء كميات وافرة تاركة لباقى العالم المسكين ما لا يزيد على عشرة فى المئة من أى صنف كان

فى المعادن المختلفة المهمة جداً للصناعة تملك انكلترا كميات تتراوح بين ٢٠ر٤ فى المئة من المنيزيا و ٩٤ر٣ فى المئة من النيكل وهذا يعنى سلطة تامة لانكلترا تقريبا على جميع المعادن المستعملة فى الصناعة

فهذه الارقام توضح لماذا قررت تسع واربعون دولة —لا واحدة منها تملك شيئا يذكر من هذه الاصناف — تلبية انكلترا في انزال العقوبات بايطاليا

الحربية الى حرب العصابات المألوفة فى البلاد الجبلية جرياً على خطة البوير فى حربهم مع الانجليز فى أواخر القرن الماضى . وانما عمدوا الى ذلك لأن حرب العصابات تنهك العدو وتضعف قواه المعنوية بما تقترن به من المفاجآت والشراك التى تقتضى إجهاداً للعقل فى ابتكار



رجال المدفعية الحبشية معتصمين بغابة غضة ليكونوا بمأمن من قنابل الطيارات الايطالية

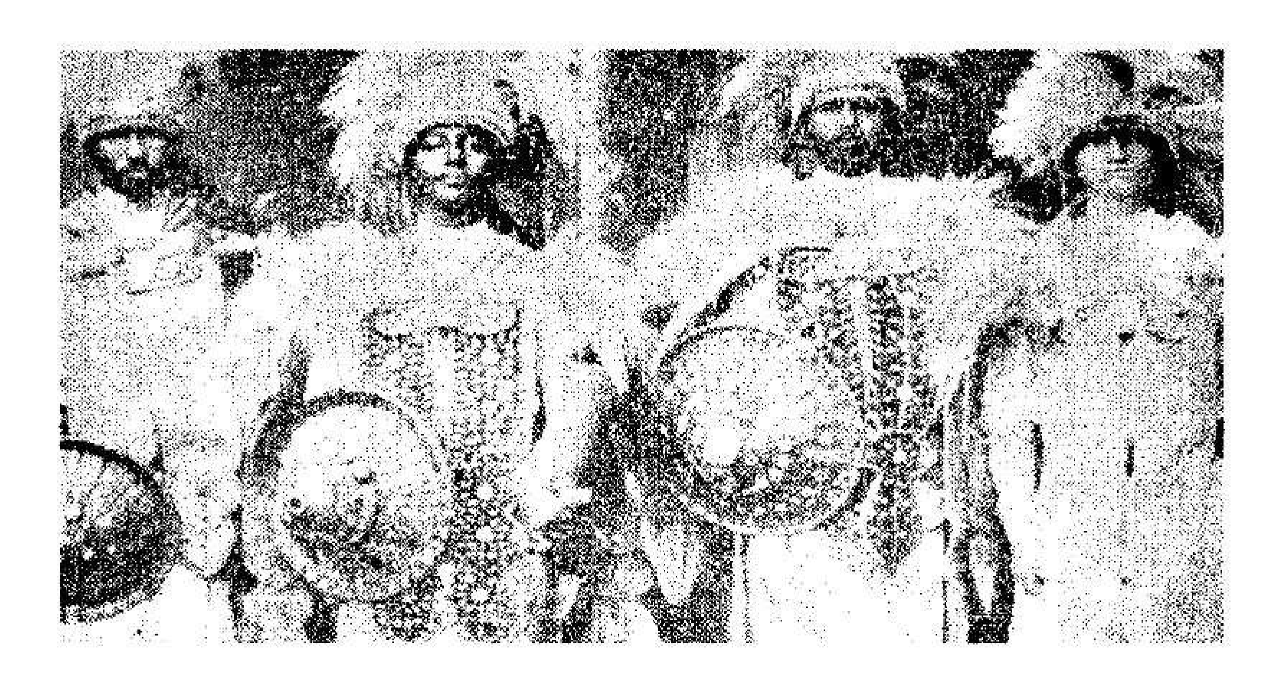
الوسائل لاتقائها وعدم الاستهداف لأخطارها . وهذا ما يشغل بال الجندى و يصرفه عن الاعتبارات والعوامل التى تذكى جذوة الحماسة فى نفسه لدى لقاء عدو لا يقل عنه جرأة و بسالة . والاحباش تعودوا

منازلة العدو وجهاً لوجه ولكنهم آثروا الاعتصام بمعاقلهم الطبيعية وشن الغارات منها على جيوش الطليان لقلة ما بأيديهم من الأسلحة الحديثة بالنسبة الى هذه الجيوش المجهزة بأحدث أدوات الحرب وأتمها



جنود نظاميون من الاحباش يتسلقون جبلا فى طريقهم الى المعسكر العام في منطقة هرر

من طيارات ومدافع ودبابات وسيارات مسلحة و بندقيات بعيدة المرمى متعددة الطلقات وغير ذلك مما ابتكره العلم وأحدثته الحضارة العصرية . فهم لذلك يخلون البلدان والبقاع التى تزحف عليها الجيوش الايطالية بعد أن يناوشوها مناوشة ليست فى شيء من مألوفهم



بعض زعماء الاحباش مدججين بأسلحتهم



رجال القبائل الحبشية يستقبلون نبأ الحرب برفع حرابهم

استدراجاً لها الى الجبال المنيعة حيث تكون بعدت عن قواعدها الحربية فيطبقوا عليها ويقضوا لبانتهم منها . ولكن ما دامت النتائج تعرف من مقدماتها فليس فى ما يرى اليوم من خطة التليان ما يبعث على تحقيق أمنية الأحباش، فهم سائرون على خطة حربية دقيقة وهم يعقدون على المارشال بادوليو الذى حل محل الجنرال دى بونو فى القيادة العامة آمالاً بعيدة . وعندنا ان هذه الحرب طويلة الأجل إلا



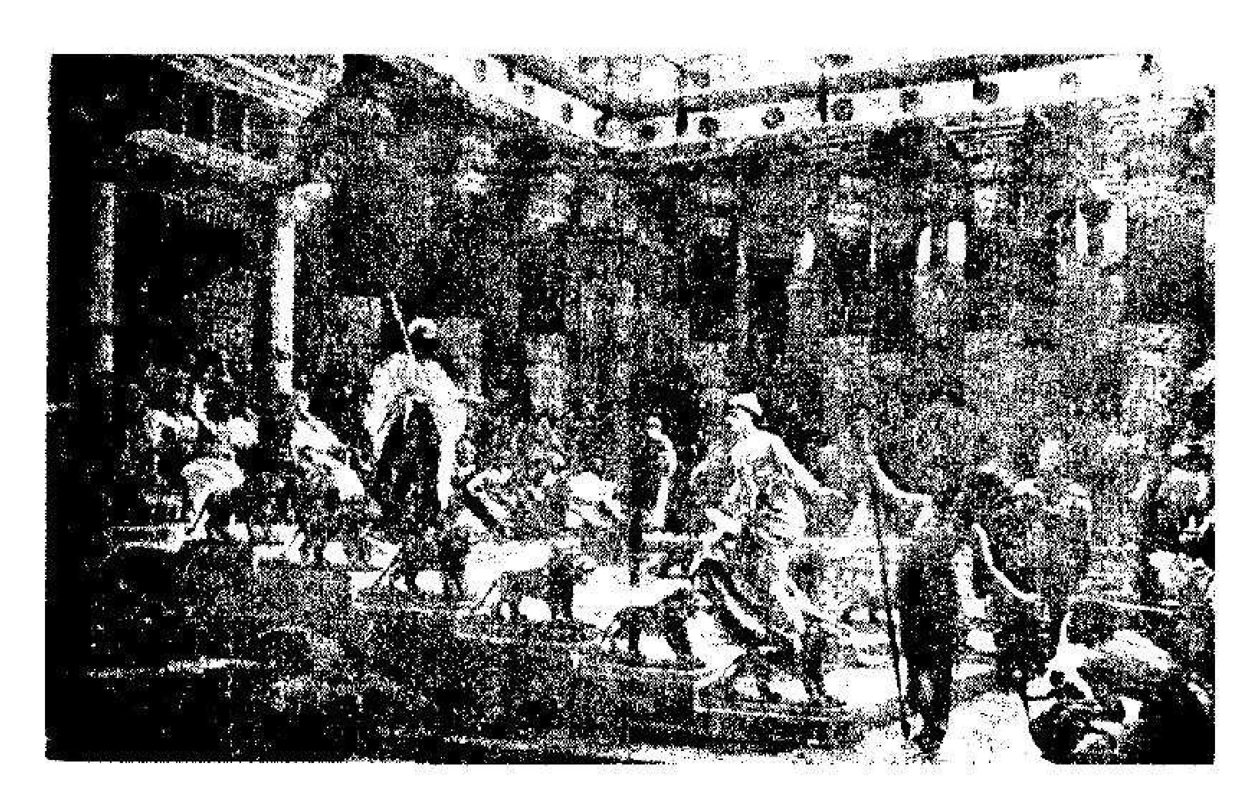
بعض رجال الحرب من الاحباش يقسمون على النار المضطرمة امامهم أن يستميتوا في الذود عن بلادهم

إذا ألهم الله رجال السياسة أن يضعوا لها حداً وفوق كل ذى علم عليم .

وبعد كل ما تقدم نرى أن نقف عند هذا الحد فى وصف الحرب الدائرة رحاها الآن فى الحبشة اكتفاء بما تنشره عنها الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية .



﴿ فرقة من الجيش الحبشي النظامي تسير في شوارع اديس ابابا وامامها موسيقاها ﴾



(تمثل هذه الصورة سليمان الحكيم يستقبل ملكة سبا فى قصره بأورشليم) (ص ٩٣)



(جانب من بحيرة تانا (تسانا) فى جبال الحبشة) (صفحة ٩٧)

مصر والحرب

أما فى مصر فكان لهذه الحرب صدى بعيد الغور فى نفوس المصريين ولا سيما الاقباط منهم فألفوا لجنة من كبار القوم للأخذ بيد الحبشة ومناصرتها فى محنتها هذه وجعلوها تحت اشراف غبطة بطريرك القبط وصاحب السمو الأمير عمر طوسون . وعنيت هذه اللجنة بأمر الحبشة عناية مخصوصة فأعدت المعدات الطبية لارسالها اليها على جناح السرعة . وفى النصف الثانى من اكتوبر غادرت البعثة الطبية الأولى مصر الى اديس ابابا وعلى رأسها النبيل اسماعيل داود . وقد كان لوصولها إلى عاصمة الحبشة أثر جميل فى نفس الامبراطور ورجال بلاطه فشكروا وحمدوا وأثنوا على غيرة المصريين ومودتهم .

ولما كانت بريطانيا العظمى تحسب حسابًا لحشد القوات الايطالية فى طرابلس الغرب – وهى على حدود مصر – رأت فى ذلك ما يعزز الموقف الذى وقفته من التليان باعتبار انها سيدة الممالك التى تتألف منها جمعية الأمم ولا بد أن يناط بها تنفيذ العقوبات التى فرضت عليهم فحشدت لذلك أسطولاً عظيماً فى البحر المتوسط ارهابًا لهم واتخذت مصر قاعدة للأعمال الحربية لو نشب القتال بينها وبين التليان . كل ذلك ومصر مكتوفة اليدين بازاء هذا الموقف وقد أذهلها هذا التأهب الحربى الهائل فوقفت تتلفت يمنة و يسرة لعلها تبصر

هذا العدو الجبار الذى يلوحون لها بشبحه المخيف المرعب فلا ترى له أثراً إلا فى مخيلة الضعيفى الايمان الذين يشكون فى كل شىء.



﴿ النبيل اسماعيل داود قبل ذهابه الى الحبشة ﴾

لأنها تعرف ايطاليا موالية لها وهى موقنة ان التليان لن يعتدوا عليها ولن يقدموا على مناصبتها العداء ولو ان حكومتها أقرت تطبيق العقوبات الاقتصادية عليهم لأن مصر انما فعلت ذلك مكرهة ولأن

الطليان موقنون انها تنظر بعين الاعتبار الى ما بين البلدين والشعبين من صلات المودة الوثيقة العرى وتدرك أن هذه المودة قائمة على أساس المصلحة المتبادلة منذ حقبة طويلة من الدهر فلا يعقل أن تقدم ايطاليا على عمل يستفز المصريين و يؤدى الى توتر العلاقة بين الفريقين توتراً يضر بهذه المصلحة ويضيع عليها منافع الولاء القديم الذى زرع بالأمس لتجنى ثمرته اليوم

الخلاصة

والخلاصة ان الحالة بالاجمال تتطور تطوراً سريعاً ونحن نكتب هذه السطور وهى تسير من سيء الى أسوأ ويخشى اذا لم تتداركها يد العناية أن تتطاير شرارة من هذه الحرب الطاحنة الى اوربا بل الى العالم أجمع فتلتهم الأخضر واليابس وتقضى على معالم الحضارة العصرية قضاء مبرماً لا تقوم لها بعده قائمة إلا بعد قرون . على ان كل بحث فى تطوراتها ونتائجها العاجلة والآجلة يكون من قبيل الرجم بالغيب . فنسأل الله أن يقصر أجل هذه الحرب ويلهم القابضين على زمام الامر فى العالم أن يحكموا ضمير الانسانية فى ما يعالجونه من المعضلات احلالاً لليسر محل العسر والسلام محل الخصام ؟

بولس مسعد

فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٣٥



رجال التاريخ من الأحباش

لقمان الحكيم : اشتهر بتعقله واصالة رأيه و بعد نظره و بلغ من حكمته انه لقب بلقمان الحكيم وعد ولياً من الاولياء وقد أجمع الرواة على انه حبشى الأصل

بلال الحبشى : عاش فى مكة فى بدء الاسلام وأسلم وكان عبداً فأعتقه ابو بكر الصديق وصحب نبى المسلمين فى اكثر غزواته ومات فى دمشق ودفن فى مقبرة الباب الصغير

خالد بن رباح : هو اخو بلال الحبشى استوطن داريا بقرب دمشق ومات فيها

مهجع الحبشى : كان من عبيد عمر بن الخطاب وقد أسلم وقتل فى واقعة بدر

نفيع بن مروح الحبشى : كان من عبيد الحرث بن كلدة الثقفى . فر من الطائف يوم ضرب عليها الحصار وأسلم على يد النبى وتوفى فى البصرة

شقران الحبشى : هو صالح بن عدى الملقب بالشقران . كان من عبيد عبد الرحمن بن عوف فأعتقه النبى بعد واقعة بدر وكان فى جملة الذين تولوا تكفينه ودفنه

ذو مخجر الحبشى : هو ابن أخى النجاشى أصحمه وقد صحب المهاجرين من الصحابة فى عودتهم الى المدينة وكان من أخصاء النبى وقد مات فى دمشق

أبرهة بن صباح الحبشي : كان من رجال النجاشي أصحمه وقد أسلم على يد النبي مع سبعة من رفاقه . ووالدته هي بنت ابرهة الأشرم ملك اليمن

عبد الله الحبشي : هو ابن النجاشي أصحمه وكان صديقاً لعبد الله ابن جعفر

فيروز الديلمي : هو ابن اخت النجاشي أصحمه وهو الذى قتل الاسود العنسى الذى ادعى النبوة فى اليمن

ذو مهدم الحبشي : كان فى جملة الذين صحبوا المهاجرين من الصحابة فى عودتهم الى الجزيرة وكان يقول فى قصائده أن الاحباش من ابناء هود

ذو دجن وذو مناصب وخالد بن الحوارنى : كانوا فى جملة الذين صحبوا المهاجرين فى عودتهم

أسلم الحبشي و يسار الحبشي : اشتركا فى معركة خيبر وقتلا اثناء حصارها بعد أن أسلما

وحشى بن حرب الحبشي : كان مولى جبير بن مطعم وقتل حمزه بن عبد المطلب عم النبي . ثم أسلم وقتل مسيلمه الكذاب الذى ادعى النبوة فى اليمامة

نايل الحبشي : هو ابو أيمن من الصحابة ورواة الحديث

جمال الحبشي : من رجال النبي وقد اشترك فى اكثر غزواته

أسلم ابو خالد الحبشي : من موالى عمر بن الخطاب . وقد عاش ١١٤ سنة

انجشـه الحبشي : يلقب بأبي ماريه . وكان من الصحابة ومن الذين صحبوا النبي فى غزواته

أما الصحابيات من الحبشيات فمن اكبرهن شأناً :

بركة أم أيمن الحبشية : هى التى تولت تربيـة النبي وقد أعتقها بعد زواجه وكان يحبها كوالدته

بركة الحبشية : هى أمة أم حبيبه احدى زوجات النبي . وقد صحبتها فى عودتها من الحبشة

الفقيـه عطاء بن رباح الحبشي : هو مولى أبي مسرة الفهرى وكان من الفقهاء . وكان سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموى يحضر حلقة درسه هو وابنه الذى كان من تلاميذه

اسامة بن زيد : من أشهر شعراء العرب ومن أحفـاد امرؤ القيس.والدته بركة أم أيمن مربية النبي.وقد ولاه النبي قيادة الجيش الذى جرده على الشام . ومات فى المدينة

وهناك كثيرون من أعيان المسلمين ولدوا من امهات حبشيات نظير آمنة بنت خالد القرشيـة زوجة الزبير بن العوام . وزينب بنت عبد الله أبي مسـلمه وأم مسلمه احدى زوجات النبي وكانت مشهورة بعلم الفقه . وعائشة بنت الحرث الحبشية وكانت بين الصحابة الذين عادوا الى المدينة .

فهرس